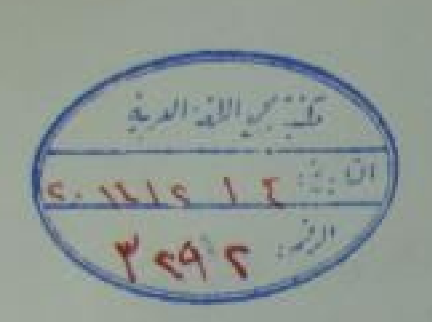
مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق





ديوان

ابن النقيب

عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني

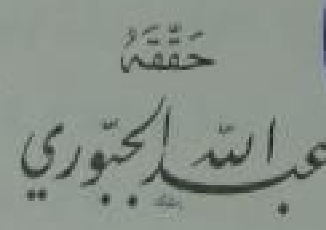
الملقب بابن حمزة وبابن النقيب

١٠٤٨ - ١٠٨١ هـ





حققه



عبد الله الجبوري

راجعه وأشرف على طبعه

أحمد الجندي

١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م

تقديم

مما يلفت النظر ويبعث على الانتباه أن يعيش شاعر في عصر تأخر فيه الشعر حتى وصل إلى درك بعيد من التكلف والتراجع والتصنع والإقفار من كل المعاني الشعرية والأدبية السامية ؛ ثم يخلص هذا الشاعر من كل هذه الأمور التي تعوق الشعر وتقف حائلاً دون النبوغ فيه .

هذا العصر هو العصر الحادي عشر للهجرة « ١٠٤٨ هـ = ١٦٣٨ م » وهذا الشاعر هو عبد الرحمن بن النقيب الشاب الدمشقي ؛ لقد عاش في بيئة علمية ، أدبية ، ولكن الأدب كان قد أمسى ركاماً فكرياً وآثاراً عتيقة بالية ، يحاول الشعراء فيها أن يقلد بعضهم بعضاً فلا يفكرون بتجديد ولا يقدرون على تجديد ؛ في هذه البيئة ذاتها باشر ابن النقيب ، الشاعر الموهوب نظمه ، ودبج شعره ، وهذب أبياته وقوافيه فاذا بهذا الشعر سهل يكاد أن يشرب مع الماء ، وإذا باللفظ معقول مهذب يكاد أن يبرق لجدته وصفائه ، وإذا بالقوافي تكاد ترقص طرباً واطمئناناً .

كان هذا الشاعر الموفق بدعاً في الشعراء كما كان لوناً خاصاً بين شعراء جيله ، وعندي أن السبب في هذا الانفراد إنما جاء من أن الشاعر قد قرأ أكثر شعر عصره ، ولكنه تأثر بشعر الأعصر التي سبقته ، والتي كان فيها الشعر أعلى وحياً ، وأرفع إلهاماً ، فكان أثر هذا الشعر الجيد أعمل في شاعريته من أثر الشعر التقليدي الذي عاصره ، يضاف إلى ما تقدم سبب آخر له أهميته القصوى في تكوين الشعراء ، ذلك أن شاعرنا كان شديد الولع بمفاتن الطبيعة الدمشقية ، ومجالي فصولها المتعاقبة من ربيع

وخريف وشتاء وصيف ، وقد خلبته هذه المناظر الرائعة حتى صرفته عن الصنعة ، وأبعدته عن الكلفة ، واستأثرت به استئثاراً أوحى إليه بالكثير من شعره الوصفي الرائع . ولهذا السبب ذاته كان شعر الوصف عند شاعرنا أكثر توفيقاً من بقية شعره الذي يتناول الأغراض الأخرى .

ولقد كلفني المجمع العلمي العربي بدمشق بمراجعة ديوان هذا الشاعر الموهوب والإشراف على طبعه وقد قمت بذلك، ولم أزد على ماجاء في التحقيق إلا ما اقتضاه سهو الناقل أو المحقق وجل الذي لا ينسى ، ولست أريد في هذا « التقديم » أن أدرس شاعريته أو أدلي فيها برأي مفصل لأن المحقق قد قام بذلك على أحسن وجه فله شكر الأدب والأدباء ، ولقد أتبعنا المقدمة ببحث تحليلي بقلم المرحوم الشاعر الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي السابق ، وهو بحث يعطينا فكرة صحيحة واضحة عن شاعرية الشاعر ، ولا بد من أن أشير هنا إلى قرابة النسب بين ابن النقيب والمرحوم الأستاذ خليل مردم بك ، ولعل هذه القرابة كانت سبباً من أسباب الاهتمام بالشاعر .

وأرجو في الختام أن يجد الأدباء والشعراء في هذا الديوان ما يعينهم على استجلاء الظاهرة الشعرية منذ ثلاثة أعصر خلت ، وإن في ذلك لفائدة لا تنكر ؛ والله الموفق .

أحمد الجندي

ابن النقيب وديوانه

الشاعر :

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن الحسين الحسني الحرّاني[1] المعروف بابن النقيب ، ولد في دمشق في ثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وألف (١٠٤٨ هـ = ١٦٣٨ م) ، تخرج بوالده النقيب ، درس اللغة والحديث والأدب على أشياخ عصره . وغلب عليه الشعر والأدب ، قال المحبي عنه « .... نادرة وقته في الفضل والأدب والذكاء وجودة القريحة وحسن التخييل ، وكان مطلعاً على اللغة والشعر وأنواعه الاطلاع التام وفضله أشهر من أن ينوّه به أو ينبه عليه ، تعانى الأنشاء ونظم الشعر في طليعة عمره فأحسن فيهما كل الإحسان وضرب فيهما بالقدح المعلى ، وكان يتخيل التخيلات البعيدة البديعة في التشابيه العجيبة والنكات المتقنة والمعميات العويصة ، وكلامه كما ترى يجمع بين الجزالة وحسن التركيب في لطائف الصنعة وتملك رقة الإتقان والإبداع ويعرب عما وراءه من أدب كثير وحفظ غزير ... »[2] .

(١) حرّان : مدينة تقع على طريق الموصل والشام والروم ، وذكر قوم أنها : أول مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان ، (معجم البلدان / ج ٣ ص ٢٤٢ مادة (حرّان) ط . (١) القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٦ م) .

(٢) خلاصة الأثر ص ٣٩٠ ج ٢ .

وقد ألمّ شاعرنا بثقافة عصره إلماماً واسعاً ، من أدب ، وفلسفة ، وتأريخ ، وآية ما نذهب إليه الإشارات التأريخية والفلسفية والأدبية المنبثة في تضاعيف الديوان .

وولع ابن النقيب ولعاً شديداً بالمعميات والألغاز والأحاجي (١) .

وشعره يدل على رقة طبعه وسلامة ذوقه ، فألفاظه موسيقية منتقاة ، سليمة المبنى ، وديباجته تميل الى الفخامة والجزالة ، ومعانيه عميقة رائقة وأغلبها مبتكر ، تواكب في أغلب الأحايين معاني أبي تمام الطائي وابن الرومي في الدقة والاستقصاء ، وقد ألقى شاعرنا ابن النقيب بنفسه في أحضان الطبيعة ، وراح يعزف تلاحينه العذاب على وترها الخلوب ، فشعره يكاد يكون كله ترجمة عن عواطف الشباب ، والتغني بالجمال ، ووصف محاسن الطبيعة ، وقد تنزه عن الهجاء والرثاء وكاد يخلو من المديح لولا بضع قصائد هي أشبه بالإخوانيات منها بالمديح كما يقول العلاّمة الجليل الأستاذ المرحوم خليل مردم بك .

قال المحبي عنه « وكل ما أذكره له إما تشبيه زَهْـر أو زَهَر ، أو وصف روض مطل على نهر ، وهو ممن أغري بهذين النوعين فأتى منهما بجمل متكاثرة ، ونظم فيهما بدعاً أضحت لها عقود الترائب متناثرة ، وذلك إما لميل غريزي في فطرته ، أو لأن دمشق متروّح فكرته ، وحسبك من طبع لو كان للسحب صيّرت الزمان فصل ربيع ، وفكرة لو كانت للنجوم السيّارة جرين سعداً أكبر في التربيع » (٢) .

(١) المعمى من التعمية وهي التغطية والأحجية من الحجا وهو العقل كأنه يختبر فيها العقل واللغز والإخفاء .. راجع ص ٣٩٣ ، جـ ٢ خلاصة الأثر ، وهناك تعريف مسهب للمعميات والألغاز .

(٢) نفحة الريحانة / الورقة ٩٠ ، مخطوطة .

ولم يعش شاعرنا طويلاً حيث قد توفي في حياة والده السيد محمد النقيب في عام (١٠٨١ هـ = ١٦٧٠) ولم يكمل الثالثة والثلاثين ودفن بمقبرة الفراديس غربي قبر أبي شامة (١) .

أعقب شاعرنا ابن النقيب طفلاً اسمه سعدي يتخطى عتبة العام السادس من عمره ، وهو الذي جمع ديوان شعر أبيه ، وسنعرّف به بعد قليل .

آل النقيب :

بيت سراوة وعلم وأدب ، قال عنهم المرادي « .. وبنو حمزة بدمشق رؤساء ساداتها سادة أكرمين وغر ميامين ، تقلدوا من المعالي غرراً ، ونثروا من آدابهم درراً ، منهم آل البيت الذين زكا نجارهم ، ونما سؤددهم وفخارهم ، سيادتهم سابغة المطارف ، حائزون عوارف المعارف ، من تالد وطارف إلى فضل ومجد وشرف وحسب » (٢) .

وقد نبغ منهم غير واحد في الشعر والأدب ، فأسرة شاعرنا أسرة شعرية ، فوالده النقيب شاعر ، وعمه السيد حسين شاعر ، وأخواه ابراهيم وعبد الكريم كلاهما شاعر ، وآل النقيب نسبة إلى جد الأسرة السيد اسماعيل النقيب أحد أحفاد الإمام جعفر الصادق .

عمه السيد حسين :

هو السيد حسين بن كمال الدين ولد في عام ١٠٣١ هـ في دمشق

(١) خلاصة الأثر جـ ٢ ، ص ٤٠٤ .

(٢) سلك الدرر جـ ١ ص ٢٤ .

وتوفي فيها عام ١٠٧٢ هـ ودفن في سفح قاسيون ، أديب مطبوع ، شاعر ، له من الآثار الأدبية كتاب « التذكرة الحسينية » جمع فيه مختارات من شعر الشعراء المتقدمين ، وختمه بذكر بعض معاصريه من الشعراء ، ثم أورد في آخره شيئاً من شعره ، ومنه[1] :

خفّض عليك أخا الظباء الغيد … وارحم مدامع جفني المسهود

ومنها :

يا مسرفاً في هجره لمتيم … هجرت محاجره لذيذ هجود
لم يبق هجرك في قلباً خافقاً … لسرور وعد أو لخوف وعيد
وغدوت من فعل السقام كأنني … أوهام فكر في خيال بليد

والده السيد النقيب :

هو السيد محمد بن محمد نقيب الشام ، أديب فاضل ، شاعر مجيد ، قال عنه المحبي « رئيس وقته في العلم والجاه ، ووحيد دهره في سؤدده وعلاه ، وكان عالماً محققاً وحبراً مدققاً غواصاً على المسائل ، كثير التبحر مملوءاً معارف وفنوناً »[2] .

(١) خلاصة الأثر ج ٢ ص ١٠٦ ، و ص ١٠٨ ، ونفحة الريحانة الورقة ٨٧ ، مخطوطة .
(٢) خلاصة الأثر ج ٤ ص ١٢٤ .

لعل من الخير هنا أن نتم نسب السيد النقيب فنقول : هو محمد كمال الدين بن محمد ابن الحسين بن أحمد بن اسماعيل الثاني بن محمد بن اسماعيل الأعرج بن الإمام جعفر الصادق .

ولد في غرة رجب من سنة ١٠٢٤ هـ بدمشق ، وتوفي فيها في ختام صفر من عام ١٠٨٥ هـ ، ودفن بمقبرة الفراديس .

تخرج بوالده السيد محمد النقيب ، وقرأ القرآن الكريم على الشيخ أبي بكر السلمي الحنفي ، ثم على الشيخ عبد الباقي الحنبلي ، ومن شعره :

كتبها من دار الخلافة إلى أخيه السيد حسين :

كم من بعيد والقلوب دياره … والعين من طول المدى تختاره
يا نازحين ولي بهم وجد على … وجد تشعب حيث شبت ناره
رعياً لأيام مضين ونحن في … مرح التآلف والهنا أقطاره
أيام مرّ جنا الرياض ، ومرحنا … فوق الحياض وأنسنا أقماره
وحديثنا النجوى يدار ألذ من … كأس العقار تشعشعت أنواره
وخطابنا السحر الحلال أسر من … طيف الخيال إذا بدت أسراره
لله من عصر نضى لما مضى … سيف العتوّ على الحشا تذكاره
عوّذ فعود[1] مدنفاً فيكم قضى … شرخ الشباب وما انقضت أوطاره
وتعطفوا بحشاشة الصب الذي … هجر الكرى وتواصلت أخطاره
وعساه يسعده بلطف شامل … من وصلكم فعلى الكريم مداره

وقد أنجب هـذا الرجل ثلاثة أبناء هم : شاعرنا عبد الرحمن ، وعبد الكريم ، وابراهيم .

(١) كذا في الأصل .

السيد عبد الكريم :

أديب فاضل ، له شعر لطيف ، ونثر حسن ، ولد بدمشق عام (١٠٥١ هـ) أخذ العلم والأدب على والده النقيب ، وتتلمذ للشيخ نجم الدين الغزي ، والشيخ محمد البلباني ، والشيخ محمد بن سليمان المغربي . وخير الدين الرملي مفتي الحنفيـة في الشام ، تولى نقابة الأشراف بدمشق عدة مرات ، ومن شعره :

لقد دعانا إلى الربا الطرب … فأجبنـاه حسبما يجب
واستبقنا والشوق يجذبنا … كأن أشواقنا لنا نجب

ومن شعره أيضاً :

ألقت على وجه شمس الضحى جسداً … شعاعها فغدا باليدِ مستترا
وذاك من غيرة إذ فاتها شنب … والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

وللسيد عبد الكريم منزلة طيبة في قلوب شعراء عصره وأعيان مصره ، ولما توفي رثاه جمهرة [١] من شعراء الشام كان أبرزهم الشيخ عبد الغني النابلسي الذي يقول فيه :

مالي أرى البارق النجدي ما ومضا … أشطت الدار أم ولّى الفتى ومضى

(١) راجع سلك الدرر ج ٣ ص ٦٨ ، وفيه نماذج شعرية كثيرة له أوردها المرادي في كتابه . .

من بيت حمزة نجم غاب تحت ثرى … وكان مرتفعاً ويلاه فانخفضا
ياطالما أشرقت منه منـازله … فضاء من نوره في الخافقين فضا
عبدالكريم على الرب الكريم به … قد أقبل المرض المستوجب المرضا
وغضّ من فقده طرف الكمال حيا … والمجد قد شب في أحشاه جمر غضا
فيه الشهامة والطبع الأبيّ وقد … رماه سهم منون وافق الغرضا [١]

السيد ابراهيم :

هو الأخ الثالث لشاعرنا ابن النقيب ، ولد بدمشق خامس ذي القعدة من عام ١٠٥٤ هـ تخرج بوالده النقيب وشقيقه عبد الرحمن ، أخذ عن أفاضل علماء الشام ومنهم المقري ، صاحب نفح الطيب ، وخير الدين الرملي ، والشيخ المحقق عبد القادر البغدادي (صاحب خزانة الأدب) . وقال المرادي عنه أن شيوخه يبلغون (٨٠) شيخاً .

رحل إلى الروم وقرأ على جماعة من علمائها ، وسافر إلى مصر وأخذ عن علمائها . وقد ولي نقابة الأشراف فيها في سنة (١٠٩٣ هـ) ، وله من الآثار « أسباب الحديث » وهو مؤلف حافل كما يقول المرادي ، لخص فيه مصنف أبي البقاء العكبري وزاد عليه زيادات ، وله « حاشية على شرح الألفية لابن المصنف » ، توفي بدمشق في عام (١١٢٠ هـ) [٢] .

(١) سلك الدرر ج ٣ ص ٧٩ . « أثبتنا البيت كما جاء في الأصل وفي سلك الدرر » .
(٢) سلك الدرر ج ١ ص ٢٣ .

ابنه السيد سعدي :

وهو الذي جمع شعر أبيه السيد عبد الرحمن ، وحفظه لنا في ديوان ، ولولاه لضاع هذا الأثر النفيس في مغاوز النسيان ، ولاندثر في مطاوي الفناء . .

ولد السيد سعدي بدمشق في العاشر من شوال ١٠٧٥ هـ . أخذ عن جده النقيب وعن أبيه ، ثم أخذ عن عمه السيد ابراهيم الإمام المحدث ، وعن الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ ابراهيم الخياري ، والسيد محمد البرزنجي والشيخ حسن العجيمي والشيخ عبد الله بن سالم البصري ، ورحل الى مصر فأخذ عن أفاضل علمائها كالشيخ محمد بن داود العناني ، والشيخ خليل بن ابراهيم اللقاني ، والشيخ عبد الباقي الزرقاني ، ومن شعره مهنئاً عمه السيد عبد الكريم في عيد الأضحى عام (١١٠٣ هـ) :

يا سيد السادات والأشراف   والواحد المعدود بالآلاف
بشراك بالعيد السعيد مضحياً   بعداك فيه بصارم الأسياف
في كل عيد دمتم بمسرة   وبسلامة وبرغد عيش صافي
كن في أمان الله محفوفاً بما   تهوى من الإسعاد والإسعاف

وتوفي بدمشق في عام (١١٣٢ هـ) ودفن بتربة بني عجلان بالقرب من الجباوي [١] .

(١) سلك الدرر ج ٢ ص ١٥٦ .

الديوان :

ديوان ابن النقيب من الدواوين النادرة من حيث طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية كما يقول العلاّمة المرحوم خليل مردم بك .

وان النسخة التي اعتمدتها في أثناء عملي هي النسخة الأصلية (الأم) ، المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٣٩٥) ، وقد صُورت لي بـ (المايكروفيلم) [١] .

والنسخة مضافة الى دار الكتب المصرية في ١٢ يناير من عام (١٨٩٧ م) وتوجد نسخة أخرى للديوان مصورة عن النسخة الأم ، محفوظة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ولا توجد لهذه المخطوطة نسخة أخرى غير ما ذكرنا ، وعدد صفحات هذه المخطوطة مائة واثنتان وسبعون صفحة ، في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وقلمه المعروف بالنسخ ، وخطه واضح مقروء على أنه لم يخل من التحريف والأغلاط .

والديوان مرتب على حروف المعجم وقد جاء في مقدمته « .. وبعد فلما كان الأدب كيس اللسان ، وزبرج النطق والبيان ، عنّ للخاطر ، والفكر الفاتر ، جمع كلام سيدي الوالد .. السيد عبد الرحمن .. نجل السيد محمد النقيب .. وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده

(١) أشكر الأستاذ أحمد ناجي القيسي لتفضله بارسال صورة المخطوطة من القاهرة ، كما أشكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري الذي سمح لي بقراءة فلم المخطوطة في دائرة التأريخ بجامعة بغداد .

ولمّ شعث مقاطيعه وقصائده ، فأعملت جواد العزم في تطلابه من مسوداته ، وتلقفته من أفواه رواته .. وقد رتبته على الحروف ، والأسلوب المألوف .. » .

وجاء في آخره : « تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان ، جمع السيد الشريف الحسيب النسيب السيد محمد سعدي بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى ، وافق الفراغ من نسخه ضحوة نهار الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف على يد الفقير أحمد بن محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين .. » .

أول من نوّه عنه :

من مآثر شاعر الشام العلاّمة الجليل الأستاذ خليل مردم بك إحياء آثار السلف الصالح والعمل على بعثها من مراقدها . وهذا الديوان كان من جملة الآثار التي بعثها العلاّمة الفقيد ، وهو أول من عرّف القراء العرب بهذا الأثر النفيس وذلك بمقالة نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء ١ ، ص ٣ ، م ٣١ / ١٩٥٦) ، وكان في نية الفقيد نشر هذا الديوان ، ولكن المنية حالت دون ذلك[1] ، وقد ارتأيت ـ إحقاقاً للحق واعترافاً بالفضل ـ أن أثبت مقالة العلاّمة مردم بك في صدر الديوان . وشاعرنا ابن النقيب أحد أجداد العلاّمة الفقيد من جهة أمه السيدة فاطمـــة ابنة مفتي الشام السيد محمود حمزة الشهير بالحمزاوي .

(١) كما أكّد لي ذلك نجله الشاعر الأستاذ الأخ عدنان مردم بك .

آثار الشاعر :

ومن آثار شاعرنا ابن النقيب مجموعة أسماها « بواكير الحدائق والغرف » وتشتمل هذه المجموعة على مختارات جيدة من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض ، أكثرها في وصف محاسن الطبيعة والرياض والأشجار والأزهار والأنهار ، وتصوير الجمال والترف والنعيم والصبوة واللهو والشراب ومجالس الأنس والطرب ، وقد اشتملت على (٨١) غرضاً من هذه الأغراض ، استقاها ابن النقيب من (٣٩) مصدراً من مصادر اللغة والأدب والشعر ..

ولكن هذه المجموعة النادرة لم تتم كما ذكر السيد سعدي النقيب حيث قال « .. جمع كتاباً ـ يعني والده السيد عبد الرحمن ـ لطيفاً في الأدب سماه (بواكير الحدائق والغرف) فلم يتم ولكن اقتطف منه كتاباً مختصراً سماه (دستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) وأرسله لقدس زادة النقيب في الممالك العثمانية » ، وهذه المجموعة تحتويها خزانة العلاّمة المرحوم خليل مردم بك وهي بخط جامعها السيد عبد الرحمن ، وتقع في ١٥٦ صفحة ، (طول الصفحة ٢٠ سم وعرضها ١٣ سم) ولا تتفق في عدد الأسطر ، حسنة الخط مكتوبة بالقلم الفارسي والحبر الأسود على ورق متين ، وقد وصلت هذه المخطوطة إلى المرحوم مردم بك عن طريق جده لأمه السيد محمود حمزة مفتي الشام .

وفي خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق نسخة مصورة من (دستيجة المقتطف في بواكير الحدائق والغرف) منقولة عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) أدب[1] .

(١) راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، جـ ٢ ، م ٣١ ، ص ١٧٧ و ص ١٨٦ ، مقالة مسهبة عن المجموعة بقلم المرحوم الأستاذ خليل مردم بك .

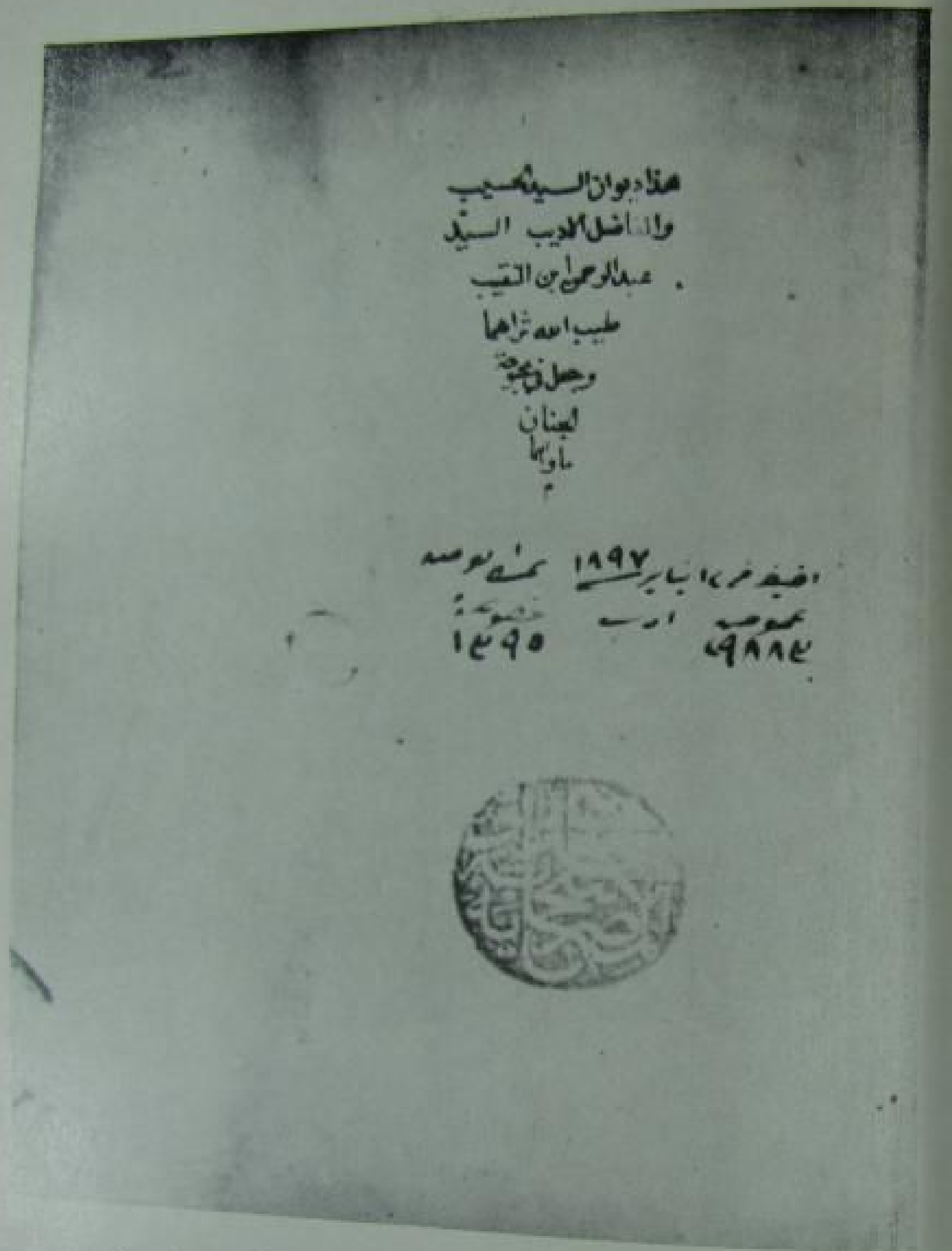
شكر وثناء :

والواجب يدعو هنا إلى تسجيل شكري وامتناني الى المجمع العلمي العربي بدمشق لتفضله بإخراج هذا الديوان النادر إلى النور ، وبخاصة أمين سره العلاّمة الجليل البحاثة الثبت الأمير جعفر الحسني أبقاه الله ونفع به .

بغداد ـ الجمعة { ٤ كانون الثاني ١٩٦٣ م / ٨ شعبان ١٣٨٢ هـ } عبد الله الجبوري

خمس صفحات من الديوان مصورة عن النسخة الأصلية المحفوظة في دار الكتب المصرية





هذا ديوان السيد نقيب
والفاضل الأديب السيد
عبد الرحمن بن النقيب
طيب الله ثراهما
وجعل فسيح
الجنان
مأواهما

١٩٩٧ نمرة عمومية
عمومية ٩٨٨٤ ادب خصوصية ١٤٩٥

الورقة الأولى من المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية



انموذج من المخطوطة

الملك اذ كان يهوى | صوت حادي الحداة في كل تاره
وتغني الركبان مذ كان ناشا | في البوادي حتى اعترته الحضاره
ذي الفتوة اذ كان | يولي في غبطة اسفاره
فيرى اللهو والسماع متاعه | ويرى الحرب قطبه ومداره
[illegible] ذ كان | يقضي جميع امني وطاره
كم غدا ليلة الثلاثاء والسبت | يوالي الغبوق بالقرقاره
ويصفون في الندامى بعرصه | كؤوس الحديث خلف الستاره
ونديمهم ابو دلامة طورا | يصطفيه ويجتلي اشعاره
وبعد [illegible] | مروان [illegible] والاعلى استناره
حازم بن جعفر في ندامه | [illegible] اذ كان يبلوا عشاره
فيراه فيهم ظريفا اديبا | لبقا حاذقا لطيفا الاشاره
ثم كان [illegible] مجلس الانس | فيصغي لشربه اطواره
وفليح بن العوراء يشدو له | فيثني حسينه واذكاره
ولديه ترب الغناء ابو سحق | يشدو بصنعة ومهاره
ثم كان [illegible] ذهو بالشرب | وغنا ابن جامع مختاره
توفي للندام عيسى بن داب | بكؤوس من الحديث مداره
ويفيض ابن مصعب في نثير | سقول مرحيث ينتقي ابكاره
وبحثا [illegible] في دير مرت | على كل لحنة وقداره
من مدام حكت رهابنة الدير | اهاني بهارة جلناره

انموذج آخر من المخطوطة

الصفحة الأولى من الورقة الأخيرة

ما أصبح الأعطاف في معاطفه … وخده بالمحيط محفوف
فطرفه النرجس إذا ما بدا … ومنطقه نطق مجازي

ومن تخيلاته البديعة قوله

ننشقه سحر الكاس في يده … والعود مصطحب لأوتار يجليه
ورجّع الجيد من كفه وقد قرنت … أطرافه وأن أدنيه من فيه
كما رجّع غصن البان منتصبا … حال التثني إذا ما ارتاحت تثنيه

ومن [illegible] قوله

ما بدا برد الجو [illegible] … بين الرياض دعى إلى التشبيه
فكأنه فيها سبائك فضة … وكأنها قطع الزبرجد فيه

وله موالياً

نوحت أبكي بكت أبحر القلوب معي … أو بت أشكي لأشتكي الصخور معي
أحيت وانوجد في قلبي جبال [illegible] … [illegible] وأحبابي [illegible]

تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن النقيب في
دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان جمع السيد الزكي
النجيب محمد سعد بن عبد الرحمن رحمه الله
تعالى وافق الفراغ من نسخه يوم نهار الثلاثاء الثامن
عشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائتين
على يد الفقير [illegible] محمد [illegible] غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين

٥

الصفحة الثانية من الورقة الأخيرة من المخطوطة

ديوان ابن النقيب (*)

(١٠٤٨ ــ ١٠٨١ هـ)

في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من ديوان ابن النقيب نقلت عن المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩٥ .

أما صاحب الديوان فهو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد المعروف بابن حمزة الحسيني وبابن النقيب . ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين وألف ، وتخرج بوالده النقيب وبجماعة من علماء دمشق وغيرها ، وغلب عليه الشعر والأدب ؛ وشعره يدل على رقة طبعه وحسن ذوقه وافتتانه بمحاسن الطبيعة ؛ وله مجموعة تشتمل على مختارات تشهد على حسن اختياره وحسن اطلاعه على الشعر . تكاد تكون كلها في وصف محاسن الطبيعة ووصف الجمال على اختلاف مظاهره ، وهي موجودة عندنا بخط الشاعر نفسه ، وليس هنا موضع الكلام عليها .

ولم يعش الشاعر كثيراً بل توفي مطعوناً في حياة والده سنة إحدى وثمانين وألف ولم يكمل الثالثة والثلاثين من عمره ، ودفن في مقبرة الدحداح غربي قبر أبي شامة . وترجم له المحبي في خلاصة الأثر وفي نفحة الريحانة .

(*) مقال العلامة الفقيد الأستاذ خليل مردم بك المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء ١ ، س ٣٠ ، م ٣١/١٩٥٦) وهو أول من عرّف القراء العرب بهذا الأثر النفيس .

أما ديوانه فقد جمع بعد وفاته ، جمعه ابنه السيد سعدي (١) ورتبه على حروف المعجم . قال في مقدمة الديوان :

(. . . وبعد فلما كان الأدب كيس اللسان ، وزبرج النطق والبيان ، عن الخاطر ، والفكر الفاتر ، جمع كلام سيدي الوالد . . . . السيد عبد الرحمن . . . . نجل السيد محمد النقيب . . . . وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده ، ولَمّ شعث مقاطيعه وقصائده ، فأعملت جواد العزم في تطلابه من مسوداته ، وتلقفته من أفواه رواته . . . . وقد رتبته على الحروف ، والأسلوب المألوف) .

وعدد صفحات الديوان مائة واثنتان وسبعون صفحة في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وقلمه القلم المعروف بالنسخ ، وخطه واضح مقروء على أنه لم يخل من الأغلاط . وقد ورد في آخره ما نصه : (تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان ، جمع السيد الشريف الحسيب النسيب السيد محمد سعدي بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى . وافق الفراغ من نسخه ضحوة نهار الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف . على يد الفقير أحمد بن محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين) .

والديوان من الدواوين النادرة من حيث طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية ، وقلة الأغراض المشحونة بها دواوين الشعراء ، فلقد تنزه عن الهجاء وخلا من الرثاء ، وكاد يخلو من المدح لولا بضع قصائد

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . انظر سلك الدرر للمرادي ٢/١٥٦ .

هي أشبه بالإخوانيات منها بالمدح المعهود في قصائد الشعراء ؛ فيكاد يكون كل ما فيه ترجمة عن عواطف النفس وهوى الشباب وعبادة الجمال في جميع مظاهره ، وتصويراً له ، وصاحب الديوان لا يرى الشعر إلا تصويراً وابتكاراً قال :

الشعر ضربٌ من التصوير قد كشفت   منه القرائحُ عن شتى من الصور

فاعمد إلى قالبٍ عُونٍ تُدَمِّنُهُ   وافرغ به أي معنى شئتَ مبتكر (١)

أما الوصف فلقد طغى على جميع ما في الديوان من المعاني والأغراض ، وأكثره في الرياض والأنهار والأشجار والأزهار . قال المحبي في نفحة الريحانة (٢) : (. . . ما أذكره له تشبيه زَهر أو زَهَر ، أو وصف روضٍ مطل على نهر ، وهو ممن أغري بهذين النوعين . . . . وذلك إما لميل غريزي في فطرته ، أو لأن دمشق متروّح فكرته) .

والطريف في وصفه عنايته الشديدة بالحركة حتى يكون الوصف صورة متحركة ، من ذلك قوله في طلوع البدر من خلل الأغصان :

وكأنما الأغصان تثنيها الصبا   والبدر من خلل يلوح ويحجب

حسناء قد قامت وأرخت شعرها   في لجة والموج فيها يلعب (٣)

وقوله :

ومجلسٍ حَفَّتِ الغصونُ بنا   فيه ووجهُ الرياضِ مبتهج (٤)

(١) الديوان ورقة ٤٥ .
(٢) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقة ٢/١١٠ .
(٣) الديوان ورقة ١٢ .
(٤) الديوان ورقة ١٦ .

كأن أوراقها يرفُّ بها   فوق الندامى نسيمها الأرج
خضرٌ من الأُزْر لا تزال بها   مناكبُ الراقصات تختلج

وقوله :

والنهر بين الغصون مُطَّرِدٌ   وموجــه تابعٌ ومتّبِعُ (١)

ولقد أكثر من وصف دمشق ومتنزهاتها في مناسبات مختلفة كوصف نزهة مع بعض إخوانه في الغوطة أو في الربوة ، أو وصف الربيع في بستان من بساتين دمشق . وله قصيدة في متنزهات دمشق ذكر فيها الغوطة والقيجة وبيتيمة والأشرفيــة وجديدة والهامة ودمر والشادروان والربوة والنيربين والصالحية وسفح قاسيون ودير مران والشرف والمرجة .

وكان كثيراً ما يختلف إلى هذه الأمكنة مع أصحابه أو وحده ، وقد يكتب على جذوع الشجر ما يوحيه اليه طيب المكان وحسنه ، قال ابنه جامع الديوان : (ورأيت بخطه ما مثاله : وكتبت على شجرة بوادي دمشق وقد اتخذت في ذَراها مقيلا ، وأنخت في ظلها الوارف أصيلا ، وقد كستْ متنَ بَرَدَى ، من ظلها الألمى بردا ، فوصفت ذلك المقيل بما صورته من المقال :

يا سرحة الوادي سُقيتِ من الحيا   غدقاً يواصل ذيله بقطارهِ (٢)
لم أنس يومي في ذَراكِ (٣) وحبذا   من ظلك الألمى دبيب عذاره
لما أنختُ بجانب النهــر الذي   قد طاب لي عيشٌ مضى بجواره

(١) الديوان ورقة ٥٣ .
(٢) الديوان ورقة ٣٩ .
(٣) الذَرا : الستر .

حيث النسيم جرى عليه مهيمناً   فكأنما ناجاه بعض سراره
فتجعدتْ منه الأسرة واغتدى   تجريره ينبيك عن أخباره
يا طيب ذيالك النسيم جرى على   بَرَدَى يسابق ذيله بعثاره
قد رحتُ منه بالشميم مضمخاً   مما حباه الروض من أزهاره)

وكان مأخوذاً بحب الأزهار ، ولشدة شعوره بجمالها يتخيلها أحياء تحس وتتألم وتفرح وتحزن ، وقد وصف غير قليل من أنواعهــا كالورد والقرنفل والياسمين بألوانها المختلفة والنرجس والبنفسج والسنبل ، وكان القرنفل أحب الأزهار إليه قال فيه غير قليل من المقطوعات ، وجاراه في هذا الباب عدد من شعراء دمشق أشهرهم الأمير منجك الذي كان صديقاً له .

ووصف الربيع ومواكبه الساحرة ، والحمائم والبلابل والشحارير وسجعها والأنهار وهبوب الرياح والنسيم الواني (١) (على حد تعبيره) والروائح الذكية والسحب والمطر وما إلى ذلك من محاسن الطبيعة وبواعث الشعر .

ووصف ليالي الأنس وأوقات الصفاء ومجالس الطرب وما فيها من لهو وعبث وشراب وغناء ورقص وله في ذلك مزدوجة لطيفة أولها :

يا مؤثر اللهو وطيب النعمة   ورافعاً فيه سجوف الحشمة (٢)

(١) ورد في الديوان قوله :
بكر الروض بالنسيم الواني   وتحلى الربيع في ألوان
ورقة ٧٩ .
(٢) الديوان ورقة ٧٥ .

وفي الديوان قصيدة[١] فريدة في بابها ليس لها نظير ، ذكر فيها مجالس الأنس والطـرب والمغنين والندماء في الدولتين الأموية والعباسية الى عهد الراضي ، مراعياً الترتيب الزمني ، وختمها بذكر البرامكة والحمدانيين وابن العميد والصاحب بن عباد ، والأماكن المشهورة بالحسن. ونحن ننقل هذه القصيدة من الديوان مع ما كتب على الهامش وبين السطور من الشرح المختصر ، ونجعله في الذيل ، وما كان منه بين هلالين فهو من زياداتنا ؛ وأمكنة الفراغ ممحوة في الأصل أو غير مقروءة أو ذهب بها تقريط الجلد في الحبك والقطع .

* * *

(١) الديوان ورقة ٢٩ .

قال يذكر بني أمية وبني العباس وندماءهم وأرباب الغناء من المشاهير :

كلما جدّدَ الشجيُّ ادّكارَهْ أزعج الشوقُ قلبه واستطارَهْ[١]
ليت شعري أين استقل عن اللهـــوِ[٢] بنوه وكيف أخلوا مزاره
بعد ما راوحتهمُ صفوةُ العيـــشِ ونالوا طوعَ الهوى أوطاره
وجروا في مطارد الأنس طلقاً واجتلوا من زمانهم أبكاره
بين كأسٍ وروضةٍ وغدير وسمـاعٍ ولذةٍ وغضاره
أين حلوا فمعشبٌ ومقيل أو أناخوا فوردةٌ وبهاره
من مليكٍ زُفّتْ بحضرته الكأ سَ قيانٌ يعزفن خلفَ الستاره
ووزيرٍ قد بات يسترق اللذا تِ وهناً والليلُ مرخٍ إزاره
وأمـيرٍ ممنطقٍ بنداما هُ وكأس الطلا لديهم مُداره
كم فتىً من بني أمية أمسى وخيولُ الهوى به مستطاره

(١) استطاره الشوق عبارة عن غاية

قال الوزير ابو محمد بن عبدون يذكر

فما أنس لا أنس عهدي بها وجرّي فيها (ذيول المراح)
فكم لي في اللهو من طيرة

(٢) بنو اللهو : هم الذين تعاقروا أكوانه ، وركبوا نجائبه وأفراسه . وللصاحب في نحوه : أبناء الحروب الذين ذاقوا كؤوسها حلوةً ومرة ، والتحفوا لباسها مرةً بعد مرة . وأما بنات اللهو فتقال للأوتار . قال ابن المعتز :

أقمت لشربها طرباً وعندي بنات اللهو تعبث بالوقار
ونجم الليل يركض في الدياجي كأن الصبح يطلبه بثار

كيزيدٍ[1] وشأنه مع أبي قيـــسٍ وما قد عراه في عَمّارهْ

ونَداماه كابن[2] جعدة والأخـــطل إذ عاقراه صفواً عقاره

وقضى ليله مع ابن زيادٍ[3] وقتيب[4] بن مسلمٍ ونهاره

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس وكنيته أبو خالد . وأبو قيس قرد له كان ينادمه يكنى أبا قيس ، فكان إذا رآه قال : شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخه الله قرداً ؛ فربما وثب فقعد على عاتقه وربما عب معه في الكأس ، وإذا قعد على وسادة الندام اتكأ على مثل اتكائه ؛ ولما مات كفنه ودفنه وأمر أهل الشام عليه وعزوه فيه وله يقول يزيد :

نديمي أبو قيس أخف مؤونة وأحلم إما غاب حلم المنادم

وعمّارة : أخت الغريض وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، أخذت الغناء عن أخيها وعن ابن مريح وابن محرز وفيها يقول بعض فتيان العرب :

لما تمنيت ما اشتهيت لكانت غاية النفس في الهوى عمّاره

يأبى وجهها الجميل الذي يز داد حسناً وبهجةً ونضاره

(٢) ابن جعدة : هو قدامة بن جعدة بن هبيرة الخزرجي . والأخطل : هو الشاعر المشهور واسمه غياث بن غوث من بني تغلب ويكنى أبا مليكة (كذا والصواب أبا مالك) وكان نصرانياً من أهل الجزيرة وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة .

(٣) هو مسلم بن زياد وكان نديماً ليزيد .

(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان شهماً مقداماً وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهو صاحب الحرون وكان الحرون من المشاهير يضرب به المثل .

وكمروان[1] وابنه حين ولّى بلذاذات عيشه سُمّاره

نادمته أبناء[2] يالية اللا ني قضى في ربوعهم أسحاره

وكمثل الوليد[3] ذي القصف إذ كا ن يغب اصطباحه وابتكاره

ولديه الغَريض[4] وابن سُرَيج أظهرا كل صنعة مختاره

من غناء ألذ من نشوة الكأ س وأشهى من صبوة مستثاره

وسليمان[5] ذي الفتوة إذ كا ن لنحو الذلفاء[6] يبدي افتراره

(١) ومروان بن الحكم وكان غليظاً . وابنه : هو عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ويكنى أبا الوليد ويقال له أبو الأملاك وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده .

(٢) (أبناء يالية : هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة كان يأتيهم ليلاً وينادمهم) .

(٣) (الوليد بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٨٦ وتوفي سنة ٩٦ كان من أفضل خلفاء بني أمية) .

(٤) الغريض : قال صاحب الأغاني اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل كان يكنى أبا مروان ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر فلقب بذلك والغريض الطري من كل شيء وهو أحد المغنين ورئيسهم . وابن سريج : هو أبو يحيى عبيد الله بن سريج ذكر صاحب الأغاني أنه كان أحسن الناس غناءً وكان يغني مرتجلاً ويوقع بالقضيب .

(٥) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان كان أكولاً قيل إنه نزل بالطائف فأكل سبعمائة رمانة في يوم وخروفين وست دجاجات وأربعة صحون لوزينج .

(٦) الذلفاء : مغنية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت إليه .

ويزيد بن (١) خالدٍ وأبوزيـــدٍ نديمان يشفيان أُوارهْ

بحديثٍ يستعجل الراح بالرا ح ويحثث أنجماً سيّاره

إذ بمغنى سنان (٢) كان يغالي ويجلّي بشدوه أكداره

وابن عبد العزيز (٣) إذ راوح الكأ س ووالاه في زمان الإماره

ويزيد (٤) المعمود إذ خامرته نشوة الراح ليله ونهاره

وسبت لبه حُبابة (٥) واستهــوته حتى أباح فيها اشتهاره

واستمالت به سَلامة (٦) حتى أقلق الوجد فكره وأثاره

إذ يناجيه لحن مَعْبَد (٧) بالشجـــو كما شاء معملاً أوتاره

(١) يزيد بن خالد التميمي كان سليمان يخصه وينادمه . وأبو زيد الأسدي كان خاصاً به يجالسه وينادمه ،

(٢) مغن كان يأنس به سليمان بن عبد الملك ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أشج بني مروان وأعدلهم .

(٤) يزيد بن عبد الملك مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره ودفن بالبلقاء .

(٥) حبابة جارية كانت تسمى العالية أخذت الغناء عن ابن سريج وكانت مدنية شغف بها يزيد فكان يوماً يلاعبها فضربها بحبة رمانة وقيل بعنبة فدخلت في حلقها فشرقت فماتت فامتنع من دفنها حتى أنتنت دفنها قهراً عليه (كذا) .

(٦) سلامة جارية اشتريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء .

(٧) هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين .

ولكم ألّف الغنـــاء لديه ضرب عوّادة على زمّاره

وهشام (١) إذ استبدّ اختياراً بالرساطون (٢) واستلذ اختياره

من شرابٍ ظلت أفاويه (٣) العطـــر به ذات نفحة سيّاره

والوليد (٤) المليك إذ واصل الكا سات واللهو جهده واقتداره

واغتدى في تهتكٍ ومجونٍ كان يجني قطوفه وثماره

ومناه ذكرى سليمى (٥) لوجدٍ ظل يذكي لهيبه واستعاره

إذ يغنيه مالكُ (٦) بن أبي السمــح وعمرو (٧) الوادي فينفي وقاره

ولكم خفف ابن عائشة (٨) اللحـــن له فاستخفه واستطاره

(١) هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(٢) الرساطون : شراب كان يصنع لهشام يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قوياً صلباً وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتزندق كان محباً للشراب واللهو والطرب وقتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٥) سليمى : هي بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل .

(٦) مالك بن أبي السمح الطائي جاء في العقد لابن عبد ربه أنه أخذ الغناء عن معبد بن وهب وكان لا يضرب بالعود وإنما يغني مرتجلاً .

(٧) (كذا والصواب عمر الوادي من أهل وادي القرى اتصل بالوليد ابن يزيد بعد أن أخذ الغناء عن أهل الحرم فآثره الوليد وأنس به) .

(٨) هو محمد ابن عائشة ويكنى أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وبغنائه يضرب المثل .

وابن ميّادة(١) بن أبرد والقا سم(٢) كانا يحشحشان عقاره
بتدامٍ ألذ من زورة الحب وأبهى من روضة في قراره
وبُذيح(٣) أتى بأمر عجاب إذ تولى على القرود الإمارة
ويزيد(٤) المليك إذ كان يهوى صوت حدو الحداة في كل تاره
وتغني الركبان مذ كان منشا ه البوادي حتى اعترته الحضاره
وكمروان(٥) ذي الفتوة إذ كا ن يوالي في غبطة أسفاره
فيرى اللهو والسماع مناه ويرى الحرب قطبه ومداره

* * *

(١) ابن ميّادة اسمه الرمّاح بن أبرد من غطفان (شاعر فصيح) كان ينادمه ويحدثه حديث الأعراب .

(٢) هو القاسم (بن) الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه اليه وأخصهم به .

(٣) بذيح مولى عبد الله بن جعفر (كان يضرب به المثل في حسن الصوت).

(٤) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص لأنه نقص الجند من عطاياهم فلقب بذلك وقيل لأنه ناقص الوركين وقيل لقصر يديه وكانت المعتزلة تفضله على عمر بن عبد العزيز لكونه ينتحل مذهبهم .

(٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي وكان زنديقاً ويلقب برأس الحمار لشجاعته وقيل لبلادته وبه تم ملك آل مروان وخلافة بني أمية وأتى الله بالدولة العباسية . وخلفاء بني أمية من لدن معاوية الى مروان الجعدي أربعة عشر رجلا .

وكآل العباس إذ كان عبد(١) الله يقضي طوع المنى أوطاره
كم غدا ليلة الثلاثاء والسبت يوالي الغبوق بالقرقاره
وابن صفوان(٢) في الندامى يعاطيه كؤوس الحديث خلف الستاره
ولديهم أبو دلامة(٣) طوراً يصطفيه ويجتلي أشعاره
وتحسّى منصورهم(٤) من وراء النسك راحاً والى عليها استتاره
حل منه ابن جعفرٍ(٥) في نداما ه محلاً إذ كان يبلو اعتشاره
فيراه فيهم ظريفاً أديباً لسناً حاذقاً لطيف الإشاره
ثم كان المهديّ(٦) يجلس للأنس فيصفي لشربه أوطاره

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس) .

(٢) هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس السفاح ينادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته .

(٣) أبو دلامة اسمه زيد بن الحرث وكان فصيحاً كثير النوادر ماجناً خليعاً مدمناً للشراب راوية للأخبار والأشعار .

(٤) المنصور هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أخو أبي العباس السفاح لأبيه (ثاني خلفاء بني العباس) .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس كان المنصور يأنس به ويلتذ بمحادثته .

(٦) المهدي هو محمد بن المنصور وهو الذي زاد ... الحرام وبنى الملين .

وفُلَيح[1] العوراء يشدو لديه فيسنّي حنينه وادكاره

ولديه ترب الغناء أبو إسـحق[2] يشدو بصنعة ومهاره

ثم كان الهادي[3] إذا حاول الشر ب وغنى ابن جامع[4] مختاره

يتولّى النّدام عيسى[5] بن دأب بكؤوس من الحديث مُداره

ويفيض ابن مُصعَب[6] في نثير الـ ـقول من حيث ينتقي أبكاره

وتحسّى الرشيد[7] في دير مُرّا ن على كل تلعة وقراره

من مدام حكت رهابنةُ الديـ ـر بها في بهارة جُلّناره

وعلى ضرب زَلْزَلٍ كان برصو ما لديه مواصلاً مزماره

---

(١) فليح بن العوراء المغني .

(٢) هو ابراهيم الموصلي المشهور بالغناء .

(٣) الهادي هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن المنصور .

(٤) (اسمعيل بن جامع من أشهر المغنين ومن طبقة ابراهيم الموصلي) .

(٥) (كان عيسى بن دأب من أكثر الناس أدباً وأكثرهم حظوة عند الهادي) .

(٦) (هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شاعر فصيح خطيب) .

(٧) الرشيد هو أبو جعفر هرون الرشيد بن المهدي لبث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وحج ماشياً رحمه الله تعالى . ودير مران بناحية من دمشق يشرف على قرى ومزارع وغدران ورياض .

(٨) زلزل اسمه منصور كان يضرب (بالعود) فقط من الطبقة الأولى . وبرصوما كان زامراً في الطبقة الثانية فطرب منه الرشيد يوماً فرفعه الى الطبقة الأولى .

ثم كان الأمين[1] يمرح من لذا ته في أعنّة موّاره

إذ ترامى بحب كوثر[1] حتى سكن الحب قلبه واستخاره

ولديه مُخارق[2] في المغنيـ ـن وبَذْل[3] الكبيرة المهاره

والحسين الخليع[4] ينثر عقداً من ندام يشف تحت العباره

ويزف ابن هانئ[5] للفكاها ت كؤوساً من الهوى مستعاره

وأدار المأمون[6] أكواب راح شعشع القصر نورها واستناره

حيث علوية[6] المغني واسحـ ـق[8] يزفان في الدجى أقماره

---

(١) محمد الأمين بن هرون الرشيد وأمه زبيدة هاشمية ، ولم يل الخلافة بعد علي بن أبي طالب هاشمي وأمه هاشمية غيره ، كان فصيحاً أديباً عالماً بأيام الناس وكان له خادم اسمه كوثر وكان يهواه حتى قال فيه :

ما يريد الناس من صـب بمن يهوى كئيب
كوثر ديني ودنيا ي وسقمي وطبيبي

(٢) مخارق كان مملوكاً لامرأة من أهل الكوفة فاشتراه منها اسحق ابن ابراهيم (الموصلي وعلمه الغناء فبرع فيه) فأخذه الرشيد منه .

(٣) بَذْل : جارية كانت لجعفر بن موسى (الهادي أخذها منه الأمين وهي إحدى المغنيات المحسنات) .

(٤) (هو الحسين بن الضحاك الباهلي المشهور بالخليع الشاعر النديم) .

(٥) أبو نواس (الحسن بن هاني الشاعر المشهور) .

(٦) المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد .

(٧) علوية (هو أبو الحسن علي بن عبد الله كان مغنياً حاذقاً) .

(٨) (اسحق بن ابراهيم الموصلي كبير المغنين العالم الأديب الشاعر النديم) .

حيث يحيى(١) بن أكثم يتولى   بسطه وابن طاهر(٢) أسماره

وعُرَيب(٣) مع القيان تغنيـه   بصوت تخيرت أشعاره

وابن هرون(٤) كان يألف إبرا   هيم(٥) شوقاً ويستلذ اعتشاره

واغتدى الواثق(٦) المقدّم في الشعـ   ـر على الكأس معملاً أدواره

إذ تولى بأمره مهج(٧) الخا   دم عند اصطباحه إسكاره

واغتدى أحمد النديم(٨) على شر   ط بني اللهو ناشراً أخباره

وانثنى الفتح(٩) ينتحي من أحاديـ   ـث الهوى ممتعاته وقصاره

(١) (يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون أحد أعلام الدنيا علماً وأدباً وعقلاً).

(٢) (هو عبد الله بن طاهر من أكابر رجال المأمون).

(٣) عريب جارية عبد الله بن اسمعيل صاحب المراكب كانت أحسن الناس وجهاً وغناء.

(٤) هو محمد المعتصم بن هرون الرشيد.

(٥) هو ابراهيم بن المهدي المتقدم ذكره الشاعر المشهور (كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة).

(٦) الواثق بالله هرون بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد.

(٧) مهج: (خادم الواثق الذي كان يأنس به ويهواه وله فيه أشعار كثيرة).

(٨) (هو أحمد بن حمدون كان مقرباً من الواثق وله كتاب الندماء والجلساء).

(٩) الفتح هو الفتح بن خاقان (ومن حقه أن يذكر مع المتوكل لأنه مستشاره وصفيه).

فتنتـه فريدةٌ(١) وعلى قد   ر الهوى يخلع المحب وقاره

وأبو الفضل(٢) كان يغدو على الرا   ح مبيداً لُجينه ونُضاره

حيث كان الكشحي(٣) يأخذ عرض القـ   ـول فيما أحبه واختاره

وزُنامٌ(٤) بالزمر يعزف طوراً   وبنانٌ(٥) بالعود تضرب تاره

ويغني عمرو(٦) بن بانة والطبـ   ـل عليه سلمان(٧) يبدي اقتداره

وأبو جعفرٍ(٨) أزاح اغتناماً   مع يزيد المهلبي(٩) استتاره

وغدا المستعين(١٠) يحرق للند   مان بالمن نده وصُواره

(١) فريدة جارية الواثق كان أهداها له عمرو بن بانة فحظيت عنده وكانت من الموصوفات بالجمال الفائق والغناء الرائق.

(٢) هو جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد.

(٣) أبو بحر كان من أطيب الناس وأكثرهم نوادر وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به.

(٤) (زنام: زمّار حاذق).

(٥) (من الجواري المحسنات وهي شاعرة).

(٦) عمرو بن بانة من المغنين (المشهورين وهو معدود في الندماء وله شعر).

(٧) طبّال ماهر.

(٨) هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل على الله.

(٩) هو يزيد بن محمد المهلبي مدحه ونادمه حتى اشتهر به.

(١٠) المستعين بالله هو أحمد بن محمد المعتصم (الند: العنبر والصوار: المسك).

ثم هام المعتز (١) بابن بُغـاء (٢) … عندما شام وجهه وعذاره

وانثنى ابن القصّار (٣) طوراً يغنيـ … ـه بحذقٍ مرقصاً طنباره

فيناجيه بالهوى ويناغيـ … ـه ويذكي بين الأضالع ناره

وبدا المهتدي (٤) فكان اصطناع الـ … ـعرف والجود سمته وشعاره

وأناخ ابن جعفرٍ (٥) في مدار الـ … ـقصف والعزف نافياً أكداره

ومناه في الشدو شدو غريب (٦) … كلما اعتاده الهوى واستثاره

واحتسى دِرّة الكروم أبو العبا … س (٧) والدَّجْنُ يستدر قُطاره

نادمته أبناء حمدون (٨) واستهـ … ـواه بدرٌ (٩) حين اجتلى إبداره

ورَذاذٌ (١٠) موقّعٌ بغناء … ينتحيه بصنعةٍ مختاره

(١) المعتز أبو عبد الله بن جعفر المتوكل .

(٢) هو يونس غلامه وكان يفرط في الشغف به .

(٣) (ابن القصار: مغن بارع ومن أشهر الطنبوريين .والطنبار والطنبور واحد).

(٤) هو محمد المهتدي بن هرون الواثق بالله .

(٥) هو أبو العباس أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل .

(٦) هي غريب المأمونية وكان معجباً بغنائها .

(٧) هو أحمد المعتضد بن طلحة الموفق .

(٨) (آل حمدون جماعة نادموا الخلفاء كما في الفهرست لابن النديم) .

(٩) هو بدر الجلنار غلامه .

(١٠) (رذاذ : مغن ورد ذكره في الأغاني)

واغتدى المكتفي (١) يمرح والصو … لي (٢) يروي بربعه أشعاره

وأبو الفضل (٣) كان يرتع من رو … ق صباه في جدّةٍ ونضاره

حرق الند والكبا الرطب والعنـ … ـبر مستمتعاً وعاف ادخاره

وأقام الراضي (٤) يفرق ما بيـ … ـن الندامى في كل وقتٍ نثاره

رب كاسٍ له بقية شاذ كلا … وفي حجرة الرخام أداره

ونعيمٍ والاه في حجرة الأُتـ … ـرُجّ والماء قد أثار بخاره

ليت شعري أين استقل بنو بر … مك (٥) من بعد ما تولوا الوزاره

حين كانت أيامهم غرر العيـ … ـش وكانت أكفهم مداره

والوزير المهلبي (٦) وما نو … ل وابن العميد (٧) ترب الصداره

وكذا الصاحب (٨) بن عبّاد حيّا … ه وحيا نظامه ونثاره

(١) المكتفي هو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد .

(٢) (هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الأديب المشهور نادم المكتفي والمقتدر والراضي وكان أوحد زمانه في لعب الشطرنج) .

(٣) (هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد) .

(٤) الراضي هو أبو العباس القاهر بن جعفر .

(٥) وزراء الرشيد .

(٦) (يزيد بن محمد المهلبي وقد تقدم الكلام عليه) .

(٧) (أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الأديب المشهور) .

(٨) (الصاحب هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد صاحب ابن العميد ونظيره في الأدب والمنزلة والعمل) .

بل وأين السراة من آل حمدا — ن[١] وما قد تخولوا في الإمارهْ

أين أهل العراق والفرس ممن — رفهوا عيشهم وخاضوا غماره

أين من بات رافعاً لبني اللهـــو والملمين بالتحايا عَماره[٢]

أين من راح والمجاسد تردا — ن عليــه بأعين النظّاره

طوقتـه المخـانق البرميا — ت فكانت بين الظراف شعاره

وتردتْ منه العواتق بالمنديـــل مذراح عاقــداً زناره

توجوا رأسه بإكليـل آسٍ — وأناطوا بجيــده تِقصاره[٣]

وعلى الأذن منه ريحانة من — أذرِيونٍ[٤] كمن يروم سراره

أين من كان جانبُ الزهو مينا — ساً لديه والعيش يندى غضاره

ينتحي منتّحَى المروءات طلقاً — في لذاذاته ويبدي افتراره

وترى عنــده مزمّلة[٥] المـا — ء وخيش النسيم يعلو جداره

وسحاب البخور يهطل منـــه — ماء ورد يزجي النسيمُ قطاره

(١) (الأمراء الحمدانيون من أشهر أمرائهم سيف الدولة ممدوح المتنبي).

(٢) (العَمارة بالفتح : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله).

(٣) (التقصارة : قلادة شبيهة بالمخنقة).

(٤) (أذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود).

(٥) (المزمّلة : جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) ومروحة الخيش كشراع السفينة يعلقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء).

أين من كان في فضاء من الغـــوطة[١] قدماً يجلي بها ابصاره

أين من بات ناعماً في مغاني — شِعب[١] بوّان ناشقاً أزهاره

أين من أطلق النواظر في صُغْـــد سمرقند[١] واجتلى أنواره

أين من حـــلّ بالأُبُلّة[١] قدما — وجلا في رياضها أفكاره

أين من بات بالسّماوة[٢] في ميـــناف روضٍ ينشـه أسراره

بنسيمٍ يحل في غلس الأســـحار عن جيب نوره أزراره

حيث تندى مباسم الزهر فيه — وتَلَقّى أنفاســه زُوّاره

فسقتْ عهد من مضى أدمع المز — ن وجادتْ بصوبها آثاره

ما سرتْ نسمة الصباح بروضٍ — عبقريٍ فهيّجتْ أطياره

خليل مردم بك

* * *

(١) (غوطة دمشق وشعب بوّان وصغد سمرقند والأُبُلة (في خليج البصرة) جنان الأرض الأربع وأجلها الغوطة كما في معجم البلدان).

(٢) (السماوة بلدة على الفرات وبادية السماوة بين الكوفة والشام).

ديوان

ابن النقيب

عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني

الملقب بابن حمزة وبابن النقيب

١٠٤٨ - ١٠٨١هـ

هذا ديوان السيد الحسيب والفاضل

الأديب السيد عبد الرحمن بن

النقيب طيب الله ثراهما

وجعل في بحبوحة

الجنـــان

مأواهما

م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أعِنْ

الحمدُ للهِ الذي فَجَّرَ للذبيحِ[1] ينابيعَ البيانِ ، وأدارَ العربيّةَ البيّنةَ منّةً على ذرَبةِ[2] اللسان ، وأجرى على يديه تأسيسَ قواعد

---

(١) الذبيح : فعيل من الذبح ، مذبوح ، وهو ابني اسماعيل بن ابراهيم الخليل بن آزر عليهما السلام ، رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة ، أول من نطق لسانه بالعربية المحضة التي تنزل بها القرآن الكريم (لغة قريش) . راجع : (المزهر) ج ١٠ ط . صبيح وأولاده ــ القاهرة ، ص ١٨ ، والأعلام جزء ١ ، ص ٣٠٧ ، واللسان والقاموس مادة (ذبح) .

(٢) الذربة ، فعلة على وزن ظلمة ، وكتبة ، جمع ظالم وجمع كاتب ، والذَّرِب : الحاد من كل شيء ، يقال لسان ذَرِب : فصيح ، وسنان ذَرِب ومُذَرَّب : حاد ، قال كعب بن مالك :

وبكل أبيض كالغدير مُهَنَّد ... بمُذَرَّباتٍ بالأكف نواهـــل

وهو من الأضداد ، يقال : ذَرِب لسان الرجل يَذْرَبُ : إذا فسد ، وذَرِبَتْ معدته ذَرْبًا فهي ذَرِبة من باب تعب ، فسدت » : « اللسان والمصباح المنير » مادة (ذرب) .

أفصح اللغات ، وجعله أبا عُذرة[١] التصدّي لتمهيد طرق أتم البلاغات ، وقفًا على أثره من العرب العَرْباء[٢] بفروع نبعته ، ووارثي سليقته ولهجته من كل شاعر مُفلق[٣] برّز على الملكيْن بنُفاثة[٤] سحره ، وخطيبٍ مِصقعٍ[٥] صَرّحتْ عن مكنونِ

(١) يقال : فلان أبوعُذر فلانة إذا كان افترعها وافتضها ، وأبو عُذْرتها . والعُذْرةُ : الختان ، (اللسان) : مادة (عذر) .

(٢) العرباء : هم الخُلّص من العرب ، وأخذ من لفظه فأكّد به كقولك ليلٌ لائلٌ ، يقال : عرب عاربة ، وعرباء : صُرَحاء ، — اللسان مادة (عرب) .

(٣) الشاعر المفلق : الذي يأتي بالعجيب ، يقال : أفْلَقَ الشاعر : أتى بالعجيب كافتلق ، (القاموس) : (فلق) . وفي المصباح المنير : أفْلَقَ الشاعر بالألف : أتى بالفَلَق والفِلْق ، ضوء الصبح — مادة (فلق) .

(٤) والنُفاثة : ما تنفثه من فيك ، والنُفاثَة : الشظية من السواك تبقى في فم الرجل فينفثها ، وفي المثل : لا بد للمصدور أن ينفث ، وبنو نُفاثة : حيّ . وفي الصحاح : قوم من العرب ، وفي الحديث : (ان النبي ﷺ قال : أن روحَ القدس نفثَ في رُوعي وقال : إن نفسًا لن تموتَ حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » اهـ . اللسان مادة (نفث) .

(٥) مِصْقع : بليغ .

البلاغةِ شقاشقُ[١] هدره ، وكاتبٍ بليغٍ وقفَ في الكلام على ملاك أمره ، فأعلَوْا منار الأدب ، وافترعوا أبكارَ النخب ، وجاءوا من المُلَح بما لا يكاد يقضى عنده العجب ، ثم قفا على أثر هؤلاء بآخرين قيدوا أوابد قريضهم[٢] ورجزهم ومقاطعاتهم[٣] . ودَوّنوا شوارد قصيدهم وخطبهم ومقاماتهم ، على أن ما منهم إلا من إذا صرّحَ مَحضُهُ عن زبده ، قلت إنه في هذه الصناعة نسيجُ وحده ، أو تأملت مراه في طرق الافتنان ، وتتبعت مرماه في صدق البيان ، حكمت عليه

(١) الشقاشق : جمع شِقشِقة بالكسر ، وهي شيء كالرئة يُخرجه البعير من فيه إذا هاج والخطبةُ الشقشقيةُ العلوية ، لقوله لابن عباس لما قال له لو اطّردَتْ مقالتك من حيث أفضيت ، يا ابن عباس هيهات تلك شِقشِقةٌ هَدَرَتْ ثم قرّت ، القاموس مادة (شقق) .

(٢) يقال أبدَتْ الوحوش : نفرت من الإنس فهي أوابد ، ومن هنا يقال للألفاظ التي يدق معناها أوابد لبعد وضوحه ، — (المصباح) ، مادة (أبد) . والقريض : الشِعْرُ .

(٣) الصحيح ، مُقَطّعاتهم : جمع مُقَطّعة كمُعَظّمة ، والمُقطّعات : القصارُ من الثياب ، الواحد ثوب ولا واحد له من لفظه ، ومن الشِعْر قِصاره وأراجيزه .. (القاموس) مادة (قطع) .

بأنه خِرّيت [١] طرقها ومحرز قصب سبقها ، والصلوة والسلام على من تَمَلّأ من العلم [١] بُرْدَيه [٢] ، وبلغ فيه أطورَيه [٣] ، رسوله المستودع من جوامع الكلم ما ينفد دون تفاصيله البحر ، القائل أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش واسترضعت من بني سعد بن بكر ، وعلى آله وصحبه ، وشيعته وحزبه ، ما لهجَ لسانٌ بذكر ، وخطّ بنانٌ بسِفْر ، وبعدُ ـ فلما كان الأدبُ كيسَ اللسان ، وزبرجَ النطقِ والبيان ، عَنّ للخاطرِ ، والفكرِ الفاتر ، جَمْعَ كلام سيدي الوالد ، ريحانة رياض الفضل والأدب ، ونتيجة مقاييس المجد والحسب ، مُحرز رهان الافتنان ، والرامي بسهام الزَّكَن

---

(١) الخِرّيت : الدليل الحاذق بالدلالة ، كأنه ينظر في خُرْتِ الإبرة : ثقبها ، قال رؤبة بن العجاج :

أرمي بأيدي العيس إذ هوَيتُ ... في بلدةٍ يعيا بهـا الخِرّيتُ

(اللسان) مادة : (التاء) .

(٢) مثنى : بُرْد وهو الثوب .

(٣) يقال بلغ أطْوَرَيهِ : أي غاية ما يحاوله ، والطَّوْرُ : الحدُّ بين الشيئين ، وعدا طَوْرَه : جاوز حدَّه وقدْرَه ـ (اللسان) مادة (طور) .

في حَدَقِ البيان [١] ، هو السيدُ عبد الرحمٰن ، والذي لم تسمح بمثله أمُّ الليالي في أوان ، ولم يبتسم لنظيره ثغرُ العرفان ، من افتخر الزمان بآدابه ، ودخل الى الفضل من أبوابه ، أقامَ سوقَ الأدب على ساق ، وجلَبَ إليها تجارة الرغبة وَساق ، نجل من نظمَ الدهرُ محاسنَه حلياً في جيدِه ونحرِه ، وأعربَ به المجدُ عن صميمه وفسح له المجدُ في صدره ، علاّمة عصره وزمانه ، وأديب وقته وأوانه ، السيد محمد النقيب عمهما الله بغفرانه ، وأسكنهما فسيح جِنانه ، وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده ، ولمّ شعث [٢] مقاطيعه وقصائده ، فأعملتُ جَوادَ العزمِ في تطلابه من مُسَوَّداته ، وتلقفته من أفواهِ رواته ، حتى أحللت في ستائر هذه الأوراق من كل خريدة غذاها العلم بدَرِّه ، وحَلاّها البيانُ بدُرِّه ، فانجلتْ بفصاحة تسلب العقولَ ،

---

(١) الزَّكَن : الفطنة والفهم ، والحدق : جمع حدقة : سواد العين . وتجمع أيضا على : حدقات ، مثل قصبة ، وقصب ، وقصبات .

(٢) الشَّعْثُ والشَّعَثُ : انتشارُ الأمر وخَلَلُه ، يقال لمَّ الله شعثك : جمع أمرك ، والتشعثُ : التفرق ، قال كعب بن مالك الأنصاري :

لمَّ الإله به شعثا ورمَّ به ... أمورَ أمتِهِ والأمرُ منتشِرُ

للسان (شعث) .

وبلاغةٍ تُوجبُ الذهولَ ، وألفاظ أنالتِ المرغوب ، وخالطت بشاشتُها القلوب[٢] ، ونزعات رائقة ، وأساليب فائقة ، فإذا تصفحت هذه السطور ، وتلمحت هذا الحسن المسطور ، علمت أن لكل ذي فضل فضله ، ولكل نصيب فيما تركَ له من قبله ، وقضيتَ بالعجب ، وكانت لصلاتِ الترحم أقوى سبب ، وربما شذَّ عني شيء منه ، واحتجب طرفي عنه . فإذا ظفرت به ألحقته بموضعه ، وأوقعته بموقعهِ ، وقد رتبتُه على الحروفِ ، والأسلوبِ المألوف ، وعلى اللهِ سبحانه الاتكال ، في المبدأ والمآل[٢] .

★ ★ ★

حرف الهمزة

قال تغمده الله تعالى بعفوه :

حيّا الصِبا ونعيمَه إذ نحنُ نَرتعُ في فِنائِهْ[١]
أيامَ نسترقُ المنى والدهرُ يَبسِمُ عن رَخائه
والجوُّ معطـورُ الهوا ءِ تخال روضاً في سمائه
والروضُ نديانُ الثرى فينان يشرقُ في رُوائه
ونسيمه اللّدنُ[٢] العطِـــرُ يكاد يعثُرُ في ردائه
والغصنُ يقطـر طلّهُ والنّور[٣] يلمعُ في ازدهائه

(١) الفِناء مثل كتاب : الوصيد ، وهو سعة أمام البيت ، وقيل ما امتد من جوانبه (المصباح) مادة (فن) . .

(٢) اللّدْنُ : الليّن من كل شيء .

(٣) الطَلّ : المطر الخفيف ، وقيل أضعفه ، أو النّدى ، جمعه : طِلال وطِلَل كعنب . القاموس والمصباح مادة (طل) . والنَوْر : زهر النبت واحدتها نَوْرة : مثل تمر وتمرة ويجمع على نُوار . .

ن (٤)

والطيرُ يَحكِي الموصليَّ(١)(م) إذا تأنقَ في غنــائه

والنهر خلت به الحصى حَبَباً(٢) تنكَّسَ من ورائه

ينسابُ في سُرُرٍ وأعكا نٍ(٣) تَموجُ على التوائه

والورد فَرْوَزَهُ البها رُ(٤) فزاد معنًى في بهائه

والعيشُ مخضرٌ الأرا كةِ والصبا يَندى بمائه

(١) هو اسحاق بن ابراهيم بن ميمون ، فارسي الأصل ، ولادته ببغداد في عام ١٥٥ هـ/ ووفاته فيها في عام ٢٣٥ هـ ، موسيقي وملحن كبير ، له فضل على الموسيقى العربية ، وهو الى ذلك عالم فاضل ، وأديب شاعر ، كانت له يد طولى في علم الفقه والحديث والكلام ، نادم الرشيد والمأمون والواثق ، تفرد بصناعة الغناء ، من أفراد الدهر أدباً ، وعلماً وظرفاً ، وقد عمي قبل وفاته بسنتين ، ولما نعي الى المتوكل قال : « ذهب صدر عظيم من جمال المُلك وبهائه وزينته » .

(٢) الحَبَبُ : فقاقيع تطفو على سطح الماء ، وهو الحَباب ، قال الشاعر : سُمُوَّ حَباب الماء حالاً على حالِ

(٣) أعكان : ج عُكْنَة وهي الطيُّ في البطن من السمَن ، ويجمع أيضاً على عُكَن مثل : غرفة وغرف .

(٤) يقال فَرْوَزَ الرجل : مات ، وهنا بمعنى جَلاه ،

والبَهار : جاء في المصباح المنير مادة (بهر) : « البهار وزن سلام ، الطيب ومنه قيل لأزهار البادية بَهار » ، وجاء في اللسان مادة (بهر) : البَهار : كلُّ شيء حسنٌ مُنير ، ويقول الأزهري أراها فارسية مُعرَّبة .

حيثُ الهوى كأسٌ يُحثُّ (م) ونحنُ نكرعُ في صفائه [1]

يَسعى بهــا رشأٌ كأنَّ (م) الغُصنَ يَمرحُ في قَبائه(١)

تَرِفٌ غريرٌ يرجحنَ (م) من الغضارة في مُلائه(٢)

قد خفَّــرته(٣) يدُ النعيــمِ وحنَّنتهُ(٤) يدُ انتشائه

نرعى رخيم الدَّلِّ من أعطافه عنــد انثنائه

ونرى دقيقَ الحسن من أطواقه عنــد اجتلائه

حيّاً بها والورد يحكي ما تحــدَّرَ(٥) من حيائه

(١) الرشأ : ولد الظبية إذا تحرّك ومشى وهو الغزال . والجمع أرشاء ، ويريد به هنا الحبيب ، على عادة شعراء العرب . والقَباء (بالفتح) : ثوب يُلبس فوق الثياب جمع أقبية . والقِيباء (بالكسر) المقدار : يقال بينها قِيباء قوسين وقابُ قاسين .

(٢) المُلاءة : الرَّيْطة ذات لِفقيْن والجمع مُلاء . .

(٣) خَفَرته : الخَفَر (بالتحريك) شدة الحياء والخَفَارة : الوقار ، ونقول منه : خَفِرَ ، وخَفِرَه ، وتخفّر : اشتد حياؤه — اللسان والمصباح مادة (خفر) وهنا بمعنى : قد وقّرته يدُ النعيم . وحنّنتهُ : يقال قد حَنَيْتُ : أي مِلتُ الى هواك عليّ ، وقد حنيْتُ مع الحق على هواك .

(٤) لعلها : خنّثته . (ج)

(٥) لعلها : (تخدّد) ومعناها اضطرب وهزل . (ج)

واللهو مُقترِبُ الجَنا　　والعودُ مُقتَرِنٌ بنائه[1]

فجبا المحبُّ كفاءه　　منها وزاد على كفائه

حتى تمشت في مشا　　ش[2] عظامِه مَجرى دمائه

وقال رحمه الله في وصف إبريق :

يا حُسنَ إبريقٍ أتاكَ مُعَصْفراً[3]　　قد نمَّ ظاهِرُهُ على الأحشاء

فكأنه ظبيٌ على شَرَفٍ[4] غدا　　يعطو بسالفتيْه للإصغاء

---

(١) بنائه : يريد بنايه ، والناي : معروف من آلات الطرب .

(٢) المُشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، والمُشاش أيضاً : كل عظم لا مخّ فيه .

(٣) مُعصْفر : اسم مفعول ، والعُصْفُر : نبت معروف ، وهو صبغ أصفر اللون ، يقال عَصْفرتُ الثوب : صبغتُه بالعُصفُر .

(٤) الشرف : المكان العالي ؛ ويعطو : يتناول ، يقال عطا الشيء يعطوه عطواً ، وعطا إليه ، تناوله ، فهو متعدٍ ولازم ، فمن المتعدي قول العرجي :

من الأُدْم يعطو بالعشيّ وبالضُحى　　من الضال غُصناً ناعمَ النبتِ مُورِقا

فانه نصب به غصناً . ديوان العرجي (ص ١٦٤) . ومن اللازم قول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن ، كأنه　　أساريعُ ظبي أو مساويكُ أسحل

ديوانه ص ١٥٠ . وسالفتيْهِ : مثنى سالفة : ناحية مُقدَّم العُنُق من لَدُن مُعَلَّق القُرْط الى قَلْتِ الترقوة . مختار الصحاح (سلف) .

أضحى وماء الورد في جنباته　　متنفساً في أوجه الجلساء

فكأنه متسبلٌ من دُرَّةٍ　　بيضاء في ياقوتة حمراء

وكتب في صدر رقعة أنفذها لبعض الأصحاب وهي :

إذا صَفَتِ المودةُ بين قومٍ　　ودام[1] إخاؤهم سَمُجَ[2] الثناء

ولكن ما هذا المُعارُ الذي أشمّنا من الطيب نفحه وأسمعنا من طائر روض الأدب الخصيب تغريده وصدحه ، مع ما اشتمل عليه من التعريف بكل عالمٍ جهبذ دانت لفضلهِ الجهابذ ، وتفتحت بعَرف[3] [٢] مآثره الكمائمُ والجَنابِذ[4] ، أو شاعرٍ مُفْلِقٍ ترنّ حصاة القريض على صَلابَةِ فكره ، وتضمحلّ قلائد نحور الحور عند ذكر نظمه ونثره ، موشحة خصور تراجمه بوشح اغراض ، كألفافِ الحدائق أو قطعِ الرياض ، أرشدني تصفحها لمعان أخرجها مساقُ الحديث للعيان ، وقد أفاضَ عليها الأنقين ماءه واطلعَ بها الزكين رُواءه ، فمنها ما تمثّلَ به أحدُ أهل أفقنا ممن عاينَ تلك القُروم[4] ، ونظر نظرة في النجوم ، في مقام

---

(١) في الأصل الميم ساقطة .

(٢) سَمُجَ الشيء (بالضم) إذا لم تكن فيه ملاحة ، فهو سَمِج على وزن خَشِن ، والسَماجة نقيض الملاحة .

(٣) العَرْفُ : الريحُ طيّبةً كانت أو مُنتِنةً . (مختار الصحاح) مادة (عرف) .

(٤) الجُنبذ : بالضم ، كالجُلَّنار من الرمان ، وهو معروف .

(٥) القُروم : جمع قَرْم : السيّد ، العظيم .

سبيل فيه التنويه بذكركم ، والتنبيه على قدركم ، فقال والشعر لأبي الطيب عرادة وله تمثلاً (١) :

كثرتُ حولَ ديارهم لما بدت   منها النجوم وليس فيها المشرق

ومن ذلك ما تمثلت به الآن من قطعة قرأتها في أثنائه ، وأنشدته (٢) بندى لديكم بمائه :

أيها الفاضلُ الذي قد هداني   نحوَ ما قد حمدته باختيار

شكرَ اللهُ ما أتيتَ وجازا   كَ ولا زلتَ نجم هَدْيِ الساري

وإذا ما غدا النسيم دليلي   لم يجلني إلاّ على الأزهار

ولولا أن هذا المعار من قبيل الغواني الحاليات ، وأعلاق (٣) النفائس

---

(١) البيت من قصيدة له يمدح بها أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس ابن معن بن الرضىٰ الأزدي . ومطلعها :

أرَقٌ على أرَقٍ ومثليَ يأرَقُ   وجوىً يزيدُ وعَبرةٌ تترقرقُ

والبيت هكذا في الديوان :

كثرتْ حول ديارهم لما بدتْ   منها الشموسُ وليس فيها المشرقُ

وقبله :

أما بنو أوسِ بنِ مَعنِ بنِ الرِّضا   فأعزُّ من تُحدى إليه الأينقُ

ديوان المتنبي شرح المرحوم عبد الرحمن البرقوقي ، المجلد الأول ص ٤٨٠ . ط . ١٩٣٠ م . مصطفى محمد ـ القاهرة .

(٢) العبارة تقتضي اضافة كلمة « إنشاداً » .

(٣) أعلاق : جمع عِلْق : النفيس من كل شيء ويجمع على أعلاق وعُلُوق .

المدخرات ، لانفسح لنا مجال الشكر ، وإعلان الذكر ، ولكن يُعارضه قول التهامي (١) :

وشكر أيادي الغانيات جحودها

والسلام بدءاً وختماً .

وله سامحه الله لغز (٢) :

لي حبيبٌ حَسَنُ الودِّ(م) كريم في الإخاء [٤]

حَسَنُ الإنشادِ والشِعـر بصير بالغناء

---

(١) لم أجدْ نص هذا الشطر في ديوانه المطبوع .. وإنما وجدت بيتاً يقارب هذا الشطر معنىً وهو :

فصنعن عندي مِنّةً فحمدتها   نيل الغواني شكره يجحوده

وهو من قصيدة يمدح بها أبا محمد بن الحسن بن الجواد في الكوفة . وقُتل أبو الحسن علي بن محمد التهامي في سجن مصر في سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م ، وديوانه مطبوع في عام ١٨٩٣ ، مطبعة الأهرام بالاسكندرية ، راجع القصيدة فيه ص ٦٦ .

(٢) اللُّغْز واللُّغَز واللُّغَز (بفتح الغين) واللُّغَيزي والإلغاز ، كله حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض ، وقيل هو جحر الضبّ ، سُمي بذلك لأن هذه الدواب تحفره مستقيماً إلى أسفل ، ثم تعدل عن يمينه وشماله عُروضاً تعترضها تُعمّيه ليخفى مكانه بذلك الإلغاز وفيه : ألغزَ الكلام وألغزَ فيه : عمّى مُراده وأضمره على خلاف ما أظهره ، واللُّغَز واللُّغز : ما ألغز من كلام فشُبّه معناه .. (اللسان) مادة (لغز) ،

هو في القرطاس خمسٌ ... وثلاثٌ في الهجاء
وإذا صُحّفَ مقلوباً ... فحروفُ الخلفاء
ومن الياقوت والمرجا ... ن حليٌّ للنساء
وإذا صُحّفَ هذا ... غير قلب باستواء
فهو محتاجٌ إليه ... كلٌّ من تحت السماء

وله رحمه الله تعالى :

ما اسم ثلاثيٍ تراهُ ... حين تَقْلبُه ثنائي
وتراهُ بالتصحيف أشجا ... راً بغير جنىً لرائي (١)

وله في الغزل :

مرَّ بنا ظبيٌ هضيم الحشا ... يَرِقُّ في خديهِ ماءُ الصبا (٢)
ذكّرني مرآهُ روضَ المنى ... وطيب عهد من ليالي الوفا
أيام كان العيش حلوَ الجنى ... وحيثُ كان الكأس كأس الهوى

---

(١) في الأصل : أشجار ، وجناً : المعروف تكتب هكذا : جنىً .

(٢) هضيم الحشا : دقيق البطن ، والهضيم من النساء . اللطيفة الكشحين . والحشا : المعى والجمع أحشاء : والحشا أيضاً الناحية ..

باللهِ بَلّغ يا نسيمَ الصبا ... تلك الظبا عن تحايا الهنا (١)
كم ليلة في سفح ذاك اللوى ... ويوم أنس وسْطَ تلك الرُبى (٢)
قطعته من حيث كانت لنا ... آرام أنس عاطيات (٣) الطُّلا (٤)
لم أنس لا أنسى عيونَ المها ... كلا ولا أعطاف غصن النقا (٥)

---

(١) الظِّباء : جمع ظبية ، أجمل حيوانات الصحراء ، وبها يضرب المثل في جمال العيون والجيد . وقد حُذفتْ الهمزة هنا لضرورة الشعر ، وتحايا : جمع تحيّة : السلام .

(٢) اللِّوى : ما التوى وانعطف من الرمل أو مسترقّه ، جمع ألواء ، وألوية ، (القاموس) مادة (لوى) .

(٣) من العطو : إذا تناول الظبي ورق الشجر ومدّ بعنقه .

(٤) في الأصل ، ميم آرام : ساقطة ، والآرام : جمع رئم على القلب المكاني ، وهو الظبي الخالص البياض ، وقد أكثر شعراء العربية من تشبيه الجميلات من النساء به ، ويقول أبو الطيب المتنبي :

ذِكَرُ الصِّبا ومراتعِ الآرامِ ... جلَبَتْ حِمامي قبل وقت حِمامي ..

والطُّلا : الأعناق جمع طُلية .

(٥) في الأصل « أعصاف » ـ والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية وهي أيضاً مضرب المثل في جمال العيون وحوَرها ، يقول علي بن الجهم (٢٤٩ هـ) :

عيونُ المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

والنَّقا : الكثيب من الرمل ، ويثنّى نقوَين ، ونقيين ، وجمعه أنقاء ، مثل سبب وأسباب .

وله وكتبها في صدر كتاب لبعض الأصحاب :

[٤] إليكَ كما جرَّ النسيمُ بسحرة ... على صفحاتِ الروض فَضْلَ ردائِه

سلاماً يحاكي الروضَ عند اقتباله ... وجِدَّتِه في طيبه وروائِه

* * *

حرف الباء

وكتب للعلامة الشيخ خير الدين الرملي [١] يستدعي منه الإجازة :

كم حللت الحُبى بشرْخ الشبابِ ... لرياضِ طوع المنى ورواب [٢]

---

(١) هو خير الدين بن أحمد بن نور الدين الأيوبي العُلَيْمي الفاروقي الرملي ، ولد بالرملة في أوائل رمضان ٩٩٣ هـ وبها نشأ وتوفي في ليلة الأحد ٢٧ رمضان من عام ١٠٨١ هـ ، إمام مفسر ، عالم جليل صاحب فتاوى ، علم من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف والفقه ، شاعر مشهور ، تولى مشيخة الحنفية في وقته ، له ديوان شعر مرتب على حروف المعجم ، ومن شعره : قال في تشبيه الخال ، وقد ذكره في مجموعته المسماة (مطلب الأدب وغاية الأرب) .

بالخد منه شقيق جلَّ واضعه ... أعيا الورى فهم شامات بجمرته

أقول هذا ولا عيٌّ ولا عجب ... قلب الشقيق الذي في وسْط وجنته

(٢) الحُبا (بالضم) جمع حبوة ، وهي اسم بمعنى الاحتباء وتطلق على ما يحتبي به الرجل من ثوب أو عمامة ، ويقال « حلّ فلان حبوته » إذا قام .. كما يقال ، عقد حبوته : إذا قعد ، ومنه قول المرحوم معروف الرصافي (١٨٧٥ م / ١٩٤٥ م) :

من سله في دجى الآمال كان له ... فجراً تَحُلُّ حُباها دونه الظُّلَمُ

من قصيدته (في معرض السيف) ، الديوان ص ٤٠١ ، ط (٥) ، ١٩٥٦ م .

=

ومناخ في ظل جانب دَوْحٍ   ومقيل بين الغصون الرطاب (١)

حيث [حلّت] جيدَ الفروع بعِقْدٍ   من نَثير القِطار أيدي السحاب (٢)

وتمشّتْ وبدائةُ الريحِ نَشْوى   مِشْيَةَ الخَوْد في حبير الثياب (٣)

فوق رقراق جدولٍ ناعم الشطيـ   ـن صرف من القَذى مُستطاب

نشرتْ فوقه ملاءة ظل   فرّقتها الرياح تحت الحباب (٤)

= وشَرْخ الشباب والأمر ، بوزن فَلْس ، أوّله ، والشارخ : الشاب ، والجمع : شَرْخ ، كصاحب وصَحْب ، وفي الحديث « اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شَرْخَهم » ، وقول أبي العلاء المعري (٣٦٣ هـ / ٤٤٩ هـ) :

كلّفتنا بالعراقِ ونحن شَرْخٌ   فلم نُلمِم بـه إلاّ كُهولا

من قصيدة قالها في بغداد مجيباً أبا علي النهاوندي ، ومطلعها :

كفى بشحوب أوجهنا دليلا   على إزماعنا عنكَ الرحيلا

(١) الدَّوْح : بوزن فَلْس ، جمع دَوْحة : الشجرة العظيمة المتسعة ، وجمع الجمع : أدْواح .

(٢) ما بين معقوفين ساقط في الأصل ، والعِقد (بالكسر) القِلادة ، والجمع عقود ، والنثير : ما تناثر من الشيء ، والقِطار (بالكسر) جمع قَطْر وهو المطر ، والقَطْر أيضاً ما قطر من الماء وغيره ، واحدته قطرة ، والجمع قِطار .

(٣) سقطت التاء من (مشية) في الأصل ، والخَوْد : المرأة الشابة ، والجمع : خُود ، وخَوْدات ، والحبير من الثياب : ما كان مَوْشياً مخططاً .

(٤) الملاءة الرَّيْطة . والحَباب : الفقاقيع التي تطفو على سطح الماء .

وتغنّت قبل الصباح فصاحٌ (١)   بأغاريد للغرام عِذاب

حرّكتْ من نوازع الشوق ما ينـ   ـزع وجداً الى الصبا والتصابي

قد صرفت العِنان عنها مُجِدّاً   لرياضِ العلوم والآداب

واختلاس الأبكار من جانب الخد   ر ، وقد آذنتْ بحطّ النقاب

وابتكار الى مزاهر أبحاثٍ   نَمّتْها لواقح الألباب

قد حَبتنا أولوا البراعة منها   بفنون وُقّفْ على الاكتساب

مثل شهم جم الفوائد أضحى   طائر الصيت من بني الأحساب

مسند الشام مع فلسطين خير الد   ين من جاء بالعجيب العجاب

سيـــد لم تزل مآثره تَردا   د مرّ الشهور والأحقاب

هو نعمان عصره فارس الحَلْـ   ـبة في المشكلات عند الجواب (٢)

خَصّه الله في الفروع بفهم   زكيٍّ خابرٍ مُناط الصواب [٥]

وحباه من العلوم بحظٍّ   وافرٍ فارتقى على الأضراب

ما تصدى لمشكل قطُّ إلاّ   وجلا عنه وَصْمَةَ الارتياب

كيف لا وهو وارث الفضل بدءاً   عن سَراةٍ أعزة أنجاب

(١) الأرجح أن تكون الكلمة هنا « فصاحت » أي الطيور ، أو « فصاحٌ » ، والأولى أرجح .

(٢) نعمان عصره : يشير إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، أعلم علماء الإسلام ، وصاحب المذهب المعروف باسمه ، توفي في بغداد في سنة (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) .

يا إماماً أبصرتُ منه بعين السمـــع كَهفاً لسائر الطلاب
منك في الشام رحلة عاقني عنـــه(١) من الحظّ مخلف الأسباب
فإليك الغداة مني رَوْداً بنت فكر فوق الرَّداح الكعاب(٢)
قد تحلت من بعد أوصافك الغر بعقد منضد الاقتضاب
ترتجي منكم الإجازة في المروي مَهراً فتلك أقصى الطلاب
فأنلني لا سيما سند الفقـــه بعلياك يا رفيع الجناب
وتفضل بها على مستميح راغب واغتنمْ جزيل الثواب
فلمن مثلك الإجازة تستا م بنظم القريض للأحباب
وابقَ واسلمْ مُرَفَّهَ البا لِ ما خط يَراعٌ حرفاً بصدر كتاب

ورأيت بخطه ما مثاله: وكتبت على شجرة بالربوة، وهي دار النشاط ومنزل الصبوة، وكنت قد أنختُ إلى جانبها فأفاءتْ عليّ. وقدم لي مستشرفُ مقيلها صورة الجنة إلى بين يدي، فقمت مرتاحاً، وجعلت الأوصاف للتمتع مفتاحاً، وارتجلت ما ترى، محاولاً صياغة معنًى في أوصاف الرستمي

---

(١) يمكن أن تكون الكلمة «عنها» لأن الضمير يعود الى «رحلة» على الأرجح.

(٢) الرَّوْد من النساء: السريعة الشباب، والشابة الناعمة. والرَّوْد: الريح اللينة الهبوب، والمراد هنا بالرَّوْد: القصيدة المرسلة إلى ممدوحه، والرَّداح: يقال امرأة رَدَاح ورَداحة ورَدوح، عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلْق.

شاعر(١) اليتيمة، والزيادة عليه مع جودة السبك باستيفاء اللوازم، وهو:

وبطنٍ من الوادي حالمنا مَقيله وفي ضِفَّتيه العُشبُ يدعوك للخصب(٢) [٦]
لمُستَشرفٍ زرّتْ فوارزُ جَيبه على جسم مَيْثاء الثرى ناعم القضب
برودٌ مدبّ الظل فينان أخضر عطير شميم الريح يلهي عن الكرْب
إذا اطردت أنهاره خلت جنة بمَدْرَجة الأرواح قامت الى اللعب
أُتيح لها منها حبيكُ سلاسل تُناط بأيدي الريح من باردٍ عَذْب

وكتب في ذيل مقامة أرسلها للمرحوم الأمير حمزة الدفتري وهي(٣):

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن حسن الرستمي، شاعر مجيد يقول الشعر في الرتبة العليا، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى كما يقول فيه الإمام أبو منصور عبد الملك الثعالبي، راجع ترجمته وأخباره، والمختار من شعره في (يتيمة الدهر / الجزء الثالث، ط. (١)، ١٩٣٤ م، من ص ٢٧٢/ص ٢٩٠).

(٢) المَقيل: مصدر، قال يقيل قيلولة وقيلاً ومقيلاً، إذا نام عند الظهيرة، قال أبو العلاء المعري:

أيا جارةَ البيت المُمنَّع جارُهُ غدوتُ ومن لي عندكم بمَقيل

وضِفَّتيه: مثنى ضِفَّة، وهي الجانب من النهر، وتجمع على ضِفاف.

(٣) المقامة: المجلس والجماعة من الناس، والجمع منها مقامات، ثم صارت تطلق على الفن الذي نشأ في القرن الرابع الهجري، وهو القصص القصيرة التي يودعها الكاتب مـا يشاء من فكرة أدبية، أو فلسفية، ومبتكر هذا الفن ابن دريد (٢٢٣ هـ / ٣٢١ هـ) ثم تبعه بديع الزمان الهمذاني ٣٥٨ هـ الذي حاكى ابن دريد في مقاماته، ومن مشاهير أصحاب المقامات في الأدب العربي: من القدامى: بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ هـ) والحريري (٥١٦ هـ) والزمخشري (٥٣٨ هـ) ومن المحدثين: شهاب الدين أبو الثناء الألوسي (١٢٧٠ هـ) وناصيف اليازجي (١٢٧٨) ...

إلى روضة الآداب ريحانة الندى ... تحايا حفاظ حركتها يدُ الودّ
فجاءت كأنفاس الرياح تسحّبت ... على رشحاتِ الطلّ من وجنة الورد

هذا وقد عنّ للخاطر يا سيدي أن يزفّ إليك بوادره ، ويجلي عليك نوادره ، إذ لا بدّ للنفوس أن تمرح ، وللنوادر أن تُباح وتستملح ، وقد أشعرت أني دُفعتُ في الزمن الغابر ، إلى مناجاة فكري الفاتر ، عند قلة الحادث والمناظر ، فبينا أنا في خلوتي مستكنّ ، ومن سُلاف صبوتي (١) مرجحنّ ، إذ خاطبني في ابتكار النُخَب ، وأغراني باقتراح أبكار الأدب . وقال ما تقول في دُعابة تُقلّص ذيل الوقار ، وتُزري بأكواس (٢) العُقار (٣) ، فقلت ايهٍ بأبيه ، ثم لزمت الإصاخة لتلقّيه ، فسلك بي طريقاً من الواهمة ، كأنما أعده لمن طارحه ونادمه ، فأفضى إلى روض مُنْتَدّى ، كأنما تحلّى بالنعيم وتردى ، وقد فُرشت مُلاءة النور على ميادينه ، وحرّشت أيدي النسيم بين رياحينه ، والطير بين فارد وتوأم ، وساجع ومرنّم ، فمن عندليب قد أخذ من الغرام بنصيب ، ولاذ بكل غصن رطيب ، وحرّك نوازع المحب

والطيرُ جذلان مُبتهجٌ ... بين فاردٍ ومُزدوجٍ (٤) [٧]

(١) السُّلاف ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر ، ويسمى الخمر سلافاً أيضا . قال ابو العلاء المعري من قصيدة رثى بها أبا أحمد الموسوي (والد الشريف الرضي) .

تسقيك والأريَ الضريبَ ولو عدَت ... نَهيَ الإله ثلثتَ بسُلافِ

ومُرْجَحِن : مضطرب مُهتز .

(٢) لم نعثر على هذا الجمع والموجود كئوس وأكؤس وكئاس فقط (ج) .

(٣) الدُّعابة : المُزاح ، وأكواس : جمع كأس ، والعُقار : (بالضم) : الخمر سميت بذلك لأنها عَقرت العقل . والعَقار (بالفتح): الأرض والضياع والنخيل .

(٤) في الأصل جاء هذا البيت في هامش الصفحة

قد صدح ومرح ... وغنى بكل مقترح (١)

لطالعة وجه الحبيب ، كأنما رقش بحُوّة اللّعس (٢) ، أو قد تطوّق من أديم الغلَس (٣) ، ومن مطوّق قد حنّ إلى إلفه وتشوّق ، وترسّل بالأغاريد وتنوّق ، ومن شحرور (٤) قد أعلن السرور ، وترنّم خلف الستور ، ثم برز لمناغاة كل أورَق (٥) صدوح ، كأنه راهب في مسوح ، حوّ قوائمه ، كأنما صبغت بعُصارة المرجان ملائمه ، ومن قُمريّ يقهقه (٦) في ترجيعه ، فيحكي إبريق المُدام عند سفح نجيعه ، ومن ساجعة معشوقة (٧) التفويف ، مرجعة الرمل والخفيف ، يندى بمنتحل الرذاذ عاتقها ، وفي أحشائها زفرة من الشوق لا تفارقها ، ومن ساق حر كأنما اكتحل بنار الجوانح ، تنقل على الأغصان تنقل الأفياء فوق المسارح ،

جوارٍ على قضب الأراك تناوحت ... وما هي للأحشاء إلا جوارح

(١) وُجدت هاتان الجملتان في نسخة المجمع العلمي تحت البيت السابق ونظن أنها البيتين من الجمل التي سقطت من الأصل حين النسخ .

(٢) الحُوّة : حُمرة تضرب الى السواد ، أو حُمرة الشفة ، يقال رجل أحوى ، وامرأة حوّاء . واللّعَس : لون الشفة إذا كانت تضرب الى السواد قليلا ، ، وذلك مستملح ، يقال شفة لَعْساء . ونسوة لُعْس .

(٣) الغَلَس : ظلمة آخر الليل .

(٤) الشُحرُور : طائر .

(٥) أورَق: ذَكَر الوَرْقاء : وهو ما كان لونه أبيض ضاربا الى السواد..

(٦) القُمريّ ، من الفواخت : منسوب الى طير قُمْر ، والأنثى قمريّة ، والذكر ساق حُرّ ، والجمع قماريّ .

(٧) في الأصل : شاجعة (بالشين) ، والساجعة : الحمامة ، والرمل والخفيف : بحران من بحور الشعر المعروفة . وأصل الرمل : فاعلاتن ست مرات ، وأصل الخفيف : فاعلاتن مُستفعِلُن فاعلاتن مرتين .

ويليها زر قد لعب النسيم بصفحة مائه ، وعكف عليه الدوح بأفيائه ، حتى حسبته دار عاقد استلقى في ظل لوائه ، وعليه درٌّ من الفواقع منظوم ، وبساطاه وَشْيٌ من الأزهار مرقوم ، فمن نرجس تَغَشَّتْهُ الفتور ، وورد كأنما انتزعت أوراقه من أوجه الحُور [1] ، وأقاح كأنه وجه الحبيب بلا مِرا أو قصور من العسجد السبيك مُشَرَّفة الذُرا ، وياسمين كأنه أنامل الأبكار ، أو صلبان [2] من الفضة صغار ، وبنفسج كأنه العوارض الطريرة ، أو رصت القرط في سالفة مهوته غريرة ، يعشقه كل ناظر ، كأنما تخلق من أزرق الديباج بصورة طائر [٩]. ومن أذريون قد تاه المبدع في وصفه ، وإذ شبه بدهن عسجد قد تضمخ بغالية الى نصفه ، وخُرَّم [3] كأنما غمست في اللازورد أزاهره [4] ، وحوذان سجرت بقطع الند مجامره ، وبلبال يلتف بالقضيب ، ويرينا عناق المحب لأعطاف الحبيب ، وشقيق يحكي أكواس العقيق ، قد ضمخت قرارتها بالمسك الفتيق ، و (مرزنكوش) [5]

(١) الحُوْر : جمع حَوْراء : والحَوْراء هي المرأة التي في عينها حَوَرٌ : شدة السواد في سواد العين وشدة البياض في بياضها ، وإنما قيل للنساء : حُور العين تشبيها بالظباء والبقر . .

(٢) صُلبان : جمع صليب وهو معروف .

(٣) نبات الشجر أي ورقه وأغصانه ونبت كاللوبياء بنفسجي اللون والخُرَّم أيضاً الناعم من العيش .

(٤) اللازورد : صبغ معروف .

(٥) تسمى رائحة العنبر والورد ، مرزنجوش ، ومردقوش الزعفران أو نبتٌ آخر طيب الرائحة ، وليس في كلام العرب مردقوش بمعنى نبت وسموه مرزنجوش ، أو مرمقوش ، قال الجوهري ، أظنه معربا وقال ابن البيطار ، يقال مرزجوش ، ومردقوش وهو فارسي معرب واسمه بالعربية الشمشق والعبقر .

كآذان القلائد ، وسوسان كأجياد الخرائد [1] ، وترنجان كأنه وَشْمُ الخضاب على السواعد ، وريحان أعد ليوم الفراغ ، وحكا سلاسل الأصداغ ، وقرنفل قد توقد بالجمر ، أو انعقد من الخمر ، على مكاحل خفر معشوقة ، وسواعد صفر ممشوقة ، وسنبل لازوردي الأديم ، ينفح بالشميم ، تخاله على حفات الموارد ، كأنه شنوف علقت الى مراود ، وبادورد كأنه هالة البـــدر في القياس ، أو شمسٌ تفلكت من الألماس ، فبينا أنا في تأمل هذه الآثار العبقرية ، والمحاسن الربيعية ، وإذا بالفكر قد ابتدر إليَّ منشدا ، والى وجه الصواب مرشدا ، شعر من قول الأول :

هو الحديقة إلاّ أن صيبها ... صوب النهى وجناه زهرة الكلم

لا بل هو السلك لم تنظم جواهره ... أيدي النواظم لكن برية القلم

وإذا بولدان كأنهم شوارد آرام ، يتطلعن من بين الغصون ، تطلع البدور من فرج الغمام ، قد رفعوا سجوف التكلف ، وهصروا بأغصان التآلف ، من كل ذي مقلة منهوكة النظر ، قد تغنتها الغنج وغار لها الخفر ، إلى خدٍ يندى بمائه ، قد اطلع فيه النعيم آية [2] روائه [١٠] ، وجيد معشوق الغَيَد ، على قوام رهيف التثني والمَيَد [3] :

يسيل به نقل الخطى فترده ... رجاحة أعكان له وترائب [4]

(١) الخرائد : جمع خريدة : البكر التي لم تمس قط .

(٢) آية : علامة، والجمع آيات ، وكل جملة في القرآن الكريم تسمى (آية) .

(٣) الغَيَد : مَيَلان العنق ، يقال : أغيَد وغَيَداً : مالت عنقه ولانت أعطافه تيها ودلالاً . والمَيَد : التثني والتبختر .

(٤) الترائب : جمع تريبة : موضع القلادة في الصدر .

وبيد كل واحد كأس مُدام ، وإبريق منزوع الفِدام (١) ، وهم يتعاقرون السُّلاف بين روضة وغدير ، وسماع ناي وزير (٢) ، وقد نعر العود واصطخب ، حتى جرت الأكواب على الخَبَب (٣) ، فبينا أنا متعجب من هذه الآثار العبقرية ، متأمل في هذه المحاسن الربعية ، وإذا بالفكر قد رفع الحجاب منشدا ، وأشار الى وجه الصواب مرشدا ، فقال :

إليك نزعة آداب يَرِنُّ بها ... طيرُ الفصاحة إيناساً وتطريبا

لا تعجل اللوم فيها واستشف لها ... معنىً يَرِقُّ ويندى بيننا طيبا

فربما أفصحت من بعد عجمتها ... وعاد ترجيعها مدحاً وتشبيبا

ففاز سمعك مئناس القريض بها ... فليس يألوك إبداعاً وتهذيبا

فحيث ما جلتَ تلقى روضةً أُنُفاً ... منها ومسكاً على الأرجاء منهوبا

ومترفاً لم يزل بالدلّ منتطقاً ... بالظرف متشحاً بالحسن معصوبا (٤)

من حيث لا روضة عند العيان ترى ... فيها ولا مُسمِعاً يشدو ولا كوبا

وإنما هـو تمويهٌ على نَسَقٍ ... تخاله شارباً للذهن مشروبا

والشعر ضرب من التصوير قد سلكت ... فيه القرائح تدريجاً وترتيبا

---

(١) المُدام : من أسماء الخمر ، والفِدام (بالكسر) : ما يوضع في فم الإبريق ليُصفّى به ما فيه .

(٢) الزير : من عماد الأوتار في الموسيقى العربية القديمة .

(٣) الخَبَب : ضرب من العَدْو ، وقيل هو مثلُ الرَّمَل .

(٤) في الأصل منتصقاً « بالصاد » .

فالروض روض السجا يا طاب منبتها ... والزهر زهر الثنا تهديه مرغوبا

والكأس كأس الوداد المحض مرتشفاً ... والحسن حسن الوفا تلقاه محبوبا

والطير طير بيان ظل مغترداً ... طوبىٰ لمن بات يقري سمعه طوبى (١) [11]

والسجع طيب حديث ظل جوهره ... بين الأخلاء منشوراً وموهوبا (٢)

وتلك أوصاف من طابت مكاسره ... ومن غدا جوهراً للفضل منخوبا (٣)

أعني به حمزة الراقي الى شرف ... يرى به كوكب الجوزاء محنوبا

من راح منتدباً للفضل يجمعه ... والعرف يصنعه بدءاً وتشبيبا

والمكرمات غدت في طبعه خُلُقاً ... ونحلة الودّ دأباً منه مدؤوبا

إليك يا موئل الآداب غانية ... تهدي ثناء كأنفاس الربى طيبا

رفّه بحقك سمعَ الودّ منك بها ... وأولِها بجميلِ القولِ ترحيبا

وله سامحه الله تعالى :

بَكَرَتْ عنادل روضنا ... تشدو على الغصن الرطيب (٤)

---

(١) في الأصل سقطت (الألف المقصورة) من طوبىٰ .

(٢) في الأصل ساقطة الهمزة من (الأخلاء) ، وبدونها لا يستقيم وزن البيت .

(٣) المكاسر : جمع مَكْسِر : المخبر ، يقال : فلان طيب المكاسر : محمود عند الخبرة .

(٤) بَكَرَ على الشيء واليه ، يبكُر بُكوراً وبكّر تبكيراً ، وابتكر ، وأبكر وباكر : أتاه بكرة كله بمعنى ، والبُكرة : الغُدْوة ، وفي التنزيل الكريم : « ولهم رزقهم فيها بُكرةً وعشيا » .
وعنادب (بالباء) في الأصل وهو تحريف من النساخ لأن العُندب : القضبان . والصحيح عنادل : جمع عندليب . مثل عنكبوت : عناكب .

وتنوح إشفاقـاً على   أهل الصبابة في نحيب
فتثـير سالفةَ الهوى   مني وتذكرني حبيبي
ياويح من لعبت به   شَدَواتُها بعـد المغيب
أوفى سويجعهـا على   غصن الأراكةِ كالخطيب
أُسَيْجِعَ الألحان قـد   غادرت قلبي في وجيب
وتركتني قَرِحَ الجفو   نِ ولستَ تعلم ما الذي بي[1]
يَنْتابُني ذكـرُ الحبيب   فأشتكي شكوى الغريب
لم ألقَ إلاّ شقـوةً   من بعده وضنىً مذيبي
ونوازعاً باتت تسا   ورني ومالي من مجيب[2]
ساورتهـا حتى الصبا   ح ودمع عيني في صبيب[١٢]

وله عفا الله تعالى عنه :

حتّام تبدو لنا وتحتجبُ   قد حانَ أن ينتهي بكَ الغضبُ[3]
قمْ سيدي للكؤوس نُعملها   قد هزني نحو كأسك الطربُ

(١) قَرِحَ الجفون : كناية عن السهر .
(٢) تساورني : تواثبني ، يقال ساوَرَه مُساوَرَةً وسِوَاراً : واثبه . قال النابغة الزبياني :
فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة   من الرُّقْش، في أنيابها السُّمُّ ناقعُ
(٣) حتّامَ : الى متى .

قمْ وَيْكَ نقضي من الصِبا وطراً   نجني قطوفَ المنى وننتهبُ[1]
والطيرُ فوق الغصون مغترد   والعودُ بين القيان مصطخب
والنَشْر بين الرياض منفتق   والزِقُّ بين الدنان منسحب[2]
يا مُترَفاً لايزال يلحظـني   والقلب مستبشر ومرتقب
وَا بأبي أنت هل لوعدك ذا   من آخر بالوصال يقتربُ
دونك روحي بشارة فعسى   يقوم منها لموعـدي سَبَبُ

وله تجاوز الله عن سيئاته :

ونديم طارحته بعض مابي   من نزوعي إلى لِقا الأحباب[3]
قلت هبني منيّته كان ماذا   يتمنى قال الصبا والتصابي
قلت لِمْ قال ذاك باكورة العمـر وهذي معادن الأطراب[4]

(١) وَيْكَ : وَيْحكَ .
(٢) النَشْر : بوزن النَصْر : الرائحة الطيبة . والنَشَر بالفتح : المُنْتَشِر . وفي الحديث « أتاك نَشَرَ الماء » . . والزق (بالكسر) : وعاء الخمر . قال أبو الطيب المتنبي :
ولا تحسَبَنَّ المجدَ زِقاً وقَيْنَةً   فما المجدُ إلاّ السيفُ والفتكةُ البِكرُ
(٣) نزوعي : اشتياقي ، لِقا : مخففة عن لِقاء ، وحذفت الهمزة هنا لضرورة الشعر .
(٤) باكورة العمر : أوّله : والأطراب ، في الأصل جاءت هكذا (الأطرابي) بالياء .

قلت هل غير ذين قال دواعـــي الأنس تقضي لكل أمر عجاب

قلت شَنِّفْ مسامعي وتمنَّ   قال بنت الكروم وابن السحاب(١)

قلت لِمْ قال كي أولد من هذيـــن فوق الكؤوس دُرَّ الحَبَاب

قلت زدني قال النديم المواتي   قلت لم قال مؤنس الأحباب(٢)

وله كفاه الله شر موقفه :

فيا روضة أبدت بكل كِمامة   من المائسات اللُدن للنور كوكبا [١٣]

يباكرها ركبُ السَحاب مُخضَلّاً   ويُمسي وقد عاد المُسِحّ المُطَنِّبا(٣)

وينضح شريان الغمام بسُمرةٍ   عليها بطَلٍّ ما ألذَّ وأطيبا(٤)

---

(١) بنت الكروم : كناية عن الخمر ، والكروم العنب ، سُميت بذلك لأنها تعتصر منه . ويريد بابن السحاب : المطر .

(٢) في الأصل مؤنس غير مهموز .

(٣) مُخضَلّاً : يقال شيء خَضِل : رطب ، والخضيل : النبات الناعم ، واخضل الشيء اخضلالاً واخضوضل . وهنا : بمعنى مُرَطِّباً . والمُسِحّ : الكثير المطر .

(٤) شريان الغمام : كناية عن السحاب ، وهي كناية جميلة رائعة ، وأرى شاعرنا أول من استعمل هذه الكناية من شعراء العربية قديماً وحديثاً . والطَلّ : المطر الخفيف . والبيت كما ترى صورة شعرية لطيفة .

فترشِفه والرشف أنقع للصدى   فيغدو بها ثغر الأقاحيّ أشنبا(١)

وما النَشْر من دارَين جاء عشية   يضمّخُ أنفاسَ الرياض مع الصَبا(٢)

---

(١) الأقاحي : جمع أقحُوان : وهو زهر طيِّب الريح . ويجمع أيضاً على أقاح . والأشنب : ما كان أبيض الأسنان حسنها فهو أشنب ، والمشانب : الأفواه الطيِّبة . ويقال شَنِب اليوم : بَرَد : فهو شانب وشَنِب .

(٢) النَشْر : الريح الطيبة ، ودارين : موضع بالشام . وفي معجم البلدان (٤ / ٢٥) ان دارِين : فُرْضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند والنسبة إليها داريّ ، قال الفرزدق :

كأنّ تريكةً من ماء مُزْن   وداريَّ الذكيِّ من المــدام

وفتحت في عهد أبي بكر الصدّيق (رض) سنة ١٢ هـ ، وقال محمد بن حبيب هي الداروم : وهي بليدة بينها وبين غزة أربعة فراسخ ، فتكون غير التي بالبحرين . . والدارَين : هو ربض الدارَين بحلب . وقد ذكره عيسى بن سعدان الحلبي في مواضع من شعره ، فقال :

يا مَسْرَحة الدارَين أيّة مسرحة   مالت ذوائبها عليّ تحننـــا

أرمى بواديك الغمامُ ولا غدا   نفس الخزامى الحارثيّ وجنوشنا

أمُنَفَّرين الوحش من أبياتكم   حبّاً لظبيكم أسا أو أحسنا

أشتاقه والأعوجيّــة دونه   ويصدّني عنه الصوارمُ والقنا

وقال الأعشى :

لها أرَجٌ في البيت عالٍ كأنه   ألمَّ به من بحر دارَين أركبُ

وفي اللسان مادة (دير) : ان دارين : فرضة بالبحرين فيها سوق يجلب فيه المسك الأزفر ، وشاعرنا ابن النقيب يريد بـ (دارَين) بالفتح التي هي بحلب ، والصَبا : ريح تأتي من الشرق .

وماأصهبٌ من مسك تُبّتَ ضَمّنت   نوافجه من عنبر «الشِحْر» أشهَبا [1]

بأبهجَ منه أو بأعطَر نفحة   إذا رحت أهديه إليك تحببا

إليك حفاظ الود ليس ببارح   وثيق عُرَى الإخلاص لمْ يُلفَ قُلّبا [2]

وقال وأرسلها لبعض الأحباب وقد فقد والده تسلية له :

ظُفرٌ تُرى ماأراه أم نابُ   أم تلك للدهر فيَّ أوصابُ [3]

ما العيد عيدٌ كما عهدت وقد   زال خليط وشطَّ أحبابُ [4]

---

(١) أصْهَب : الصُهُوبة والصُهْبة : احمرار الشعر ، والرجل أصهب ، والانثى صهباء ، والجمع صُهْب . ومِسْك تُبَّت : كَسُكَّر ، جاء في معجم البلدان (٢/٢٥٨) ط. ١٩٠٦/١ م ان تُبَّت : بلد بأرض الترك . قيل هو في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند ، ثم يقول : وقرأت في بعض الكتب أن تُبَّت مملكة متاخمة لمملكة الصين ومتاخمة لبلاد الهياطلة ومن جهة المغرب لبلاد الترك وإليها ينسب المسك الأذفر ، والنوافج : جمع نافجة وهي : وعاء المِسْك ، والنافجة أيضاً السحابة الكثيرة المطر .

وشِحْرُ عُمان ، وشَحْر عُمان ، ساحل البحر بين عُمان وعَدَن ، يضرب المثل بعنبره قال الشاعر : ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشِحْر ، وقال العجاج :

رَحلْتُ من أقصى بلاد الرُحلِ   من قُلَل الشِحْر فجنبيْ مَوْكلِ

(٢) والقُلَّب : الذي لا يثبت على وِدّ .

(٣) أوصاب : جمع وَصَب . والوَصَبُ : الوَجَعُ وهو مصدر .

(٤) الخليط : الرجل اذا اختلط بالناس كثيراً ، والجمع خُلَطاء ، والخليط أيضاً : الجاور ، والشريك . وشَطَّ : بَعُدَ .

أحبابنا أين أين منك ترى   مضاربٌ للهنا وأطناب

جررت في ظلها الذيول وقد   نيطت بها للسرور أهداب

فيا سقى الله أعصُراً سلفت   كان بهـا للقلوب إطراب

ويا سقى الله من أبيك ثرى   ثوت به حشمـة وآداب

قد كان خلاً صفت مشاربه   والآن لله منـه أعقاب

خلف ملء العيون منك فتىً   صار له العقل والهدى داب

وقد درَى كل خابر زَكن   إنَّ الرَّدى للأنام نهـابُ

تأسَ ياصاحِ بالذين مضت   من قبلنـا فوقهنَّ أحقابُ

واصبر فإنَّ الأمور أنجحها   ما خيط فيها للصبر جلبابُ [١٤]

ورأيت بخطه ما صورته قال : وحضرنا في بعض الأيام عند بعض الأصحاب ممن اشتهر باقتناء ثمرة الغراب [1] ، من كتب الآداب ، فوجدنا في محلّه ما لا يذكر من مُفْتَرعها وعُونها وفقدنا كل ضالة منشودة من بواكير أبـكارها ومكنونها ، فخاطبه مرتجلا بهذه الأبيات مُضَمّناً البيت الأخير منها كما ترى وهو لحسين الخليع [2] وهي :

---

(١) ثمرة الغراب ، مثلٌ يضرب في الشيء النفيس .

(٢) حسين الخليع : هو مولى باهلة ، ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس . وكان خليعاً فاسداً ، فهو شاعر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة كما يقول الدكتور طه حسين ، حسن التصرف في النظم ،—

نحن في روضة من الآداب ... سُقيت بالفهوم لا بالسَّحاب

ضمّنا مُجتلى عرائس أفكار ... جلتها قرائح الألباب

وألذُّ القريض ما كان غضاً ... مستجداً قريب عهد الشباب

فاسقِ منه شرب المسامع كأساً ... لبني العصر زائد الإطراب

أنا في حانة القريض فما لي ... لا أرى دفتراً شهيّ الشراب

أنا في ذمّة السّحاب وأظما ... إن هذا لوصمة في السّحاب[1]

—ولشعره قبول ورونق ، فهو من المتفننين وله معان جديدة في الخمر ، وكان أبو نواس يأخذها عنه ، مع أن أبا نواس مات سنة ١٦٨ ﻫ وحسين ابن الضحاك مات سنة ٢٥٠ ﻫ وقد ذرّف على المئة عام ، الأغاني ج ٦ ص ١٧٠ ، وعصر المأمون ، مجلد /٣ ص ٢٦٥ ، ط ٤ .

(١) هو من أبيات مدح بها عمرو بن مَسْعَدة وهي :

أنت طودي من بين هذي الهِضاب ... وشهابي من دون كل شهاب

أنت يا عمرو قوّتي وحياتي ... ولساني وأنت ظُفْري ونابي

أتراني أنسى أياديك البيـــض إذا اسودّ نائل الأصحاب

أين أخلاقك الرضيّة حالت ... فيّ أم أين رِقّه الكتّاب ؟

أنا في ذمّة السحاب وأظما ... إن هذا لوصمة في السحاب

قم الى سيّد البريّة عني ... قومة تستجير حسن الخطاب

فلعـل الإله يُطفىء عني ... بك ناراً عليّ ذات التهاب

وله نوّر الله ضريحه :

خلّفتْ منك مُستهاماً كئيبا ... هائماً ذاهلاً مشوقاً طروبا

واستقلتْ بدارها عنك دلاًّ ... وصدوداً وجفوةً وقُطوبا

فاقضِ من لوعة الغرام زفيراً ... واقضِ من آنةِ الفراق نحيبا[1]

ليت شعري ما كان ذنبُك للأيا ... م حتى رأيت منها عجيبا

غادرتك الصروف ولهانَ باكٍ[2] ... تندب الإلفَ في الطلول كئيبا

وله عفي عنه :

ولما تفاوضْنا الحديثَ وأقبلتْ ... عليَّ بعتب - لا أبالك - من عَتْب

هصرتُ بأغصانِ المنى من حديثها ... وقمت صريع العتب أزهو على الشَّرْب[3] [15]

تناولني الاشفاق مزجاً بقسوة ... وتفتر أحياناً عن البارد العذب

لترمز اني في الهوى ملء عينها ... وتظهر للواشين في سلمها حربي[4]

فديتك لاأختار حبيك مذهبا ... إذالم أكن جلداً على الجد واللعب

(١) في الأصل ، فاقضي (بالياء) . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) الأصح أن تكون « بالياء » لأنها واقعة في محل نصب .

(٣) الشَّرْب (بالفتح) : الجماعة يشربون الخمر ، وهو اسم لجمع شارب .

(٤) في الأصل ملي‌ء (بالياء) ، والواشين : جمع واش : النمّام .

فان تصرمي طوعاً أو كرهاً ولم أكن   عليك بحال لا دعيت بذي حب (١)

فكيف وقد شاهدت منك مخائلاً   [. . . . . .] (٢)

ولـه سامحه الله تعالى :

لست أنسى رعبوبة بشرتني   بازديار قبيل وقت الغروب (٣)

ثم اومت الي ان لست أنسا   ك ولكن أخاف منك رقيبي

فتبسمت ثم أوجمت عن ردّ   جواب من خفق قلب طروب (٤)

فمضت ريثما غفت أعين الحرا   س عنا وحان وعد الحبيب

ثم جاءت تعطو بعاطل جيد   تتهادى في فضل برد قشيب (٥)

نزعت حليها وعطلت الجيـ   ـد ومالت نحوي كغصن رطيب

[. . . . . . .]   كيف يخفى تحت الدجى نفح طيب (٦)

---

(١) تصرمي : تقطعي .

(٢) مخائل : العلامات ، والشطر الثاني بياض في الأصل . .

(٣) الرعبوبة والرعبيب والرعبوب : الجارية السمينة البيضاء الناعمة ، والجمع : رعابيب .

(٤) في الأصل (در) وهو تحريف .

(٥) تعطو : تتناول ، والجيد العاطل : الخالي من الحليّ . يقال عطلت المرأة عطلا من باب قتل ، إذا لم يكن عليها حليّ ، فهي عاطل ، والبُرْد : الثوب .

(٦) بين معقوفين في الأصل بياض .

وله رحمه الله ملغزاً ومعمّياً في آخره ببيتين في ميزان :

أجب ما اسم خماسي   ترى من أمره عجبا

له طرفان قد رفعا   إذا ماراح منتصبا

وكل منهمـا يُلفى   ثلاثياً إذا طلبا

وما اجتمعا وما افترقا   ولا بَعُدا ولا اقتربا

وكل منهما طرف   لصاحبه إذا جنبا [١٦]

يروم نضاله أبـداً   وكل راح منسحبا

ويرفع قدره كلٌّ   إذا ماراحَ مُنغلبا

ويلقي للظبى شركاً   يمدُّ لصيدها طُنُبا (١)

وإن حوّلته فعلاً   وصفق جدُّه الطربا

وإن صحفت ذاك الأصـ   ـل صبَّ الماء منسكبا

جرى عند الثناء وإن   بدا لك صيفه نضبا

وخمساه غدا بحراً   إذا ما راح منقلبا

ويلفى كله غافٍ   إذا ما قلبه سُلبا

وإن عمّيته قل فيه   وصفاً راح مجتنبا

---

(١) في الأصل للظبي (بالياء) والصحيح للظبا : مخفف عن ظباء : جمع ظبية .

كظبي راح مُلتَفِتاً   تخال إن بدا خلبا(١)

وله عفا الله عنه مُلغزاً :

خاطبتُ منك طبيبا   بَلْ لوذعياً أديبا
ألفاظه كالدراري   تغـزلاً ونسيبـا(٢)
يكاد يسحر إن فاه   بالقريض القلوبـا
ويستضيء بفكـر   مازال يلفى مجيبا
يحوك في كل معنى   يعز برداً قشيبـا
ويستدر من العا   قر النفور حليبا(٣)
في حل لغز لطيف   يلفى لديك عجيبا
لكل شخص تراه   بين الأنام حبيبـا [١٧]
ان منْ يوماً علينا   وافى يدبُّ دبيبا
تراه عنا بعيداً   طوراً وطوراً قريبا
[يلفى] ثلاث حروف   يستلّ منا اللّغوبا(٤)

(١) الظبي : الغزال للذكر والأنثى ، والجمع ظباء .
(٢) الدراري : النجوم اللامعة .
(٣) العاقر : المرأة التي لا تحبل ، والجمع : عواقر وعاقرات وفي التنزيل الشريف حكاية عن زكريا « وامرأتي عاقر » . ويقال رجل عاقر أيضاً ، والجمع : عُقر . مثل راكع ورُكّع .
(٤) جاءت « ثلاث » هكذا في الأصل والأصح أن تكون مؤنثة أي « ثلاثة » لأن الحرف مذكر والذي يبدو أنه اضطر للتذكير من أجل الوزن .

وكتب إلى بعض أصدقائه يقول :

عم صباحاً واسلم بأرغد عيش   واسع الترب في مقام خصيب(١)
ما سرت نسمة القبول على الرو   ض فمالت بكلّ غصن رطيب
ثم ينهي المحب من بعد إهداء سلا   م وافي بنشـر وطيب
وثناء ماالروض باكره الغيث وحيّـا   مروجه بنصيب
فزهى زهره وأصبح يفترّ   الأقاحي عن كلّ ثغر شنيب
عن فؤاد يبين عن حسن ودّ   خالص للجناب غير مشوب
ثم يُنهى من بعد وصف اشتياق   للجناب الأعزّ ملء القلوب(٢)

وله في الغـزل :

ثلاثين قاض(٣) عُدّ من بعد أربع   موال لهم مدنٌ تُعدُّ رحاب
فأم القرى قدسٌ دمشقُ مدينةٌ   طرابُلُسٌ مصر وبغداد عتّاب
كذا حلب مغنيصة(٤) ثم صاقز   وأدرنة بوسنا سراي سِناب

(١) عم صباحاً : انعم صباحاً ، وهي تحية شعراء الجاهلية للملوك .
(٢) جاء هذا البيت في الأصل ، في هامش الصفحة .
(٣) يجب أن تكون « قاضياً » على التمييز ولا عمل لضرورة الشعر هنا .
(٤) مغنيسة « وهي مغنيسيا » البلدة التركية .

وصوفية أيضاً سنانيك(١) بعدها   ديار بني بكر فذاك صواب

كتاهية أيوب من بعـد قلبة   وقونية يحصي الجميع حساب

وتيرة انكورية ثم برسـة   ومملكة السلطان فهي تهاب(٢)

بلغراد قيسارية(٣) عد مرعشا   كذلك ينكي(٤) شهر ليس تعاب

بخانيـة ثم اسكدار وغلطة   وأزمير مع أزروم(٥) ثم نصاب [١٨]

وقال عمه الله بغفرانه :

سلام له من نشر دارين نفحة(٦)   تحدث عنها الروض والمندل الرطب

تحمّله ركب النسيم مراوحاً   مغانيك شوقاً ما أناخ بك الركب(٧)

---

(١) المعروف ان اسم هذه المدينة « سلانيك » .

(٢) ومملكة : في الأصل جاءت هكذا : [ومملكت] كما يلفظها الأتراك .

(٤) ينكي وهذه تلفظ بالتركية « يني » لأن الكاف تقلب ياء في بعض المواقع ، ولفظ الشاعر الكاف للوزن .

(٥) الأصل : ارز روم « أي أرض الروم » واختصرها الشاعر للوزن .

(٦) النَّشْر : الرائحة الطيبة ، ودارين : موضع بالشام ، والمندل : نوع من العود وهو المطري بالمسك والعنبر واللبان ، قال الزمخشري : منسوب إلى (مندل) قرية من الهند .

(٧) مغانيك : جمع مَغْنى : المنزل ، قال أبو الطيب المتنبي :

مغاني الشِعب طيباً في المغاني   بمنزلة الربيـع من الزمان

بريحانة للود تنـدى غضارة   إذا حدثت عنك الأخلاء والصحب(١)

وان لم تكن كتبي تمتّ سطورها   بسابقة مني اليك فلا عتب

سمعت وبعض السمع يعضده الهوى   فيفضل رؤيا العين فارقها القلب

وله غفر الله ذنبه :

مهينمة جاءت بأوصاف ماجد   إذا حل مصراً حلّ في أرضها الخصب

نقمت وفي اذني فضل حديثها   وقد طربت مني السويداء واللب(٢)

ابث إلى عليـاه بعض خلاله   وهذا لساني بالثناء له رطب(٣)

وله عامله الله بخفي ألطافه :

تراكِ المهلَ في حثّ الركاب   وحيهلاً لهاتيـك الروابي(٤)

فقد اوكت جيوش المزن عنا   عزاليهـا وهمّت بالذهاب(٥)

---

(١) الأخلاء : جمع خليل وهو الصديق :

(٢) السويداء : حَبَّةُ القلب ، وكذلك يقال : سواد القلب وأسوده وسوداؤه . واللب : العقل .

(٣) والخلال : جمع خلة مثل خصلة وزناً ومعنى .

(٤) تراكِ : فعل أمر بمعنى أترك ، مثل : حذار ، قال أبو تمام الطائي :

الحق ابلج والسيوف عوّار   فحذار من اسد العرين حذارِ

والمَهْل : المُهْلة : السكينة والرفق . وتحرك أيضاً .. المَهَل .

(٥) أوكت : ربطت أو شدت القربة بالوكاء وهو الرباط .

والعزالي : مصب الماء من الراوية ونحوها ، وهنا يريد السحاب الماطر .

وقشّعتِ الشمالُ الدُّجنَ حتى بدا وجه الرقيع من الحجاب[1]

وأنجمت السماء بحيث وافى بهـا البدر المنير بلا نِقاب

وآذنت الغزالة حين درّتْ غداة الصحو من بين القباب[2]

بتجديد السرور إلى رياضٍ تُذكّرُنا بأيام التصـابي

حبسنا عن مراتعهـا نفوساً تَعزّى بالمواعيد الكذاب[3]

إلى أن جاز أن نبغي ازدياراً لهـا من بعد صدٍّ واجتناب

وله عفا الله عنه ، في الغزل :

يا قمراً أصبحت في حبـه أعتب من لا يرعوي للعتاب [١٩]

أفديكَ لا تُسرفَ في هجْرِ مَنْ عوّدْتَـهُ الإشفاقَ والإقتراب

عهدي بزوْراتِك وَفْقَ المنى أيامَ رَشْفي للثنـايا العذاب[4]

---

(١) وقشّعت : بصيغة المبالغة : أزالت ، والشّمال : ريح تقابل الجنوب ، والبيت صورة رائعة للصحو ، والدّجن : يريد بها السحاب الكثيف الذي يُرى مثل الظلام ، لذا نعته بالدُّجن .

(٢) الغزالة : الشمس .

(٣) تعزى أصلها : تتعزى ، وحذفت التاء الثانية لضرورة الشعر ، وفي الأصل تعز (بلا ألف مقصورة) .

(٤) الثنايا : جمع ثنيّة ، والثّنيّة من الأسنان معروفة ، والثّنية أيضاً : طريق العقبة .

فأصبحتْ وَفْقَ مُنىْ عاذلي وهلْ من العاذلِ غير العذاب

وله رحمه الله تعالى :

[و] يا ليلة افنيتُ فاحم نَقْسها بفكري في مُهراق بيض المنى كتبا[1]

عبرت بها بحر الهموم فلم أجد به لارتقاب الفجر شرقاً ولا غربا

فهبْ حلّقتْ بالفجر عنقاء مغرب فأين استقلا حين ناما فما هبا[2]

يُخيّلُ لي أن النجومَ شَواخصٌ حيارى على إثريهما ترقب الدربا

أتبغي انتظار القارظِيّين[3] منهما نجوم الدجى من بعد ما قضيا نحبا

---

(١) النقس : الحبر . والبيت صورة جميلة للسهر .

(٢) عنقاء مغرب : قيل طائر ضخم ليس بالعقاب ، وقيل كلمة لا أصل لها كالغول ، وقيل طائر عظيم يدعى أنه ملك الطيور وهو معروف الاسم ولكنه لا يرى ولا يوجد ، ومغرب : من أغرب في البلاد ، ذهب وأبعد ، فضربتها العرب مثلاً في أشعارها ، يقولون ألوت به العنقاء المغرب ، وطارت به العنقاء ، يريدون هلاكه ، قال أبو العلاء المعري :

أرى العنقاء تكبُرُ أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

وقال أبو الطيب المتنبي :

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لِقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مُغرِبُ

والضمير في استقلا (استقلا) وناما فما هبّا ، يعود إلى الشرق والغرب في البيت السابق .

(٣) القارظان ، والياء الثانية للنسبة ، والقارظان رجلان من عـنزة خرجا يجنيان « القرظ » – وهو الدبغ – فلم يرجعا فضرب بهما المثل لكل غائب لا يُرجى إيابه . قال الشاعر :

فرجّي العود وانتظري إيابي إذا ما القارظ العـنزي آبا

وله غفر الله سيئاته :

درٌ درُّ الصبا ودر التصابي　　وزمان مضى بشرخ الشباب
وليال قصرن حتى كأن الليـــل فيهـا مقوض الاطناب
رحت فيها أجر ذيل التهاني　　مرحاً في ظلال تلك الروابي
حيث قامت للورق فيها شواد　　مطربات على الغصون الرطاب

وله في اكمة النور :

قم وسقِّ المدام كوباً فكوبا　　فخطيبُ الرياض أضحى طروبا
والنواويرُ في الأكمة تجلى　　حبباً من لجينهـا مقلوبا
غير ان الرياح قد مزقت عنـــد اعتناق الغصون منه الجيوبا

وله طيب الله ثراه :

[٢٠]

سقت مستهلات الدموع السوارب　　معاهد هاتيك البدور الغوارب(١)
وحيا الحيا الربعي فضل تأنس　　سرقناه من أيدي الزمان المغاضب(٢)

---

(١) السوارب : الهواطل . يقال سَرِبَ الماء سَرَباً إذا سال فهو سَرِب . قال ذو الرُّمة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب　　كأنه من كُلىً مَفرِيّة سَرِبُ

والمعاهد جمع معهد : المنزل .

(٢) الحيا : المطر .

اذ العيش بسام يرف به الصبا　　رفيف الخزامى في أكف الجنائب(١)

وله في طلوع البدر من خلل الأوراق :

وبطن من الوادي حللنا مسيله　　خلال غصون عاكفات على الشرب(٢)
تنقط منه الشمس في مسكة الثرى　　مدبّ عذار الظل من وجنة الترب
بخيلانِ كافور الشعاع كأنما　　ابتْ غير جلد النمر يفرش للصحب

وله في طلوع البدر من خلل الأغصان :

وكأنما الأغصان يثنيها الصَّبَا　　والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد قامت وأرخت شعرها　　في لجة والموج فيهـا يلعب

وله رحمه الله تعالى فيـه :

كأنما الأغصـان لما انثنت　　امام بدر التم في غيهبـه
بنت مليك خلف شباكهـا　　تفرجت منه على موكبـه

وقال في شجر السرو :

يا طيب يوم للمدامة والصبا　　قد مرّ بين حدائق ودوالي

---

(١) الصبا : الفتوة ، والخزامى : زهر طيب الرائحة .

(٢) ورد صدر هــذا البيت في الصفحات السابقة بالصورة التالية :

وبطن من الوادي حللنا مَقيله . .

والسرو يحكي الماجنات تهيأت   لولوج ماء قرارة منساب(١)

لاثت غلائلها على هاماتها   تحكي بهن قلانس الأعراب(٢)

وله نور الله قبره :

وميناء لا تحتلها الشمس ثرة   تهدّل فيها بالجنى ناعم القُضْب(٣) [٢١]

كأنّ عناقَ الغُصن منها لشبهه   تعانُقُ نشوانين في مُنتهى الشُرْبِ(٤)

وله رحمه الله تعالى :

سلام كما أفترّ الأقاحي في الربى   وسارت بعَرْف الروض ريدانة الصَبا(٥)

يوافيك عن قلب أكيد وداده   وثيق عُرَى الإخلاص لم يُلفَ قُلّبا(٦)

(١) تهيأت في الأصل غير مهموز .

(٢) لاثت : طوت ، قال ابن قتيبة : « أصل اللّوث الطيّ ، لثتُ العمامة ألوثها لَوثاً » .. والغلائل جمع غِلالة : وهو شعار يلبس تحت الثوب . وهاماتها : جمع هامة . والقلانس : جمع قلنسوة ، من ملابس الرؤوس معروف .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة من غير رمل ، وفي الصحاح : الميثاء الأرض السهلة والجمع ميث ، والجنى : ما يجنى من الثمر .

(٤) الشُرْب بالضم : السُكْر : والبيت صورة رائعة من الصور الشعرية الفنية . .

(٥) العَرْفُ : الرائحة الطيّبة . وريدانة : الريح الليّنة ، والصَبا : ريح تهب من الشرق .

(٦) تكرر ورود عجز البيت في قصيدة سابقة . .

وله في اسم عبد اللطيف :

يا لساق ناشر للأدبِ   دار مع طيّ بساط الكربِ

لابس من نشر ما دار به   ثوب عَرْف هزّني للطرب

وله رحمه الله في اسم أدهم :

ربّ ساق مقرطق من بني الفرس   خلونا به بغير رقيبِ

دارت الراح بيننا بانخفاضٍ   منه تصطاد غم كل كئيبِ

وله في اسم علي :

غيم الرقيع فلم يكد   يبدو لأفق الشمس حاجب

فعدا يقل الشمس أين   قوامه من غير حاجب

وله عفى الله عنه :

وروضة اينعت بالزهر وابتسمت   ومالت القضب من أطيارها طربا

صاح الهزار فأشجاني ومنه بدا   ندباً على إلفه بعد اللقا ذهبا(١)

وله سامحه الله :

درنا مع المحبوب في   روض فأبصرنا العجايب

ما دار إلاّ وانثنت   أغصانه من كل جانب [٢١]

(١) الهزار : قال الجوهري في صحاحه ، باب العين : العندليب هو الهزار والجمع : هزَارات .

وله عفا الله تعالى عنه في راقص :

وأهيفَ مهضوم الحشا كاد رقصه يُحكِّمُ فينا السحر من كل جانب(١)
يسيل به نقل الخطا فتردّه رجاحة أعكان له ومناكب

وله عفا الله عنه خاطب بها شقيقه المكرم لما كان مشتغلا بعلم الحساب :

اعمل لنفسك ما استطعت الدهر من حسن اكتساب
واسقط ذنوبك وامحها أبداً بتضعيف الثواب
واجنح الى تعـديل شأنـك قبل ميزان الحساب

وكتب في صدر كتاب أرسله لبعض أصحابه :

ايا محتداً هزت نسائم ذكره وقد هينمت في الجو تُنشي وتُطرب(٢)
بريحانة للودّ تندَى غضارةً لها من طريق السمع فينا مسببُ

وله مضمناً للبيت الأخير منها وهو للحسين(٣) الخليع :

لست أرى لي سابق(٤) غير اني لست فيمن قصدت بالمرتاب
[أنا في ذمة السحاب واظما إنّ هذا لوصمةٌ في السحاب]

---

(١) الأهيف : ما كان خميص البطن ، دقيق الخصر .
(٢) المحتد : الأصل والأرومة .
(٣) مرت ترجمة الحسين بن الضحاك الملقب بالخليع وذكر بيته المُضمَّن .
(٤) نرجح أن يكون البيت : «لست أدري لي سابقاً» حتى يستقيم الوزن .

وقال سامحه الله تعالى :

لله منك كتاب راح يوسعني بشراً ويهدي لسمعي كل مرغوب
كأنّه وهو في كفي أقلبـه [قميصُ يوسفَ في أجفان يعقوب](١)

وله غفر الله تعالى ذنوبه :

لله من عهد الصبابة والصبا يوم على وادي الدريج ومعربا
طارت بنا خيل السرور وازلفت حتى حللنا في مغانيه الحُبا [٢٢]

وله كفاه الله شر موقفه :

تهدل من باقاس شطّ إلى الفلا فأصبح كالمفلوج سال لعابه(٢)

---

(١) عجز البيت لأبي الطيب المتنبي وتمامه :
كأنّ كل سؤال في مسامعه قميصُ يوسف في أجفان يعقوب
وهو من قصيدة تعد من محاسن شعره مدح بهـا كافور سنة ست وأربعين وثلثمائة ومطلعها :
مَن الجآذرُ في زيّ الأعاريبِ حُمرُ الحُلى والمطايا والجلابيبِ
(٢) الشّطّ : جانب النهر ، وجانب الوادي ، والجمع شطوط . ولم يسمع من عربي شط بمعنى النهر ، والشاعر يريد هنا بالشط : النهر ، وهو غير جائز ، والفلا : بحذف التاء القصيرة وأصلها : الفلاة : وهي الصحراء ، والمفلوج المصاب بالفالج وهو داء معروف .

وعهدي بالنصل المقارع في الوغى   يَفُلُّ وهذا فُلَّ منه قرابُه[1]
وفي تلعاتِ الصخر قد شق نهره   يزيد فصافت ضفتيه هضابُه[2]
وخير سيوف الهند ماصحَّ متنُه   ومُزِّقَ فوق الشفرتين قرابُه

* * *

(١) النصْل : السيف والسكين ، والجمع نُصُول ، ونصال . والوغى : الحرب .

(٢) التلعات : جمع تلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي ، والتلعة أيضاً ما انهبط من الأرض فهي من الأضداد وفي الأبيات عيب من عيوب القافية وهو الإيطاء ، حيث قد تكررت لفظة (قرابه) مرتين .

حرف التاء

وقال مرتجلا من قبيل تجريب الخاطر وتنبيه الفكر الفاتر :

وافى الربيع بترنام الفواخيت   منظم الدر لماع اليواقيت[1]
فقم بنا لنقم رسم السرور على   مخضوضل النبت في أشهى المواقيت
ونقترف طيب اوطار الصبا انفاً   في ظل فصل طيب العيش منعوت[2]
فالروض ابدى بواكيراً مذبّجة   تدعو لجمع اشتمال بعد تشتيت
وللبكور على النوار أندية   فضّت نوافج مسك منه مفتوت[3]
وللمجعد من أمواه جدوله   أسرة مثل تعبيس المصاليت[4]

(١) الفواخيت : جمع فاختة : الحمامة .

(٢) أوطار جمع وطر : الحاجة ، والصبا جاءت في الأصل هكذا (الصبى) ، بالألف المقصورة .

(٣) النوار : أزهار الثمر ، والنوافج : جمع نافجة : وعاء المسك .

(٤) الأسِرَّةُ : الملامح ، والمصاليت جمع مِصْلَت ، يقال سيف مُنْصَلِت واصليت وصَلْت : منجرد ماض في الضريبة ، والمِصْلَت أيضاً : الرجل إذا كان ماضياً في الأمور وكذلك أصلتيٌّ ومنصلت وصلْت ، ومصلات ، قال عامر بن الطُّفَيْل :

وأنا المصاليت يوم الوغى   إذا ما المغاوير لم تقدَمِ

وللفواقع أحداق بلا هـدب … من اللجين كأحداق المباهيت[1]

والريح تستعطف الغصن الرطيب جوى … فلا يزال عليها عاطف الليت

والزهر قامت به ترتاح من سكر … سوق الزبرجد في درّ وياقوت

فانعم من الورد في ايام جدته … بجوهر من خدود الغيد منحوت

فان من لم يكن بالورد حيث بدا … مستمتعاً فهو عندي غير مبخوت[2]

وقم لنبتكر اللذات في طرب … للهو تتبع تصفيقاً بتصويت

فثمّ أنشد نفسي والمنى أَمَمٌ … إليك يانفس منها اليوم ماشيت[3] [٢٣]

---

(١) الفواقع : الفقاقيع التي تطفو على سطح الماء ، والحَدَق : جمع حدقة ، وحدقة العين : سَوادها ، واللجيْن : الفضة ، وأحداق جمع الحَدَق ، والمباهيت : جمع مبهوت ، والمبهوت : من غلبت عليه الحجة ، والمبهوت أيضاً : من قيل عليه ما لم يفعله ، والبيتان صورتان من الصور الفنيــة الرائعة ، صوّر في البيت الثاني ، فقاقيع الماء بأحـداق بلا أهداب ، والعيون من فضة وشبهها بعيون المباهيت ، صورة رائعة . والشاعر يغوص في أعماق الانسان ليستخرج صوره الفنية الرائعة .. وهـذا المذهب شائع لدى شعراء الغرب ، وتفتقر اليه العربية في كثير من مواضعها ، ورأس هذا المذهب في الأدب العربي ابن الرومي (٢٢١ هـ / ٢٨٣ هـ) .

(٢) مبخوت : محظوظ ، والبخت : الحظ ، جاء في المصباح المنير مادة بخت (.. البخت : الحظ وزناً ومعنى وهو أعجمي ومن هنا توقف بعضهم في كون البخت عربية التي هي أصل البخاتي ، — ١١ اهـ .

(٣) فثمّ : هناك ، وأَمَمٌ : قريب .

وقال رحمه الله :

توغلتُ فيما لستَ مبديه جاهداً … ولذّت لي الشكوى وحاق بها الصمتُ[1]

فمن أين لي خل أُواري بقلبه … لدىْ الدهر ميتاً في ضميري له خفتُ

وله في تشبيه زهر القرنفل :

أهدى لنا الروض من قرنفله … عبير مسـك لديه مفتوت

كأنمـا سوقه وما حملت … من حسن زهر بالطيب منعوت

صوالج من زبرجد خرطت … لهـا الغوادي كرات ياقوت[2]

وله في أكمة النور :

واكمة تحكي المهود ترعرعتْ … فيهن أطفـال بلا ناسوت[3]

فضحت نصاعتها اللآلى ضرّجت … بعصارة المرجان والياقوت[4]

وله معمياً في اسم رمضان :

في يد الإرتهان عيني تملت … بعد عشر بطيف من قد تولّتْ

مذ أغارت وأنجدت بفؤاد … من رهين لحينًا هي حلّتْ

---

(١) حاق : حاط ..

(٢) الصوالج : الفضة الخالصة .

(٣) الناسوت : الطبيعة .

(٤) ضرّجتْ : يقال ضَرّجَ الثوب وغيره لطّخه بالدم ونحوه من الحمره ، وقد يكون بالصُفْرة .

وله برّد الله ثراه :

تتج الحسن في صحائف خديه ربيعاً توردت زهراته

فتيقنت ان ستثمر فيها قبل آنٍ صفت له أوقاته

فتنسمتها وحاولت لو تثـ ـمر باللثم بعدها وجناته

وله آنسه الله تعالى :

إنّ للفيجة الفريدة عيناً فوقها ما تحار فيه النعوتُ [٢٤]

ثم للقراصيا مثلتها في صفاها كأنه مثبوتُ (١)

وهي كنز من اللجين وما أحـ ـسنَ كنزاً حصباؤه الياقوتُ (٢)

وكتب على نسخة كتاب [من غاب عنه المطرب] قوله : (٣)

كتابك يا أبا منصور أضحت تفوق على ابن بانة مطرباتُه (٤)

تسلُّ غمامة المزكوم منه على ذكر الرياض مقطعاتُه

---

(١) القراصيا : شجر يحمل ثمراً يشبه العنب الأسود ، وهو من الدخيل .

(٢) الحصباء : الحصى . وفي الأصل غير مهموز .

(٣) من غاب عنه المطرب : كتاب للإمام منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي .

(٤) وابن بانة هو عمرو بن سليمان بن راشد مولى يوسف بن عمر الثقفي وبانة أمه وهي ابنة روح كاتب سلمة الوصيف وله من الكتب كتاب : مجرد الأغاني ، وكان نديماً للمتوكل وله صنعة في الغناء اشتهر بها وعاش ايام المعتضد وكان منزله ببغداد توفي في سنة ثمان وسبعين ومائتين ٢٧٨ هـ . وفي الأصل : ابن ثانة (بالنون) .

وله غفر الله له :

اكتب محاسن ما ترى واحفظ محاسن ما كتبتَه

وأدرْ على الأسماع ان حا ضرت أحسنَ ما حفظتَه

وله عفا الله عنه :

وجدي القديم حديث العهد صيّره وقادني بعد ما ولت صباباتي

وجه الحبيب وما يتلوه عارضه به من النَفَثات البابليات

وله مفردٌ في الياسمين :

كرويجات صغار سال في لمعٍ منها على الفضةِ البيضاء ياقوتُ

* * *

حرف الجيم

قال رحمه الله وعفا عنه :   [٢٥]

أرنّت الوُرْقُ وهناً فوق أبراج   ورجّعت بين إرمال وإهزاج [1]
ونادمت كل مصدوع الفؤاد بما   يثير لاعجه في أي ازعاج [2]
وذكرتنا رياضاً في مسارحها   من مدمع الطل در فوق ديباج [3]
ايام قام بها الساقي يدير لنـا   شمساً من الراح في راح من العاج [4]
تتوجت بلآلٍ من فواقعهـا   حتى حسبنا انو شروان في التاج [5]
وللجداول من فوق الخمائل أسـ   ـياف تجرد من أجفان أمواج

---

(١) الوُرْق : جمع ورقاء : الحمامة ، وإرمال واهزاج : ضربان من الغناء ، ولعله يشير إلى بحريْ (الرمل والهزَج) . ووهناً : آخر الليل .

(٢) يثير في الأصل يسير (بالسين) .

(٣) الطَّل : المطر الخفيف ، والندى أيضاً .

(٤) شمساً من الراح ، يريد بها الخمر . شبه الخمر (الراح) بالشمس ، والراح الثانية يريد بها كفّ الساقي التي هي من عاج .

(٥) أنوشروان : ملك من ملوك الفرس ، وهو كسرى أنوشروان .

يحث نخب الكؤوس المثقلات لنا   شدو الغنا بين أفراد وأزواج [1]
من كل مثقل ما تحوي مآزره   مُخصَّر الكشح أحوى طرفه ساج
كأننا في الربى في ظل وارفها   أطفال بهنانة من تحت دُوّاج [2]
حتى بدت وادي غدرانها سحراً   تشدو كورق وسُمّان ودُرّاج [3]

وله كتبها للأديب الفاضل زين الدين البصراوي [4] يستدعيه ويطلب منه ريحانة الشهاب الخفاجي رحمه الله تعالى :

---

(١) الكؤوس في الأصل (الكؤس) بلا واو ثانية .

(٢) البهنانة : الطيّبة النفس والريح ، واللينة في عملها ومنطقها ، والضحّاكة الخفيفة الروح ، والدوّاج : اللحاف .

(٣) الورق والسّمان والدُّرّاج ، من أنواع الطيور .

(٤) السيد زين الدين البصراوي لم أقف له على ترجمة ، وقد عرّفه صاحب (نفحة الريحانة) تعريفاً بسيطاً لا ينقع غلة الباحث . راجع نفحة الريحانة / مخطوط . ص ١١٥ . الشهاب الخفاجي : هو الشيخ أحمد ابن محمد بن عمر قاضي القضـاة الملقب بالشهاب الخفاجي المصري ، ولد (٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م ، وتوفي سنة ١٠٦٩ هـ / ١٢ رمضان) ، علم من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو والشعر ، يقول المحبي صاحب خلاصة الأثر فيه ج ١ ص ٣٣١ : « والخفاجي نسبة إلى أبيه خفاجي ، وأصل والده من سرياقوس قرية من قرى الخانقاه ، » اهـ ، إلاّ أن الأستاذ الكبير خير الدين الزركلي يقول في الأعلام ج ١ ص ٢٢٧ ط ٢ : « نسبته إلى قبيلة خفاجة ، ولد ونشأ بمصر » اهـ . وكتاب الريحانة اسمه « ريحانة الألباء » ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة . وله كتاب آخر باسم « ريحانة الندمان » . وأغلب الظن أن شاعرنا كان يريد بالريحانة الأخيرة .

يا أديباً يبدي من الأدب الغضّ رياضاً   موشيّة الديباج

قد نمتها سحبُ الحيا وسقاها الطـ ـلُّ قبل الصباح عذب المجاج

إنّ فصل الربيع وافى بورد   منه أضحت نفوسنا في ابتهاج

ولغضّ الريحان مع يانع الور   د ازدواج في قوة الامتزاج

فتفضل مع الرسول إذا شئـ ـت بريحانة الشهاب الخفاجي

ومن تشبيهاته البديعة قوله في جنبذ الورد :

ووردة شققت منها لفائفها   عن غادة يستبينا نشرُها الأرِج[1] [٢٦]

قامت تماثيل سرو في جوانبها   بغير سوق تراءت بينها فرج[2]

تبين منها محاريب منكسة   من اليواقيت تصبو نحوها المهج[3]

وله عفا الله تعالى عنه :

ومجلس حفت الغصون بنا   فيه ووجه الرياض مبتهج

كأن أوراقها يرف بها   فوق الندامى نسيمها الأرج

خضر من الازر لا تزال بها   مناكب الراقصات تختلج

---

(١) النشر : الريح الطيبة ، والأرِج (بكسر الراء) الذكيّ الرائحة .

(٢) السَرْو : شجر معروف .

(٣) المحاريب : جمع محراب .

وله رحمه الله تعالى :

سقى الله أياماً بغوطة جلّق   إلى أرضها الميثاء مسرى تفرجي[1]

إلى تلعات السفح من قاسيونها   مدارج داري الصبا المتأرج[2]

إلى مرجها الموشى غب سمائه   إلى روضها الأحوى الأغن المدبج[3]

إلى الربوة الغنّاء مطمح ناظري   [. . . . . . .][4]

وله تغمده الله بالرحمة والغفران :

سيدي اكحل النواظر مرآك   بسرّ السرور والابتهاج

وحبانا بالأنس كيف وقد أصـ ـبحت للعارفين أكرم تاج

ضمنا مُنتدىً برود من الظل   بوحي النسيم أضحى يناجي

ومناخٍ على جوانب نَهْرٍ   سُنْدُسيّ الشطين عذب المجاج[5]

---

(١) جلق : دمشق ، والميثاء : الأرض الليّنة .

(٢) تلعات : جمع تلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي ، وقاسيون : جبل شهير بالشام .

(٣) الأغنّ : الكثير الشجر والعشب .

(٤) الغنّاء : مؤنث الأغنّ ، وعجز البيت بياض في الأصل .

(٥) سندسي الشطين ، معشوشب الشطين ، والشط جانب النهر ، والسندس لونه أخضر ، فاستعاره للعشب ، وعذب المجاج : يريد عذب المذاق .

وله برّد الله مضجعه في ضرب الجنح من أعمال الحساب :

مارقوم الحِسَاب إلاّ طيورٌ واقعات على رياض بهيجَهْ
ما تراها لما كَسَتْكَ جناحاً قَرَّبَتْ شقة السُرَى للنتيجة [٢٧]

★ ★ ★

حرف الحاء

قال مادحاً المولى الهمام محمد أفندي قاضي دمشق الشام :

إنّي أرقت لبـارق لمّاح فذكرت مَغدى صبوتي ومراحي (١)
يهتاجني في السدر أورقُ صادح يدعو الهديلَ بأنّةِ الملتاح (٢)
ويشوقني في البان كلّ عشيّةٍ شدو العنادل في ذرى الأدواح (٣)
ان الفؤاد إذا استقل بدائه يهفو لكل مغرد صـدّاح (٤)
وإذا استبلّ فإنّ ذكراه الهوى مغنيطسُ النشوات للأرواح

---

(١) البارق اللمّاح : البرق الكثير اللمعان ، مَغْدى : مكانه الغدو .

(٢) السدْر : شجر معروف ، ويقال انه (النَّبْق) . وأورق : مذكر الورقاء ، والهديل : فرخ الحَمام ، ويقال أن الهديل فرخ كان على عهد نوح عليه السلام ، مات عطشاً أو صاده جارح من الطير فما من حمامة إلاّ وهي تبكي عليه ، والهديل ، أيضاً صوت الحمام .

(٣) البان : شجر مستقيم الأغصان ، والأدواح : جمع دَوْحة : الشجرة العظيمة . والعنادل : جمع عندليب .

(٤) يهفو : يميل .

ياطيبَ ماسيغت بغلواء الهوى ... جُرَعَ الذّ من ارتشاف الراح(١)

أمعاهدَ الأحباب دُمتِ كعهدنا ... ريّا المزاهر تمطري وتراحي(٢)

أيام نسترق المنى والذّها ... ما كان مسترقاً من النصّاح

والعيش منتاف اللذاذة ناعم ... يندى بشادي أنسنا الفياح

والروض مبتسم يرفّ خصيبه ... متخضلاً بالوابل السحّاح

والريح وانية الهبوب تسحّبت ... من فوق مَعبق نشره النفّاح

ومغرّدُ المُكّاء يندب شجوه ... طرباً بكل عشيةٍ وصباح(٣)

فكأنما في الحلقِ منه إذا شدا ... نفحاتُ أوتار شدون فِصاح

زمن كأنّ القلب من تذكاره ... متلمظٌ بعُلالةِ الأقداح

ما زلتُ أهتف شادياً بنعيمه ... ومحلّه من قلبيَ المرتاح

حتى اغتدى زمنُ الهُمام محمدٍ ... روضَ القريض وموسم المدّاح

مولى تكاد الوُرْق في وكناتها ... تشدو بطيب ثنائه السيّاح

ويود لو حاك الربيع بمدحه ... حِبَراً ترين معاطف الأدواح(٤) [٢٨]

(١) الغلواء : الغلو وتجاوز الحد .
(٢) لم نر وجهاً لحذف النون في فعلي (تمطرين وتراحين) .
(٣) المُكّاء : طائر أبيض اللون له تصعيد في الجو وهبوط ، حسن التغريد ، الجمع : مكاكي . .
(٤) حِبَرا : جمع حبير ، وهو ثوب معروف .

مه يا ربيعُ فإنّ صوبَ قصائدي ... صوبُ الحجى وحمامُها إفصاحي

قامت بحسن صفاته وترعرعت ... وكذا الجسوم تقوم بالأرواح

شهم له فضلٌ يعُبُّ عُبابُهُ ... وخلائقٌ طبعت على الإسجاح(١)

وفصاحة مقرونة بحصافة ... وحماسة موصولة بسماح

وافى دمشق ركابُه فقضى لها ... من يُمن طائره بفوز قداح

إنّ الحجى والأريحيةَ والتقى ... منه ضُمِنّ عوائد الإنجاح

مولايَ أروَضَ بازديارك جانب الـ ... ـعيش الرّغيد ومربعُ الأفراح

فلبستَ شكراً لا يَجِفُّ رُواؤه ... وجميل حمدٍ في الأنام صُراح

واليك وافدة الثناء كروضة ... سحريّة الأنداء والأرواح

خجلى تُمتُّ إلى القبول برقّة ... كالماء ينطفُ في مسيل بطاح

واسلم ودُم ما أيقظت ريح الصبا ... ريّا خُزامى روضة وأقاح

ومما أحدثه ناهجاً منهج الرقة في الروض قوله :

لقد بشّرتنا باقتبالٍ وجدة ... من الروض انفاس الربيع النوافح

فسرنا وقضب الواديين نواضِر ... نمتها سوارٍ للعشايا نواضح

(١) يعُبُّ عبابه : يكثر موجه ويرتفع ، والإسجاح : الخُلُق الحسن ، ولين العريكة . والخلائق : جمع خليقة ، الطبيعة .

ترامى بنا والعيش فينان أخضرٌ   على صفحات الروض تلك المسارح
فظلْنا وحنّان النواعير شاحبٌ   يرنُّ جوى والحوض ملآن طافح (١)
تقارب فيه الخطو والدوحُ عاكفٌ   ونجني قطوف الزهو والزهر فائح
ونألف منها الغضّ والظلُّ وارف   على أرضها الميثاء والنهر سارح
ونبتكر اللذاتِ والجوُّ أدكَنٌ   بسفك دم الراووق والزقِ ناضح (٢) [٢٩]
ونُصغي لترنام اليراع مُوقَعاً   على شدوات الطير والطلُّ راشح (٣)
وللعود من صوتِ القيان مساجل   وللزّير من شدو الحمام مطارح (٤)
فذا ساقُ حرٍّ فوق ساقٍ مغرّدٌ   يناغيه قُمريٌّ على الشطِ نائح (٥)
وهذا ابن ورقاء على الغصن مفردٌ   لعوب بأطراف الأهازيج صادح (٦)

---

(١) فظلْنا : أي فظلَلْنا ، أدغمت اللام الثانية بالأولى لضرورة الشعر .

(٢) الراووق : المِصفاة ، إناء يروّق فيه الشراب ، وهو الكأس أيضاً ، والمراد به هنا الكأس . والزِق : وعاء الخمر .

(٣) اليراع : جمع يراعــة ، وهي القصبة التي تُبرى للكتابة . والطلُّ : الندى .

(٤) القيان : جمع قيْنة : المُغنيّة ، والزير ، من آلات الطرب .

(٥) ساقُ حرّ : ذكر القمريّ : ضرب من الحمام ، والجمع : قماري ، وهو طائر حسن التغريد . والشطُّ : جانب النهر .

(٦) ابنُ ورقاء : فرخها .

وذاك عراقيٌّ من الدُبْس واجدٌ   عزيزُ أسىً عمّا تُجنُّ الجوانح (١)
جوارٍ على قضب الأراك تناوحت   وما هي إلاّ للقلوب جوارح (٢)

وله مرتجلاً في بعض العشايا أثر شحرور (٣) تفقده بعد ما ألفه فلم يجده فعنّ له ما ترى :

مالي أطارح نحو أسود صادح   شجوي فلا يُلغى بذاك مطارحي
لهفي لشُحْرُور ألفت بسُحْرة   ترنامه هَزَجاً بصوت جارح
حُوٍّ قوائمُهُ دجوجي الكسا   حمر ملائمه طروب فادح (٤)
يشجي القلوب برنّة تذكي الجوى   وتُثير نار الوجد بين جوانحي
يرتاد كل حديقة غنآء قد   حُفّتْ جوانبُها بنهرٍ سارح
فيحلّ في فَنَنٍ ويعلو آخراً   دانٍ ويستولي بآخر نازح (٥)
متنقلاً في الدّوْح فوق غصونه   كتنقل الأفياء فوق مسارح

---

(١) عراقيٌّ من الدُبْس : ضرب من الحمام ، وهو الذي لونه بين السواد والحمرة ، وواجد : فاعل ، من الوجْد .

(٢) الأراك : شجر معروف .

(٣) الشُحرور : ضرب من الطيور حسن الصوت .

(٤) دجوجي الكسا : أسود الريش .

(٥) الفَنَنُ : الغصن والجمع : أفنان .

يندي بمنتحل الرَّذاذ جناحه ... فيظلُّ مرتعشاً بِطلّ راشح (١)

عاهدته أن لا يزال مساجلي ... شكوى عقابيل الجوى ومناوحي (٢)

يشكو فأسمع ما يقول وأنثني ... أشكو فيسمع لي مقالة طافح

فلوى بعهدي واستقل به النوى ... عني وغادرني بدمع سافح

[٣٠]

وله بردّ الله مضجعه مرتجلا :

خطرنا بحكم اللهو للسفح خطرة ... سقاها الحيا من خطرة وسقا السفحا (٣)

ثنينا بها نحو البطالة والصبا ... عنان النهى من حيث لم يعرف النصحا

ومرت على الآثار منها خلائف ... نهضنا إليها كيف شاء الهوى صبحا (٤)

وكلاً رعينا فيه روضاً مفوفاً ... وأوسعنا شادي البكور به صدحا (٥)

وأهدى لنا ركب النسيم لطائماً ... من النشر لا ينفك ينفحها نفحا

فما زال يقتاد النفوس ادّكارُها ... ويوري لزند الشوق وسط الحشا [قدحا] (٦)

(١) الرذاذ : المطر الخفيف .
(٢) العقابيل : بقايا الداء ونحوه ..
(٣) السفح من الجبل ، أصله وأسفله ، وعرضه ، ومضطجعه ،
(٤) الخلائف : الأقوام التى تخلف غيرها وتقوم مقامها .
(٥) الروض المُفوّف : الكثير الأزهار ، يقال بُرد مُفوف : فيه خطوط بيض ، وبُرد مفوف : رقيق .
(٦) ادّكار : أصلها ، إذدكار ، فأدغمت الذال بالدال للسهولة .. بين معقوفين في الأصل بياض .

إلى أن تنادينا لتجديد عهدها ... بيوم سرحنا فيه طوع المنى سرحا

لغربي ذاك السفح والموطن الذي ... شهدنا به الدير المشيّد والصرحا

نحاول فيه الأنس من رونق الصبا ... ونضرب عن راجي الهموم به صفحا

بمستشرف للغوطتين وما حوت ... من الحسن مما راح يعجزنا شرحا

تراث لدينا منه جنة عَبْقَرٍ ... جرت حولها الأنهار في سائر الأنحا (١)

وممتحن بالنرد عن غير خبرة ... تخلف عنا واستبد به قبحا (٢)

ايزعم ان الفرس اوصت له به ... وحجبه عن غيره ملكها شحّا

وان زرادشت استعان بفكره ... على وضعه حتى استفاد به نجحا (٣)

وان مليك الهند وابن مليكها ... (بلهوَر) قد أعيته فطنته كدحا

فحث على الشطرنج فكر ابن داهر ... ولولاه لم يسطع لمُرتَجِه فتحا (٤)

(١) عبقَر : موضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن ، والنسبة إليه ، عبقريّ ، ثم أصطلح على كل عظيم يأتي بالخوارق والعجائب أن يدعى بالعبقري.
(٢) النرْد : لعبة وضعها أحد ملوك الفرس ، وتعرفها العامة باسم (الطاولة) .
(٣) زرادشت (٦٦٠ / ٥٨٣ ق.م.) مصلح الديانة القديمة في ايران ومنشىء الطائفة المجوسية .
(٤) مُرتجه : مغلقه .

وزعم ان النرد أربح بلغة — يبلغها الإنسان ان حاول الربحا
رويدك لاتحفل بزعمك واطرح — وساوس نفسٍ قد رُميت بها كفحا
أتعرض عن قصد اللحوق بجمعنا — وتقصد امرًا تستحق به القَدحا [٣١]
ونحن بني الآداب من خير معشر — يودُّ المُعَلّى لو يكون لهم قِدحا
فتباً لزعم خالف الرُشد ربه — وبدّل عن نور الصباح به جُنْحا (١)
وما كان إلماعي بشأنك إنّه — مهمٌ ولكني عثرت به مزحا
وما القصد إلا ذكر أيامنا التي — مرحنا بحكم اللهو في ظلها مرحا

وقال نوّر الله ضريحه :

سقى الله عهد الصالحية والصرح — وحيّا زماناً مرّ في جانب السَفْح (٢)
ودوحاً نزلنا تحت فينان قضبه — ومستحرات الطير موصولة الصدح
مواطن إطراب ومربع صبوةٍ — ومرتع غزلان مخصّرة الكشح
قطعنا بها ليـل التمام جميعه — على ريث ما لوث الإزار أو اللمح
خلال قصور شاهقات تناظرت — مناظرها تدعو المشوق الى الفتح
أباحت لنا سر الرياض وأصبحت — تشيد وافيها التباشير للصبح

(١) الجنح : الظلام .
(٢) الصالحية : من متنزهات دمشق .

بريدانة للريح نشوى عليلةٍ — مُخضّلة الأذيال دارية النفح (١)

وله عمّره الله برحمته :

عُلّقتهُ حين ارجحنّ به الصبا — مرحاً ونوّر غصنه المترنح (٢)
رشـأ أغن مُخفّر مترعرع — في الحسن يرتع في النعيم ويمرح (٣)
قد كان لي منه بغلواء الهوى — أيام لا أصغي ولا أنتصح (٤)
ريحانة ريّا تميـد وروضة — أنفٌ ترِفّ ووردة تتفتح
تغدو وصدّاح الحمام مهمهم — والجو ينفث بالرذاذ وينضح
والروض مكموم الذرى بضبابه — يندى وأنفاس الأزاهر تنفح [٣٢]
لمقرّ أوطارٍ ومألف صبوةٍ — تروى بها أحشاؤنا وترَوّح

وكتب في صدر دُعابة أنشأها في أسلوب مقترح المغاربة وهي :

لا بُدّ للنفس أحياناً إذا سئمت — ان تستريح إلى الآداب والملح
فخُضْ بها من أحاديث الندام إذا — أعيت مذاهبها في كل مقترح

(١) الريدانة : الريح الليّنة ، ودارية النفح ، يريد نفحها من دارين .
(٢) علقتُه : أحببته ، يقال علق فلان فلاناً إذا أحبه ، ارجحن : اهتز واضطرب .
(٣) الرَشَأ : ولد الظبية إذا استقل عنها ومشى وتحرك ، والأغن : إذا تكلم من قبل خياشيمه .
(٤) الغلواء ، الغلو وتجاوز الحد .

وهنا نزعة يختلف إليها النديم ، ويعتلق بها القلب السليم ، وذلك اني طفت الجِنان ، وبلوت الفروع والأغصان ، فلم أر كنبعة ، في خير بقعة ، حسنة البِزّة ، يانعة المَهزّة ، دوحها مُغَنّ ، وطيرُها مُرِنّ :

يطارِحُني من بينهن ابن أيكة هتوف الضحى بعد العشية مرنان
أجاذبه هدب الغرام وفي الحشا نزوع الى ذكر الأحبة حنان

فأسمعني خطابه ، وفرغ لي وطابه ، فقلت ما هذا الغَنَن ، وعلامَ هذا الشجَن ، فقال أمّا الغَنَن فمنصّه ، وأما الشّجَن فمن غُصّة ، فتلكأت عنه تلكُّؤ الشاك ، وقلت من وَشاك (١) ، فقال لبست مُلاءة الربيع ، وكتمت الغرام لو أستطيع ، فقلت لأمرٍ ما خضبتك الغيد ، وأعارتك حَليَ الجيد ، فقال بل موّهت النحول وأخفيت عنوان الذبول ، وأمّا ما أحاط بالمقلد فوثاق ، وقــد تظرف من طبع أغلال الهوى على قوالب الأطواق ، فلـما نعمت بمطارحته ونهمت بمفاكهته ، سايرته بأرسانه ، وقاولته بلسانه ، وقلت إيهٍ (٢) فيما نحن فيه غصن نضير ، ووادٍ عطير ، روضُه حَزْن ، ونسيمُه لَدْن ، وماؤه صافٍ ، ونديمه وصّاف ، فزدني من ندامك ، أو أصخ (٣) [٣٣] لترنّامك ، ففي أيّ الخلتين تفيض ، فلا بعدك مَعْبَد ولادونك غَريض ، فقهقه ورجع ، ثم أنشد فاسمع :

---

(١) وشاك : من وشى يشي ، وهو الكذب ، ومنه الواشي .
(٢) إيهٍ : زدني .
(٣) أصخ : اسمع ، من الإصاخة ، الاستماع .

إنتخبْ للنَدام كلَّ حديثٍ من قِصار الفصول داني القطاف
يتمنّى الجليسُ عُمْرَ معــاذٍ لتلقّي معــاده الشفّاف (١)
وتنقّل من الدُعابة (٢) للجدّ وخيّمْ حيث المعاني اللّطاف (٣)

فلما أتى على قريضه ، وألمّ إليّ بتعريضه ، ثاب اليّ أن أمتحض الفكر ، وأكشف قناع البكر :

فأبرزتها عذراء في زيّ غادة تُزَفّ على وجه الدُعابة والهزْل
وما ثمّ إلاّ نبعَة الشعر نبعة يرنّ بها طيرُ الفصاحة والنبل

وله تغمده الله بعفوه :

إليك نفثة مصدور بعثت بهــا والقلب والصدر مثلوج ومُنفسِح
لا تعجل اللوم فيها وارعَ زهرتها فربمــا كان للآداب مقترح
والشعر أسنىْ كلام نجتليه وفي بعض الأحايين من أغراضه الملح

---

(١) معاذ : لعله يشير إلى مَعاذ بن جبل ، الصحابي الأنصاري ، الفقيه ، المتوفى بالطاعون سنة (٦٤٠ م) .
(٢) الدُعابة : المداعبة ، المزاح وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدة له ستأتي في حرف الفاء . .
(٣) بعد « حيث » يجب الرفع وعلى هذا يجب أن تكون القافية هنا مرفوعة على حين أن بقية القوافي مكسورة ، وهذه المخالفة في حركة الروي تسمى في علم العروض « الإقواء » وهو عيب هام من عيوب الشعر ، ولعله أراد « عند » بدلاً من « حيث » .

والآن أشعرت أني كنت في سِنَةٍ   من الكرى فإذا بالعِير قد نزحوا[١]

وفيهم لي أُطروش سمعت به   وافى من الغرب في أحقابه كلح[٢]

كأنما سدّ ياجوج تخيل لي   بأذنه منه في الآذان مطرح[٣]

تخذته حاجباً في الباب يحرسه   وسمعه مرتج ما كاد ينفتح[٤]

وله عامله الله بلطفه في الغزل :

وبي ضامر الكشحين يمشي فتنثني   معاطفــه ليناً كزانَةِ رامح [٣٤]

يَريشُ بجفنَيه سهامَيْ لحاظِه   ويرمي بقوسَيْ حاجبيه جوانحي[٥]

---

(١) السِنَةُ : النعاس قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ ﴾ . والكَرى : النوم . وإذا : هنا الفجائية ، والعير : (بالكسر) القافلة التي تحمل الميرة . ثم صارت تطلق على القافلة عامّة .

(٢) أطروش : قال الأزهري رجل أطروش من به صمم ، وقال لا أدري أعربي أم دخيل .

(٣) سدُّ ياجوج وماجوج ، ورد ذكره في القرآن الكريم . وتقول الأساطير أن سد ياجوج وماجوج : سدٌّ عظيم في الصين ، وياجوج وماجوج كما جاء في أسفار الكتاب المقدس : عدوان يهاجمان أتباع السيد المسيح في آخر الزمان .

(٤) الحاجب : البوّاب بلغة العصر ، الحارس ، والجمع حُجّاب .

(٥) يريش : ينشر ، وسهامَي في الأصل سهامه ، ونرى أن الصحيح هنا أن تكون « سهام » لأن تثنية الجمع لغة شاذة وقد وردت في شعر المتنبي على عادته في مخالفة القاعدة .

فهل يرتجي قلبي وصالاً دُوينه   عيون تكنّى في الوغى بالجوارح ؟[١]

وله غفر الله ذنوبه :

تألّقَ برق من غريب اللوى جنحا   فأوسع زَندَ الشوق في مهجتي قدحا[٢]

وأذكى الجوى مني لسالفة الهوى   نسيم شذا الخيريّ من سائر الأنحا

وأذكرني الوجدَ القديم سويجعٌ   يرجّع في إثر الهديل له صدحا[٣]

أرنّ بشجو هاجَ بي كلّ لوعة   لعهد سفحت الدمع في إثره سفحا

وله نوّر الله قبره :

ألاَ خلٌ يُزاملني صَبــاحا   وتحملني وإيّاه الرياح[٤]

إلى متنـــافِ روضٍ عبقري   تُساجلنا به الوُرْقُ الفِصاح

وتسمعنا البلابلُ طيبَ شدو   يحرّكُ صوت أُرغُنه الصباح[٥]

---

(١) دوينه : تصغير دونه .

(٢) التألق : شدة البريق واللمعان . واللِوى : كثيب الرمل ، وجُنحا : ليلاً ، والجُنح : الظلام .

(٣) سويجع : تصغير ساجع : الطائر المترنم ، والهديل : صوت الحَمام .

(٤) ألاَ : في الأصل (إلاّ) وفيها لا يستقيم وزن البيت .

(٥) الأُرْغُن : من آلات الطرب ، (أعجمية) .

وله معمّياً في اسم مصطفى :

ياساقيَ القوم قد هبَّ النيامُ على   صوتِ القِيان وداعي أُنسهم صاحا
قمْ ويْكَ في ظل ريعان الصبا فرحاً   دُرْ بالحميّا تفوق البدر إذ لاحا

وله سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه :

فقال اقترح صوتاً أرجّعُ شدوه   فإنّي منطيقٌ بما أنا مانحُ
فقلت مَهٍ لم تدرِ أني مبرّز   على كل غرّيد بما أنا صادح (١)

وكتب في صدر كتاب أرسله إلى بعض أصحابه :

ما شوق أورقَ صادح بشدو على   فَنَنِ الأراك عشيةً وصباحا [٢٥]
يوماً بأعظم من لهيبِ تشوّقي   وجَوايَ لكنّي كتمتُ وباحا

وله غفر الله ذنبه :

فسحتُ في الصدر حتى لاتَ منفسحٌ   وما عليّ إذا لم ألفِ منفسحا
فاكرم بقول الرضيّ الشهم من مثلٍ   ما يمنع القلب من فيض وقد طفحا
جهدتُ أن أصحب الدنيا بلا أمل   وأضرب الصفح عمّن لا يني ولحا (٢)
فكان أول ما أمّلتُ من منَحٍ   إفاظة (٣) النفس وانعم بالردى منحه

* * *

(١) مه : كفّ .
(٢) الولح تحميل الجمل ما لا يطيق .
(٣) فاظ وأفاظ بمعنى مات .

حرف الذال

قال غمره الله برحمته ، في ختم صحيح الإمام البخاري عليه رحمة الباري : (١)

ما على فضلِ يومنا من مزيد   جاء مُستوْجباً لشكرٍ مديد
غاية الصّوْم آذنتنا بعتقٍ   مُنقذٍ من عذابِ يومٍ شديد
وسماع الحديث أحيا قلوباً   ترتجي القُربَ في مقام الشهود
كيف لا وهو هَدْيُ خيرِ شفيعٍ   في البرايا لدى الحميد المجيد

(١) الإمام البخاري : هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة البخاري الجعفي ، ولد في بخارى في ١٣/ شوال ١٩٤ هـ / ٨١٠ م ، أصله فارسي ، طوّف في البلاد لطلب الحديث ، فحج وعمره (١٦) سنة وألف بالمدينة كتاب التاريخ ، وورد مصر ، وبغداد ، والبصرة ، ثم عاد إلى بلده ، وتوفي في (خرتنك) قرية قرب سمرقند ، في ٣٠ / رمضان / ٢٥٦ هـ ، / ٨٧٠ م ، وصحيحه اسمه « الجامع الصحيح » ، أخرجه عن ستمائة ألف (٦٠٠،٠٠٠) حديث ورتبه على ترتيب علم الفقه .

خصّه الله بالفضائل طُـرّاً   وحباهُ بالعـزم والتسديد(١)

سيّما جامع البخاري أضحت   في مطاويه بُغيةُ المستفيد(٢) [٣٦]

عَلَمٌ في الحديث نبراسُ عِلمٍ   ذُو مزايا أوفَتْ على التعديدِ(٣)

نال من فَيضه الورى بَركاتٍ   وارتوى كلُّ عالِمٍ صِنديد

فجزاه الإله خيرَ جـزاء   معْ ذوي القُربِ في جِنان الخلودِ

وحَبا شيخنا الكريم السجايا   بهبـاتٍ مقرونةٍ بسعُود

كم له في العُلوم إحرازُ سَبْقٍ   وارتواءٌ من وِردها المورود

قد رقى في الحديث أسمى المراقي   واكتسى من فخاره المشهود

يا حباهُ الإله أربحَ فضـلٍ   مَا له عن ذُرى العُلا من مَحِيد(٤)

وقال يمدح المولى الهمام عبد الله أفندي قاضي القضاة بالشام :

صِيْبَت خمائلنا بأيمن وافدٍ   غيثٌ يمتُّ الى الربى بفوائد

واعتادها الخِصب المريع فأوشعت   شجراؤها بلآلىء وفراقد(٥)

---

(١) طراً : جميعا .

(٢) لم يجوز بعض اللغويين استعمال (سيّما) بلا (لا) ..

(٣) المزايا ، الصفات .

(٤) حباه : منحه وأعطاه ، وفي الأصل (حياه) بالياء .

(٥) فراقد : جمع فرقد ، النجم النيّر .

وتنمنمت حَبراتُها بأزاهرٍ   تندى كأثنية الهمام الماجدِ(١)

مَولاي عبد الله مَنْ شَهدت له   أبداً دمشقُ بكل فضل زائد

شهم تدفق طبعُه بمكارمٍ   طابت مآثرها وحسن مشاهد

وأبان عن علمٍ يعبّ عبابُه   وبراعةٍ قُرنت بفهم مقاصد(٢)

وخلائق كالروضة الغناء قد   صيبت بتوكاف الغمام الراعد(٣)

مولاي جِلّقُ أشرقت لبّاتُها   بقلائد بك أزهرت ومعاقد(٤)

وترنمت أطيـارها مُهتاجةً   فكأنما سمعت بحَمْد الحامد

شكراً لِما أوليتَ حسنَ مآثرٍ   وجميـل آثار وجمّ عوائد

وإليك وافدة الثناء عَرُوبةً   بكراً تهادى من بنات قصائدي(٥) [٣٧]

---

(١) أثنية : من الثناء .

(٢) أبان : أظهر ، يعبّ عبابه : يكثر موجه ، ويزيد ، والعُباب : الموج .

(٣) بتوكاف : تفعال من الوكف ، الانهار .

(٤) جِلّق : اسم من أسامي دمشق .

(٥) العَرُوبة : البكر التي لا تمس قط .

وافتك والنيروز يبسم ثغره　　بتوأم بنتٍ للربيع وفارد[1]

قد فعت من نَوْره بوشائع　　وتقرطت من زهره بفرائد

جاءت مهنئة بفضلٍ زاهر　　يندى وعيدٍ بالمسرة عائد

مولاي عذراً فهي عفو قريحةٍ　　هصرت بغصنٍ من ثنائك مائد

خجلاً تمتّ إلى الولاء بعذرها　　كخريدة تختال بين ولائد[2]

واسلم ودم في غبطةٍ وسلامةٍ　　في ظل سعدٍ للزمان مساعدِ

وقال يمدح المولى قاضي مصر القاهرة :

سعدت مطالعنا بأكرم وافد　　وأعز مجتاز وأشرف ماجد

مولاي قاضي مصر من شدت له　　بدءاً دمشق بكل فضل تالد

(١) النيروز : كلمة فارسية معربة معناها ، يوم جديد ، ويراد بها التنزه والحظوة . وهو عيد من أعياد المجوس ، قال أبو عبادة البحتري :

وقد نبّه النيروزُ في غلَسِ الدجى　　أوائلَ ورد كُنّ بالأمس نوّما

وقد تخذه بعض الشيعة عيداً مباركاً من أعيادهم ، وللسيد عبد الرضا الحسيني المرعشي الشهرستاني رسالة اسمها « النيروز في الإسلام » تقع في (٨٠) صفحة من القطع الصغير مطبوعة في بغداد / مطبعة الزهراء ، عام ١٣٧١ هـ في أهمية النيروز في الإسلام والحث على تعظيمه وبيان الأعمال الواردة فيه ودفع بعض الشبهات ..

(٢) الولائد : جمع وليدة : الخادم .

شهم تدفق طبعه بمكارم　　طابت مآثرها وحسن مشاهد[1]

[واليك وافدة الثناء عَرُوبة　　بكراً تهادى من عيون قصائدي][2]

تسعى على قدم الضراعة خدمة　　[كخريدة تختال بين ولائد][3]

[بكرت مهنئة بفضلٍ زاهر　　يندى وعيدٍ بالمسرة عائد][4]

وركاب سعد في الفلا متنقل　　لمقرّ عزّ بالمفاخر شاهد

مولاي شكراً للسرى فأرى له　　عند الصباح يكون حمد الحامد

للنفس تخلية ويعقب بعدها　　لله تحليـة بأنفس عائد

ولك الفداء بما فنيت وإنما　　يقضي الإله بها لجم فوائد

ولنا بيوسف أسوةٌ بوسائل　　كانت له في مصر جل مقاصد

(١) مكررة في القصيدة السابقة .

(٢) تكرر ورود البيت بين معقوفين في القصيدة السابقة ، وفي البيت السابق ، العجز ، جاء فيه من [بنات] قصائدي .

(٣) تكرر ورود عجز البيت في القصيدة السابقة .

(٤) وهذا البيت هو الآخر قد تكرر مرتين في القصيدة السابقة والقصيدة هذه . (ما عدا الكلمة الأولى) .

وقال تغمده الله بعفوه يمدح المولى ابا السعود الشعراني (١) : [٢٨]

بالعهدِ مضى وعيش رغيد   واقتبال من الزمان سعيد

وليالٍ مرت على جانب السفـ   ـح وأنسٍ داني القِطاف حميد

ومناخ من الرياض أقمنا   فيه ما بين نرجسٍ وورود

حيث وجه الرَّبيع طلقٌ   وغصن الدَّوح يزدان في مُلاء جديد (٢)

واعتلال الصَّبا يرنّحُ أعطا   ف الندامى للأنس بعد الهجود (٣)

قد دعتهم الى المُدَام نفوسٌ   أسامتهم لكلّ ساقٍ ميود (٤)

أحور الناظرَين أحوى يُحيّا   ويفدى بأنفسٍ وجدود (٥)

---

(١) أبو السعود الشعراني بن عبد الرحيم بن عبد المحسن المصري والشعراني نسبة إلى قرية أبي شعرا بمصر ، قاضي القضاة ، وأحد أفراد الدهر في المعارف الإلهية وكان في عصره من محاسنه الباهرة جمع بين العلم والعمل ، ولد بمصر وتوفي في عام ثمان وثمانين وألف ١٠٨٨ هـ بقسطنطينية .

(٢) ملاء : جمع ملاءة : الرَّيطة .

(٣) اعتلال الصَّبا : الصَّبا ، ريح تهب من الشرق ، واعتلالها : تكون عليلة ..

(٤) المُدام : الخمر ، وميود ، فعول من المَيَد ، الحركة ، أي لكل ساق متحرك خفة ومرحا ..

(٥) أحور الناظرَين : في عينيه حَوَر : شدة البياض في بياضها وشدة السواد في سوادها . أحوى : من الحُوَّة : الحُمرة ضاربة إلى السواد .

مُخطَفُ الخَصْر لَيِّنُ العطف معـ   ـسول الثنايا يزهو بخال وجيد (١)

جال ماء الشباب فيه كما قد   جال ماء الحياة في الأملود (٢)

قام يسعى بها ومُسْتَجِرات الطَّيـ   ـر تشدو ما بين جُنْك وعود (٣)

ورداء النعيم ضاف وطَرْفُ الدّهـ   ـر غافٍ والأنس داني الورود (٤)

قد حكت في الصفاء أيام مولا   ي أخي الجود والندى مسعود

مُحرزُ السبق في رهان ذوي الفضـ   ـل وكشّاف مُعضل المستفيد

من رقى ذروة المعالي بمجد   وفخار ينمى بخير جدود

والبليغ الذي إذا فاه في يو   م فخار أزرى بعبد الحميد (٥)

قد تولى دمشق بالطائر الميمو   ن فازدان نجمها في سعود

فتلقّاهُ بالهناء ربيعٌ   وحبته بالبِشْر أيامُ عيد

---

(١) مخطف الخصر : دقيقه ، والثنايا جمع ثنية الأسنان . والخال : الشامة على الخد .

(٢) الأملود : الغصن الناعم ، الجمع أماليد .

(٣) تشدوا في الأصل ، تشدو ، بلا ألف . والجُنْك والعود : آلتان من آلات الطرب .

(٤) غاف في الأصل [ماف] بالميم .

(٥) يريد به عبد الحميد الكاتب المقتول في عام ١٣٢ هـ .

وأجدّت له الرياض ثناءً ما على طيب عَرْفه من مزيد

سيدي لا برحت في ظل عيـــش ناعمٍ واقتبال أُنس جديد [٣٩]

آهلات بالعز أيامك الغرُّ العوا لي مع البقــاء المديد(١)

وإليك الغداة مني شروداً قصّرت عن مَدى عُلاك البعيد(٢)

تجتني نظرة القبــول وتختا ل من التيه في حبير البُرُود(٣)

وابق واسلم مروّحَ البال ما لاح لطَرْف هلالُ يوم جديد

وقال مادحاً بها قاضي العسكر :

أودى الهوى بحشاي زَوْداً وحسبت فيه الغيّ رشدا

بكَرَ الحمــام مُرَجِّعاً يشدو على الروض المُندّى

فذكرتُ ســالفة الهوى ومراتع الرشأ المفــدّى

رشــأ أغنّ مهفهف كالورد أنفاساً وخــدا(٤)

خَنِثُ المعاطف قد حكا ه الغصن أعطافاً وقــدا(٥)

(١) آهلات : حافلات .

(٢) العُلا : العلياء . ويعني بشرود : القصيدة .

(٣) البُرُود : جمع بُرْد : الثوب .

(٤) مهفهف : دقيق البطن . والمؤنث : مُهَفْهَفة ومهفّفة .

(٥) القدّ : القوام .

خامرت فيه من الهوى ما لا أرى لي منه بُدّا

جُرَعٌ ألذّ من الكرى ألفيت فيها الغيَّ رُشْدا

كانت وكان الدهر مئنا ساً وصفو العيش رغدا

أيامَ أهصُــرُ للمنى غُصناً يرفُّ به ويندى

وأجرُّ من رَوْقِ الصبا ونعيمِه الموصولِ بُرْدا(١)

يا حسنهـــا نُعمى عليّ مفاضــة ومنىً ورِفْدا

ووِداً لأيام الصبــا وعوارفاً للدهر تُسدى

تحكي عوارفَ سيّد أضحى لَدى العلياء فرْدا

قاضي العساكر من أنا فَ على الورى كرَماً ومجداً [٤٠]

مَوْلى له شِيَمٌ تفو قُ على الصبا كرَماً وعهدا

وفضائِلٌ ممنوحَــة أضحت لجيد الدهر عِقدا

حازَ الفخار بطيبِ أعرا قٍ زكا حَسَباً وجــدّا

(١) الروق : ما بين يدي البيت ، والروق : الحاجب من العين .
نُعمى : في الأصل « نعمة » ونُعمى : فُعلى ، من النعيم .

وحوى رهان الفضل حتـــى لم يدعْ لعـــلاه نِدّا

مولاي هاكَ خريدةً منهوكة الألحاظ نَهْدا[1]

أولي بهـــا سبباً إلى علياك والكرم المفدى

غرّاء قد ألبستهـــا وشياً بمدحك مستجدا

أمّتْ رحابك والرجا ء بحفها صَدَراً وورْدا[2]

واسلم ودمْ تولي الجميـــل مُرَفِهَا وتنيل[3] قصْدا

ما راح يشـــدو العندليـــب فيذكرُ المشتاق نجدا

وكتب لعين الموالي السيد أحمد أفندي الشهير بعمر زاده لما مرّ من دمشق قاضياً لمصر ثانياً ، مادحاً ومؤرخاً بما ترى :

قدومٌ به قد حلّ في الشام سيّدٌ   له في ذرى العَيُّوق مجدٌ وسؤدَدُ[4]

---

(١) نهْدا : ناهد ، وهي الفتاة التي برز نهداهـــا ، تدعى ناهداً ، ويريد بها هنا القصيدة .

(٢) أمّتْ : قصدت ، والرجاء في الأصل غير مهموز [الرجا] والبيت مدوّر ، وبدون الهمز لا يستقيم وزنه .

(٣) وردت هذه الكلمة « تنيل » والأصح أن تكون « تنيل » من أنال .

(٤) الذّرى : بوزن الحصى : كل ما يستتر به الشخص ، والذِرْوة : من كل شيء أعلاه . والعَيُّوق : نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها يضرب به المثل في الرفعة .

أناخَ بها فالبِشْرُ فيها مخيّمٌ   وطَيرُ تهانيها [الغريضُ] ومعْبَدُ[1]

أخو شِيَمٍ تحكي النسيمَ لطافةً   هو الماجد الشهم السميدع أحمد[2]

له في رهانِ الفضْل كلُّ براعةٍ   مآثرها فوق السماكَين تُعقَدُ[3]

بليغ فما القصان زيد ودغفل[4]   اذ راح في نهج البيان يغرد

لقد شرفت مصر بعلياه ثانياً   فأنشدتها والبشر فيهـــا يجدد

لك الدهرُ قد أرّخت جادَ بسيِّدٍ   له قصبات السبق والعود أحمد [٤١]

---

(١) بين معوفقين جاء هكذا [الغريد] ، والغريضُ ومَعْبدُ : من مشاهير المغنين العرب في العصر الأموي الخالد .

(٢) السَمَيْدَعُ : قيل الشجاع وقيل الكريم السيد الموطأ الاكناف ، الجميل الجسم قال حسّان بن ثابت (رض) يرثي حمزةَ بن عبد المطلب حينما جاءت ابنته أمامةُ المدينة تسأل عن قبر أبيها ومصرعه :

تُسائلُ عن قرْمٍ هجانٍ سُمَيْدعٍ   لدى البأس مغوارِ الصَباح جَسُورِ

(٣) من الكواكب المعروفة وهما : السِماك الرامح ، والسِماك الأعزل ، وهما أحد منازل القمر .. قال أبو العلاء المعري (٣٦٣ﻫ/٤٤٩ﻫ) .

ولي منطِقٌ لم يرضَ لي كُنْهَ منزلي   على أنني بين السِماكين نازلُ

(٤) زيد ودغفل ، كلاهما نسابة يقص قصص العرب .

وله في فتح قنديه (١) :

ما آل بَرْمَكَ في ذرى بغداد   يومَ الفخار ولا بنو عَبّاد (٢)

(١) قندية : عاصمة جزيرة كريد ، كما تسمى في التاريخ القديم . وتسمى في التاريخ الحديث كاندي . Candie ، وهي عاصمة كريت Crete ونفوسها تقدر بـ (٣٨٦،٠٠٠) ألف نسمة . وهي احدى الجزر اليونانية التي اشتهرت بمدنيتها في القديم . وقد فتحت الجزيرة في عهد السلطان الغازي ابراهيم خان الأول المولود في ١٢ شوال ١٠٢٤ هـ . وكانت تابعة لجمهورية البندقية . فقد جهز لها حملة قوية بقيادة يوسف باشا في ٢٩/ ربيع الأول ١٠٥٥ هـ ففتحها بدون حرب . وفي سنة ١٠٥٦ هـ/ ١٦٤٦ م فتحت أغلب مناطق الجزيرة . وفي سنة ١٦٤٧ م/ ١٠٥٧ هـ وضع الحصار أمام مدينة (كنديا) : قندية : عاصمة الجزيرة لكن حال دون فتحها تمرد الجند في الآستانة ، ثم سار اليها الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) أحمد زادة كوبريلي باشا [نجل الصدر الأعظم كوبريلي محمد] بنفسه في سنة ١٦٦٧ م/ ١٠٧٧ هـ لفتحها إلا أن الحصار دام سنتين لإمداد فرنسا لها بالمال والرجال والسفن الحربية ، وأخيراً اضطرت الحامية إلى التسليم فسلمها قائدها (موروزفين) في ٢٩/ ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ هـ / ١٦ سبتمبر / ١٦٦٩ م ، وبذلك تم فتح جزيرة كريت (كريد) بأ كملها بما فيها العاصمة [كنديا] (قندية) . .

(٢) آل بَرْمَك : أسرة فارسية انجبت الوزراء في عهد العباسيين منهم ، خالد (٧٨٢ م) وزير السفاح والمنصور ويحيى ابنه ، وكان مؤدب هرون ، والفضل بن يحيى وهو أول من أدخل القناديل في المساجد في رمضان ، وجعفر (٨٠٣ م) استعمله الرشيد على الولايات ثم قتله —

يوماً بأوقع في النفوس مفاخراً   مما لكم من سؤددٍ وسَداد (١)
وحصافة قرنت بطيب مكاسرٍ   وفصاحة وُصِلَت بطول نجاد (٢)
حليتُم جيـد الزمان بدولةٍ   حلّت محلَّ الروح في الأجساد
جلَّ المُهيمنُ كم أتاح لذا الورى   منها جميل عوارف وأيادي (٣)
إيهٍ بعيشك يا زمان فلاتني   أبداً بنشر محاسنِ الأمجاد
فيهم هم كَرَماً وحسن خلائق   كالروض إذ تلقاه غب عهاد (٤)

— وبطش بالبرامكة ، ونكبتهم مشهورة ، ويقال إنهم اشتهروا بالبذخ والكرم ، حتى ضرب بهم المثل في الكرم ، وبنو عبّاد : من ملوك الطوائف في الأندلس ، تولوا حكم اشبيلية (١٠٣١ / ١٠٩١ م) مؤسس دولتهم أبو القاسم محمد بن عباد أمير اشبيلية الشاعر المعروف المولود بباجة ٤٣١ هـ وتولى الحكم بعد أبيه سنة ٤٦١ هـ ، وهو من ذرية النعمان بن المنذر ، وكان بلاطه ملقى رجال الأدباء ومحطّ الشعراء ، وكعبة الآمال . توفي سجيناً في أغمات في شمال افريقيا سنة ٤٨٨ هـ .

(١) سؤدد في الأصل سودد [بدون همز] .

(٢) المكاسر : المخابر ، يقال فلان طيّب المكاسر ، أي طيب المخابر ، وطول نجاد : كناية عن تذليلهم الصعاب ، وضبطهم الأمور ودلالتهم الماهرة .

(٣) المُهيمن : الله جل جلاله ، وعوارف وأيادي : يريد بها النِعَم .

(٤) لا موجب لنصب (كرم) ، والصواب (كرمٌ) . والعِهاد : المطر في أول الربيع ، والشطر الأول مضطرب المعنى .

منهم بُدُورٌ للعـلا وأهلّةٌ   وشموسُ أفقِ هدايةٍ ورشاد

فتحوا [بقندية] معاقلَ أُرتِجت   قُدُماً على الأمراء والاجناد

وافى لها الصدر الرفيع جنابه   علم الغزاة ومكمد الحُسّاد[1]

بمضارب كانت لدى افنائها   غيل القنا ومرابض الآساد

شهم له من عزمه وثبـاته   أضعاف ما أُوتيه من إمداد

وله بدين الحق صولةُ ناصح   دكّت الغزاةُ بها ذُرَى الأطواد

تروي له الأيام طيبَ مفاخر   ومآثر عزت على الأنداد[2]

وفضائل ملء العيون محاسناً   قصرت على عليائه باستبداد

أربى على عبد الحميد بلاغة   وزرت بلاغته بقس اياد[3]

---

(١) يريد بالصدر الرفيع : الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فاتح قندية [كانديا] كوبريلي زاده أحمد باشا نجل كوبريلي محمد باشا .

(٢) أنداد : جمع نِدّ : وهو المِثل : يقال فلان ما له نِدّ : أي ماله نظير .

(٣) يريد عبد الحميد الكاتب المقتول في سنة ١٣٢ هـ ، وقُسّ أياد : هو قُسّ بن ساعدة الأيادي] : خطيب جاهلي بليغ يضرب المثل ببلاغته وحكمته وحصافة عقله ، ومن خوالده وأمثاله السوائر قوله : [البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر] . أول من آمن بالبعث بدون علم ، وكان يدعو العرب إلى التوحيد ، وهو أول من خطب فاتكأ على سيف أو عصا في خطابه ..

انتم بني العلياء قطب مدارها   يوم الفخار وموئل القصاد

ما منكم إلاّ حليف مكاره   زاكي الخِلال يُعدّ في الأفراد

أشفعتم شرف الجهاد بمقصِدٍ   أسنَى ومسعاة لخـير مفاد [٤٢]

وحللتم مغنى دمشق فأصبحت   أيامها تزهى على الأعياد[1]

بلد بهـا للأنبياء مراقدٌ   وبها حمىً الأبدَال والأوتاد[2]

زادت بكم شرَفاً على شرَفٍ فلا   زلتم مدىً الأيام في إسعاد

وبقيتم ظِلّ البـلاد وأهلها   ما لاحَ برْقٌ أو ترنّم شاد

وقال عمه الله بالغفران :

أحنُّ إلى تلكَ الرُبىٰ والمعاهد   بذات الغضا والآنسات الخرائِد[3]

---

(١) المَغْنى : المنزل ، الجمع مغاني .

(٢) المراقد : جمع مَرْقَد : مفعَل من الرقود ، والشائع استعماله للصالحين وأهل التقى ، والأبْدَال : جمع بَدَل : الشريف ، أو الكريم ، ويقال ان الأبْدَال : قوم من الصالحين لا تخلو الدنيـا منهم فإذا مات واحدٌ أبدل الله مكانه آخر ، والأوْتاد : جمع وَتَد : ويريد بهم الصالحين والأولياء ، حيث قد جعلهم كالأوتاد في الأرض .

(٣) بذات الغضا : قيل : أهل الغضا : سكان نجد . وفي الأصل بذات الفضا [بالفاء] ، والآنسات : جمع آنسة : التي تؤنسك بطيب حديثها ، والخرائد : جمع خريدة : البكر التي لا تمس قط .

وأهفو وصدّاح الحمائم ساجعٌ　　يرنّ على غصن من الدّوح مائد(1)

له شدواتٌ في العشي تلاعبتْ　　بكلٍّ فؤادطائش الحلم واجد(2)

كلانا له جسمٌ على النأي شاحبٌ　　رهينٌ وجفنٌ في الهوى جدُّ ساهد(3)

[يذكرني](4) أيام تُستَبقُ المنى　　خِفافاً وطَرْفُ الحظّ ليس براقد

على روضة ريّا ترفُّ وموعدٍ　　من العيش فينان الأراكة بارد

ألا يا أبن نعمان الوثيق حفاظه　　ويا غائباً لم نلقه غيرَ شاهد(5)

بجدّك يا أبن الأكرمين إصاخةً　　لرنّةِ مصدوع وقصة ناشد

بعيشك هل من عطفةٍ وارتجاعةٍ　　إلى عيشنا الماضي وتلك المصائد

وطيبِ حديثٍ للصفاء كأنّه　　أزاهيرُ تندى في تُؤام وفارد..(6)

ويوم على ظهر الكثيب وآخر　　على ضفّة الوادي الشهي الموارد

---

(١) مائد : فاعل من الميَد : الحركة والاهتزاز .

(٢) واجد : فاعل من الوجد : الحب والهيام .

(٣) النأي : البعد ، ساهد : ساهر : من السهد .

(٤) بين معقوفين في الأصل بياض .

(٥) يا ابن نعمان : يريد به ممدوحه .

(٦) التؤام : جمع تَوْأم .

مطارد أنس للصبا آه للصبا　　وحيّا الحيا آثار تلك المطارد

فإن سمح الدهر الخؤون بمثلها　　فإني لما يَسخو به غير جاحد(1) [٤٣]

وقال أسكنه الله تعالى بحبوحة الجنان مضمناً بيتي كشاجم(2) :

وجليس منّيته ظَرَف(3) الأنـ　　ـس وذكّرته قديمَ العهودِ

قلت كيف النديمُ قال بحيّا　　ويُفدّى بأنفسٍ وجدود

قلتُ كيف المنامُ قال على الـ　　ـراحِ مزيد هي ابنةُ العنقود(4)

قلت كيف السقاةُ قال وهل يَصْـ　　ـلحُ كأسٌ بغير ساقٍ ميود(5)

قلتُ كيف المشامُ قال مع الـ　　ـريحان حتّى بنرجس وورود

---

(١) جاءت « ظرف » محركة الراء بالفتح والأرجح انها من ظرْف الساكنة الوسط وحركت هنا لضرورة الشعر ولجواز تحريك الثلاثي الساكن الوسط عند الضرورة .

(٢) جاحد : منكر .

(٣) كشاجم : هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهك السندي ، هندي الأصل ، شاعر ، منجم ، أديب ، كان يعمل في خدمة البطل العربي الخالد سيف الدولة الحمداني (٣٠٣هـ - ٣٥٦هـ) منجماً ورئيساً للطباخين ، توفي (٣٥٠هـ / ٩٦١م) ، من آثاره : أدب النديم طبع في مصر (١٨٠٣م) وديوان شعر (١٨٨ ص) من القطع الصغير / بيروت ، المطبعة الأنسية عام ١٣١٣ هـ .

(٤) الراح : يريد باطن الكف . وابنة العنقود : الخمر . لأنها تُعتصر من العنب .

(٥) ساق ميود : نديم متحرك طربًا : وفي الأصل قيود [بالفاء] .

قلتُ والطيبُ قال طَشٌ من المـــاورد يزجي سحاب ندٍّ وعود[١]

قلت والنَّقلُ قال تقبيلُ خدٍّ   من حبيب ورشفِ ثغرٍ بَرُود[٢]

قلتُ كيفَ القيانُ قال اليمـــنَ انقياد الأوتار عند النشيد[٣]

قلتُ كيف الغناء قال تظرَّفـــتَ ولم يعْدُ فيه بيت القصيد

[أشتهي في الغناء بُحّةَ حلقٍ   ناعمِ الصوتِ مُتْعَبٍ مكدود][٤]

[كأنينِ المُحبِّ أنحلهُ الشو   قُ فضاهى به أنين العود]

وله نور الله ضريحه في ربْوة دمشق :

للغُوطةِ الغنّاء أشرف رَبوةٍ   أضحى بهاعيشُ النزيل رغيدا[٥]

---

(١) الطَّشُّ : المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ . الماورد : لعله يريد الماء ورد ، وهو عطر يُتطيب به ، والنَّدّ : بالفتح : عود يُتبخر به . والعود مثله .

(٢) النَّقْلُ : ما يُتنقَّلُ به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما ، وقد يُضم فيقال ، نُقْل : الجمع : نُقُول .

(٣) القيان : جمع قينة : المُغَنّية .

(٤) بين معقوفين هو كلام كشاجم وهما مطلع قصيدة له في الغزل مثبتة في ديوانه ص ٣٩ ، وأنحله في الديوان (أضعفه) ..

(٥) غوطة دمشق : من أجل جنان الدنيا وأفضلها ، والرَّبْوَة : ما ارتفع من الأرض . الجمع : الروابي ، وفي الأصل [رُبوة] بالضم . ونرجح أنها « ربوة دمشق » وهي متنزه معروف .

نشرَ الربيعُ على حدائق دَوْحها   حُللاً تَزيدُ على بُرودِ تَزيدا[١]

فلو انَّ شدّاد ابن عادٍ حلّهـــا   ما شاد في ذاتِ العماد عمودا[٢]

غنَّتْ بها الوِرْقُ كل مُرِنّةٍ   تَدعُ الخَلِيَّ بشَدْوها معمودا[٣]

فكأنما غنّى الغَريضُ ومعبدٌ   فيها الثقيلَ ورَدّدا تَرديدا[٤]

---

(١) البرود التزيدية : برود فيها خطوط حمر نسبة إلى « تزيد » أي قبيلة من العرب : قال أبو ذؤيب :

يعثرن في حدّ الظباء كأنما   كسيت برودَ بني تزيد الأذرع

(٢) يقال انه عادُ الأول وليس بعــاد قوم هود ، وهود وقوم هود من ولد ذلك ، كان ملكاً عظيماً وله ابنان هما : شدّاد ، وشديد ، فهلك عاد فبقيا وملكا البلاد وأخذاها عنوة ، ثم هلك شداد ، فبقي شديد فملك وحده ودانت له ملوك الأرض ، فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنة عتواً على الله سبحانه وتعالى ، فأمر بصنعة تلك المدينة [إرَمَ ذاتِ العماد] . فجمع فيها جواهر الأرض ، فلما فرغ الصَنَعَةُ منها ، جعلوا عليها حصناً وحول الحصن ألف قصر ثم سار الملك اليها بجنوده ووزرائه ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ولم يبق منهم أحد ، هذا ملخص القصة كما وردت في المظان التاريخية ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعادٍ (٧) إرَمَ ذاتِ العمادِ (٨) التي لم يُخلَقْ مثلُها في البلادِ (٩) ﴾ سورة الفجر .

(٣) الخَلِيّ : من لم يخالطه همٌّ ولا هوى ، والمعمود : العاشق .

(٤) الغريض ومعبد : من مشاهير المُسْمِعين في الدولة الأموية الخالدة . والثقيلُ : ضرب من الغِناء .

وشدا زُنام(١) في اليراع وحرّكت   معَه بنانُ بَنانَ فيها العَودا [٤٤]

وله غفر الله ذنوبه :

لا أحبُّ الجليسَ فظّاً غليظاً   جافيَ الطبع سيّءَ الخُلق نَكْدا(٢)

بل أحبُّ الجليسَ مستظرفَ القو   ل شهيَّ الفعال سَهْلاً مُفدّى

حبذا رقةُ الخلائق من كلِّ   جليـــسٍ مثــل النسيم المُندّى(٣)

يَتشبّكَ المزاح منــه فيرفضُّ   (م) نثاراً طوْراً ويُنظَمُ عِقدا(٤)

بكلامٍ مُنجّمٍ ليس بالهذْ   رِ ولا بالملول هَزْلاً وجدّاً(٥)

سابريّ يزينه وشيُ صنعـا   ءَ بما تشتهي يُنارُ ويُسدّى(٦)

---

(١) زنام : زمار كان عنـــد هارون الرشيد . و « بنان بنان » : فالأولى الاصبع والثانية اسم لمغنية معروفة .

(٢) الفَظّ : الغليظ القلب ، يقال : فظّ يَفَظّ فَظاظة .

(٣) المُندّى : الذي أصابه النُدى .

(٤) يَرْفَضّ : ينتثر ، ونثاراً : ما انتثر من العقد ، وفي الأصل (نشاراً) بالشين .

(٥) الهذْر : يقال هذَرَ هَذْراً من باب قتل ، إذا خلطَ وتكلم بما لا ينبغي وفي الأصل [هَذَر] بالدال .

(٦) السابريّ : الدرع دقيقة النسج محكمة ، ووشْيُ صنعاء : الوشي معروف ، وصَنعاء : كبرى مدن اليمن وعاصمتها . يضرب المثل بوَشْيها ، ويريد الشاعر أن يكون جليسه كهذا الدرع الذي يَزينه وشيُ صنعاء ، ينار ويسدى بمعنى يحاك : لحمته وسداه .

تَلِجُ الأذن قبل ان يَستتمَّ القو   لَ منه النكات ذماً وحَمْدا

ومعـــانٍ تكشّفتْ للندامى   عن صَناع اليدين يعقدُ شَهْداً(١)

حبّذا حبّـــذا الجليسُ المواتي   من ترى العيش عنده مُستجدّا

وله عامله الله بلطفه :

ليْتَ عندي الحبيب أو (م) ليتني كُنْتُ عِنْـدَهُ

ليت زَنْدي وسادةٌ   أو توسدت زَنْدَه(٢)

أوْ أرى خده لكي (م) أجتني منــه وَرْدَه

أو تَرَشّفْتُ ريقــه   فتلمظت شَهْـدَهُ

أو تصفحتُ وجهــه   وتلافيت عهـده

أو تنشيت ريحه   وتنشقت نَــدّهُ

أو تدانى لكي (م) أحلّ   بكفي بَنْـدَهُ

أو حبـاني بقربه   بعدما ذقت بُعْدَه(٣) [٤٥]

---

(١) الصَناع : الصانع الماهر ، الشَهْد : العسل . والشهد : بضم وبفتح .

(٢) الوِسادة : معروفة ، ما يُتوسد عليه .

(٣) البند : العلم ، الراية .

كيف أسلوه والهوى   صيّر القلبَ عَبْدَهُ
أتمناه كلّما   إن تذكّرتُ وُدَّهُ
وأناجيه كلّما   أنِسَ القلبُ رُشْدَهُ
وأصافيه كلّما   غازل الطرف وعده
رَشأ طال ما رعيت   بعينيّ خده (١)
رامَ سُكْري بريقه   فترشفتُ قَنْدَهُ (٢)
وتوخيتُ لثمة   حين أُنْسِيتُ عدّه
واعتنقنا تلازماً   مُذْ نَضَا عنه بُرْدَهُ (٣)
وتَوَسّمتُ جيدَه   فلواهُ ومدّه
وتعلّقتُ خَصره   وتعشقتُ قدّه
مذ دعاني لِصَبْوَةٍ   خَلّدَتْ فيّ وَجْدَهُ

---

(١) طالما : هكذا في الأصل كما هو مثبت أعلاه .
(٢) القَنْد : عسل قصب السكر ، ومنه يصنع السكر ، كالسمن من الزبد ، ويقال هو مُعرب .
(٣) نضا : خلع .

وغَدا في حُشاشتي   ليس لا غير وحدَه
وفِطامي عن الهوىٰ   رامَ فاخترتُ قصْدَه
وتمتعت بالمنىٰ   حين الفيتُ صدّه
وتعللتُ بالظنو   ن وأمّلتُ ردّه
فعسىٰ أن يعود لي   بعد ما ذقتُ فَقْده
فهو لا شك قاتلي   يا سقى الله عَهْدَه

وله رحمه الله مع التزام الراء في الروي (١) :

هٰذي الرياضُ وهذه   زُرْقُ المذانبِ تَطَّرِدْ (٢) [٤٦]
والطيرُ في خَلَل الغصو   ن على المنابر تَغْتَرِدْ
والورد مَلْكٌ في نوا   وير الحدائق منفرِدْ

---

(١) يريد بالتزام الراء في الروي ، [لزوم ما لا يلزم] ، ولفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة أبي العلاء المعري (٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ) ديوان شعر كبير طبع مرات اسمه (لزوم ما لا يلزم ، اللزوميات) .. وقد ضمنه فلسفته في الحياة والكوْن ، وهو بمثابة (مَعْلمَة) دائرة معارف صغيرة .
(٢) المذانب : جمع مذنب وهو سيل الماء إلى الأرض والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها .

والريحُ قد ملأ الغديـــرَ مُلاءَ درعٍ قد سُرِدْ

وجواد نَرْدِ حُبابِهِ   عَوْداً على بَدْهٍ طُرِدْ (١)

والهم مطرود بها   والأنس دانٍ مُطَّرِدْ

فاغنم غضارته فمن   بعد الغضارة يَنْجَرِدْ

وله تغمده الله برحمته :

لرياض جِلّق تحت نهر يزيد   قُمُصٌ تَرِيدُ على بُرود تَرِيد

نسجت بأيدي السُّحب ثم تنمنمتْ   بسقيطِ طَلٍّ في الصباح برود (٢)

عبثَ النسيمُ بصقلها فتنفستْ   في وجه دافق نَهرِها المورود

فتقطَّبَتْ جَلَداً أسِرَّةُ وجهه   جَلَدَ المُصاب بسهم لحظ الغيد

وقال بَرَّدَ الله مضجعه :

مولايَ عُذْراً والمكارم جمّةٌ   والفضلُ فضلٌ ما عليه مزيدُ

والقلبُ عنـدكم رهينٌ ماله   عن ذلك المَغْنَى السعيد مَحيدُ

---

(١) عَوْدٌ على بدء : مثل من الأمثـال السوائر ، وبدء : الصحيح أن تكتب بلا ألف .

(٢) النمنمة : مثل الرقش .

والجسم في شُغُلٍ ألم وبيننا   حَبْلٌ لآثار الوداد مديدُ (١)

فَعِمُوا مساءً في عُلاً ومسرةٍ   ما لاح نجم أو شَدَا غِرِّيدُ (٢)

وقال سامحه الله :

ورياضٍ مُختـالَـةٍ من ثراها   في بُرُودٍ من زهرها وعقود (٣)

وكأنَّ الغصونَ فيها عذارى   تتبارى زهواً بحُسْنِ القدود (٤) [47]

وكأنَّ الطيور فيهـا غوانٍ   تَتَغَنّى في كلِّ عُودٍ بعود (٥)

وكأنَّ المياه في خَلَلِ الرو   ضِ سيوفٌ تُسَلُّ تحت بُنود (٦)

وكأنَّ البهار يغمز بالأعـــين فيها على ابنةِ العنقود (٧)

---

(١) شُغُل في الأصل (شعل) بالعين .

(٢) فعِموا : يقال : عِمْ صباحاً ، وعم مساء ، وعم ظلاماً ، كل هذا من تحيات الجاهلية لملوكها في أوقات الليل والنهار : قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطلَلُ البالي   وهل يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

(٣) مختالة : من الاختيال : الزهو والتبختر .

(٤) وكأنَّ : في الأصل . كان (بدون همز) .

(٥) غوان : جمع غانية : وهي المرأة التي غنيت بجمالها عن الحُلي .

(٦) البنود : جمع بَنْد : الراية ، والبيت صورة ناطقة للمياه الجارية في خلَل الروض ... وما أكثر الصُوَر الشعرية الفنية الرائعة في شعر هذا الشاعر النابغة ... !

(٧) البَهار : وزن سَلام ، الطيب ومنه قيل لأزهار البادية بَهارا .

وقال غفر الله ذنوبه :

هلالٌ لاحَ أم شِبْلٌ تبدّى ... أم النَّجْلُ الذي وافى مجداً (١)

كريمٌ مُستفادٌ من كريمٍ ... يفوق على الورى فخراً ومجداً (٢)

لقد ملأكَهُ ربّي بخيرٍ ... وقلّدهُ من التوفيق عِقداً

أتى تأريخه في بيت شعرٍ ... أنار نسيجه فكري وأسدا

بجدِّكَ جاءكَ المولود جَدّاً ... وأرجو أن تراه أباً وجَدّاً

وقال نور الله قبره في زهر القرنفل :

قُمْ بنا يانديمُ فالطيرُ غرّدْ ... لِمُدامٍ كؤوسُه تتوقّدْ

فلدينا قرنفلٌ قد نماهُ ... جَبَلُ الفتح نَشْرُهُ قد تصعّدْ

بين سوقٍ عُوجِ الرقاب لِطافٍ ... أثقلتها أهلّةٌ من زبرجدْ

وخدودٍ مضرّجاتٍ عليها ... شعراتٌ من لينها تتجعّدْ

وله في الزهر المعروف بالعنبر بوي في الأبيض منه .

وذي هالة في الزهر أبيض ناصع ... تكوّن للناشي من العنبر الورد

بروقك هداب به راح اشيباً ... تدثر في زر كبارزة النهد

أحاطت به للزهر في زي دارة ... ظروف من الكافور مبثوثة الند

(١) الشِبل : ولَدُ الأسد .

(٢) كريمٌ مستفاد من كريم : كريم من نسل كريم

وله في الزهر المعروف بالسنبل : [٤٨]

وسنبل وافى على سوقه ... غِبَّ الحيا في زُرْقة لا تُحدْ (١)

مكفوفة الحافات زهراته ... مذروبة الأوراق في كل يدْ (٢)

كأنما تعقيف أطرافها ... محاجنٌ صيغت من اللازورد

وقال سقى الله ثراه فيه أيضاً :

أصبح السنبل الجنيُّ لدينا ... فوق سُوق فيها الندى يتردد

كشنُوفٍ لطُفْنَ من لازوردٍ ... عُلّقت في مراود من زبرجد (٣)

وقال طيب الرحمن ثراه يطلب من بعض أصحابه تاريخ المقري :

أيا فاضلاً يبدي الصفاء تكرماً ... فيذكو له منّا الثناء ويُحمدُ

بنا ظمأٌ برحٌ لنشق رويحة ... تسمت «بعرف الطيب» والحال يشهد

وما ذاك إلا جزء تاريخ أحمد ... هو المقريُّ الحبر والعود أحمدُ

وله في عين الفيجة :

للفيجة الغنـاء عين لم تزل ... فيها تطاردنا المنى ونطارد

(١) غِبَّ الحيا : بعد المطر .

(٢) الحافات : جمع حافة : طَرَفَ الشيء ونهايته .

(٣) الشُنُوف : جمع . الشَنْفُ : ما عُلّق في الأذن أو أعلى من الحلْق : ويجمع أيضاً على أشناف ، ومراود : جمع مرود : القرط .

لا نزعوي فيها لقول مفند ولنا على دفع الملامة شاهد
فالكنز يطلب بالعناء وهذه كنز تسيل من لجين بارد

وقال جعل الله الجنة مأواه متغزلاً :

وأحور أحوى ساحر الطرف أغيدِ رقيق حواشي الدلِّ أوهى تجلدي
أراه بعين الذكر ان شط شخصه فيشتاقه طرفي وتفقده يدي
وإن أنا لم أصبر على جوْر دَلِّهِ متى أدنُ منه ينأ عني ويبعدِ

وقال غمره الله برحمته : [٤٩]

لا تنسَ لا يُنسِكَ الرحمنُ ليلتَنا فتلك واحدةٌ يا واحدَ الغيد
وموقفاً بك إذ كنا وكان لنا قلبان لم يصغيا يوماً لتفنيد
لا تحسب القلب ينجو من صبابته [. . . . . . .][1]

وقال تغمده الله بعفوه في فوّارة ماء :

للهِ [من] فوارة قد أرسلتْ ماءً شهدتُ الرّيَ قبل وُرُودهِ
فكأنه والريحُ تخفِقُ حولَه وتهابه فتكفُّ عن تجعيدهِ

وقال فسح الله له في قبره :

قمْ يا نديمي إلى اللَّذاتِ مبتكراً فالدَّوْح أصبحَ فيه الزهر مُتَّقدا
إذا ثنى الغصنَ وقعُ الطير مُغْتَرِداً عليه صَفّقَ فيه النهرُ مُطَّرِدا

(١) بين معقوفين بياض .

وقال عامله الله بلطفه :

وخَوْدٍ رداحٍ ريشَ سَهْمُ لحاظها بهدب جفون للصوارم أغمد[1]
تَفوّقها نحو الفؤاد إذا رنتْ وتسطو بها كالقاتل المتعمد

وكتب في صدر كتاب أرسله لبعض أصحابه الأنجاب :

شوقٌ كوَرْيِ الزَّند يقدح في الحشا يُربي على طول النوى ويزيدُ
وجوىً تحكّم في الفؤاد رسيسُهُ ما إن له عنه العداة محيد[2]

وقال غفر الله له :

سَلِ الركبَ هل مَرّوا على جيرة الرَّنْدِ وهلْ حملوا منهم تحية ذي ودّ[3]
فعهدي بهم لا ينزعون عن الوفا بحال ولا يلوونَ عن صادق العهد

وقال نوّر الله ضريحه : [٥٠]

تدرّج داريُّ النسيم على الرَّنْد وجاء بأنفاسِ الرياحين والوردْ[4]
فحمّلْتُهُ مني هـديةَ مفعمٍ من الشوق مطوي الضلوع على الوجد[5]

(١) كذا في الأصل ونرجح أن تكون الكلمة « مغمد » .
(٢) الرسيس : ابتداء الحب وأوله : قال أبو الطيب المتنبي :
هذهِ برَزتِ لنا فهجتِ رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا
(٣) الرند : نبات من شجر البادية طيب الرائحة يشبه الآس .
(٤) داري النسيم : نسبة إلى دارين : موضع بالشام . وقد مر ذكره كثيراً في هذا الشرح ، والرند : سبق شرحه .
(٥) مُفْعَم : ممتلىء ، والوجد : الحب والهيام .

وقال كفاه الله شر موقفه :

ومُطّرِدِ الأجزاءِ صِفْرٍ من القذى ... جرى فوقَ حولِيّ الحصى فتجعّدا (١)

يدير على سوق الغصون خلاخل الـ ... ـلّجين ويكسو الأرض درعاً مزرّدا

وله مفرد :

فما حال بين الضبّ والنون حائل ... بأطولَ مما بين قِرطيك والعقدِ

وله قدس الله روحه :

بكَرَتْ عنادلُ روضنا ... تشدو على الغصن المندّى (٢)

وتنوحُ إشفاقاً على ... أهلِ الهوى وترنّ وَجْدا

فتثير سالفةَ الهوى ... وتذكّر المشتاق عهْدَا

يا ويحَ من لعبت به ... شدوات طائرها المفدّى

أوفى على الغصن الرطيـ ... ـبِ فأوسعَ الأحشاء وقْدا

أسويجعَ الألحان قد ... أوريت بي للشوق زندا

وتركتني قَرِحَ الجفو ... نِ فلا أراني اليوم جَلْدَا (٣)

(١) يصف نهراً ، والقذى : ما يشوب الماء ونحوه .

(٢) عنادل : جمع عندليب ، وفي الأصل (عنادب) بالباء .

(٣) قرح الجفون : كناية عن طول البكاء .

يتنأبني ذكر الحبيـ ... ـب ولا أرى ليَ منه بُدّا

لم ألق إلاّ شِقوة ... من بعده وضنًى وكمْدا

ونوازعاً تركت جميـ ... ـع جوارحي للدمع خدّا

ساورتها ليل التما ... م وبتُّ في العشاق فردًا (١) [٥١]

وله :

حفّتْ بوادي الغُوطة الغنّـ ... ـاء أطيارٌ شُهودُ

لو ساجلتها القينتا ... ن لما صغى لهما يزيد (٢)

وسما على بَرَدى وبا ... ناسٍ وثوراها يزيد (٣)

وأتى الربيع كأنما ... وافت على يده تزيدُ

تُنشي بُرودَ [أزاهرٍ] ... أبداً محاسنها تزيدُ (٤)

(١) ساورتها : واثبتها . وليل التمام : أطول ليالي الشتاء .

(٢) القينتان : لعله يريد بهما : حبابة ، وسلامة . ويزيد : هو يزيد ابن عبد الملك بن مروان المعروف بالناقص .

(٣) بردى : نهر معروف في دمشق ، وباناس (بانياس) : نهر يتفرع من نهر بردى ويسقي مدينة دمشق ، وثورى فرع آخر للنهر بردى . وكذلك يزيد .

(٤) بين معقوفين في الأصل (زاهر) بلا همز . وفي الأبيات تورية لطيفة ، في (يزيد ، ويزيد ، وتزيد ، وتزيد) ولكل من هذه الألفاظ معنى خاص بها .

وله رحمه الله ملغزاً :

ما أسم ثلاثي وبالتـــصحيف حرف واحد
ولربما استمتعت فيـــه وهو حـــلو بارد

وله نور الله قبره :

أبكيكَ أم أبكي عليكَ النادي   يا فِلْذة قُدّتْ من الأكبادِ[١]
يا ويحَ عَيني كنت ملءَ جفونها   مُلِئتْ عليك بدمع وسهاد

* * *

(١) الفِلْذة : القطعة من الكبد ، الجمع : الفِلَذ ، والفِلْذ ، وأفلاذ .

حرف الذال

وقال سامحه الستار مضمّناً للمصراع الأخير :

نَبَذَ العهود مُغاضبي فألمَّ بي   في صورة الإشفاق طيفُ النابذ
فسألتُه أن لا يفوه بما جرى   فيحيلـه عني بقول نافذ
فمضى ونمّ عليّ فيما قلته   فأتى يهددني بسيف شاحذ
[رحماكَ قد صدق الخيال وإنما   هذا مقامُ المستجير العائذ]

وقال مضمناً أيضاً :

عملوا على سير البكور فكدت من   حَذَرٍ أعض على الدجى بنواجذي[١]
حتى إذا نبذوا العهود وهوّموا   ناشدتهم ويدي بذيل النابذ[٢] [٥٢]
[لا تذهبوا بفؤاد من عاهدتموا   هذا مقام المستجير العائذ[٣]]

(١) بنواجذي : في الأصل بنواجذ (بلا ياء) .

(٢) النابذ : من نبذ : طرح ورمى .

(٣) هذا الشطر مكرر في الأبيات السابقة .

وقال عفا الله عنه بغفرانه :

قامت من الصبِّ على لفظ من أغرَبَ في السحر تعاويذه

لفظ رخيم الدلّ مستعذبٌ حَشْوَ فم الآذان فالوذه[١]

أشهى وأحلى في فم الأذن من طَبَرْزَد[٢] الأهواز فانيذه[٣]

★ ★ ★

---

(١) الفالوذ : حلواء تعمل من الماء والدقيق والعسل ، ج . فواليذ (من الدخيل) .

(٢) الطبرزد : كلمة فارسية معناها السكر الأبيض الصلب .

(٣) الفانيذ : نوع من الحلواء فارسية [بانيذ] والأهواز مدينة فارسية عاصمة ولاية خوزستان .

حرف الراء

وقال أسكنه الله بحبوحة الجنان يذكر بني أمية وبني العباس وندامام ويذكر المغنين المشاهير بقوله :

كلما جدَّدَ الشجيُّ ادِّكارَهْ أزعج الشوق قلبه واستطاره[١] [٥٣]

ليت شعري أين استقل عن اللهـــو بنوه[٢] وكيف أخلوا مزاره

بعدما راوحتهم صفوةُ العيـــشِ وقالوا طوعَ الهوى أوطاره

ملاحظة : نشرت هذه القصيدة كاملة ومشروحة بالشرح الذي تراه في خلاصة الأثر ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، ثم نشرها العلامة الجليل المرحوم الصديق الأستاذ خليل مردم بك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٣١ ص ٣ الجزء الأول عام ١٩٥٦ م ، وقد كان جل اعتمادي في نسخها وشرحها على هذين النصين ، وان الشرح الموجود بين قوسين ( ) هو من تحقيقات العلامة المرحوم خليل مردم بك ، وما سواه فهو من شرح الجامع والشاعر . وقد نُشرت أيضاً في أول الديوان (ص ٢٣ - ٣٧) .

(١) استطاره الشوق : عبارة عن غاية [السرور] قال الوزير أبو محمد ابن عبدون يذكر :

فما أنس لا أنس عهدي بهـا وجرّي فيها (ذيول المراح)

فكم لي في اللهو من طيرة . . . . . . الخ

(٢) بنو اللهو : هم الذين تعاقروا اكوابه ، وركبوا نجائبه وأفراسه . وللصاحب في نحوه : أبناء الحروب الذين ذاقوا كؤوسها حلوة ومرة ، والتحفوا لباسها مرة بعد مرة ، وأما بنات اللهو فتقال للأوتار . قال ابن المعتز :

أقمت لشربها طرباً وعندي بنات اللهو تعبث بالوقار

ونجم الليل يركض في الدياجي كأن الصبح يطلبه بثار

وجروا في مصارد الأنس طلقاً   واجتلوا من زمانهم أبكاره

بين كأسٍ وروضةٍ وغدير   وسماعٍ ولذةٍ وغضاره

أين حلوا فمعشبٌ ومقيـلٌ   أو أناخوا فوردةٌ وبهاره

من مليكٍ زُفّت بحضرته الكا   سَ قيانٌ يعزفن خلفَ الستاره

ووزير قد بات يسترق اللذا   تِ وهناً والليلُ مرخٍ إزاره

وأمـيرٍ ممنطقٍ بنداما   ه وكأس الطِّلا لديهم مُداره

كم فتىً من بني أمية أمسى   وخيولُ الهوى به مستطاره

كيزيدٍ (١) وشأنه مع أبي قيـ   ـسٍ وما قد عراه في عمّاره

ونداماه كابن (٢) جعدة والأخـ   ـطل إذ عاقراه صفواً عقاره

---

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس وكنيته أبو خالد . وأبو قيس قرد له كان ينادمه يكنى أبا قيس ، فكان إذا رآه قال : شيخ من بني اسرائيل أصاب خطيئة فمسخه الله قرداً ؛ فربما وثب فقعد على عاتقه وربما عبّ معه في الكأس ، وإذا قعد على وسادة الندام اتكأ على مثل اتكائه ، ولما مات كفنه ودفنه وأمر أهل الشام [فصلوا] عليه وعزوه فيه وله يقول يزيد :

نديمي أبو قيس أخف مؤونةً   وأحلم إما غاب حلم المنادم

وعمّارة : أخت الغريض ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، أخذت الغناء عن أخيها وعن ابن مريج ، وابن محرز وفيها يقول بعض فتيان العرب :

لو تمنيت ما اشتهيت لكانت   غاية النفس في الهوى عمّاره

بأبي وجهها الجميل الذي يز   داد حسناً وبهجةً ونضاره

(٢) ابن جعدة : هو قدامة بن جعدة بن هبيرة الخزرجي ، والأخطل : هو الشاعر المشهور واسمه غياث بن غوث من بني تغلب ويكنى أبا مليكة (كذا والصواب أبا مالك) وكان نصرانياً من أهل الجزيرة وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة .

وقضى ليله مع ابن زياد (١)   وقتيب (٢) بن مسلم ونهاره

وكمروان (٣) وابنه حين واسى   بلذاذات عيشه سُمّاره

نادمته أبناء (٤) يالية اللا   ئي قضى في ربوعهم أسحاره

وكمثل الوليد (٥) ذي القصف إذ كا   ن يغب اصطباحه وابتكاره

ولديه الغريض (٦) وابن سُريج   أظهرا كل صنعةٍ مختاره

من غناء ألذ من نشوة الكا   س وأشهى من صبوةٍ مستثاره

---

(١) هو مسلم بن زياد وكان نديماً ليزيد .

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان شهماً مقداماً وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهو صاحب الحرون وكان الحرون من المشاهير يضرب به المثل .

(٣) ومروان بن الحكم وكان غليظاً . وابنه : هو عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ويكنى أبا الوليد ويقال له أبو الأملاك وذلك انه ولي الخلافة أربعة من ولده .

(٤) (أبناء يالية : هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة كان يأتيهم ليلاً وينادمهم) .

(٥) (الوليد بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٨٦ هـ ، وتوفي سنة ٩٦ هـ وكان من أفضل خلفاء بني أمية) .

(٦) الغريض : قال صاحب الأغاني اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل كان يكنى أبا مروان ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر فلقب بذلك والغريض الطري من كل شيء وهو أحد المغنين ورئيسهم وابن مريج : هو أبو يحيى عبيد الله بن مريج ذكر صاحب الأغاني انه كان أحسن الناس غناءً وكان يغني مرتجلاً ويوقع بالقضيب .

وسليمان(١) ذي الفتوة إذ كا　　ن لنحو الذلفاء(٢) يبدي افتراره

ويزيد بن(٣) خالدٍ وأبو زيــــدٍ　　نديمان يشفيــان أواره

بحديثٍ يستعجل الراح بالرا　　ح ويحتث أنجمـاً سيّاره

إذ يغنّي سنان(٤) كان يغالي　　ويجلّي بشدوه أكداره

وابن عبد العزيز(٥) إذ راوح الكأ　　س ووالاه في زمان الإماره

ويزيد(٦) المعمود إذ خامرته　　نشوة الراح ليلـه ونهاره

وسبت لبه حُبابة(٧) واستهـــوته　　حتى أباح فيها اشتهاره

واستمالت به سَلامة(٨) حتى　　أقلق الوجـد فكره وأثاره

(١) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان كان أكولاً قيل انه نزل بالطائف فأكل سبعماية رمانة في يوم وخروفين وست دجاجات وأربعة صحون لوزينج .

(٢) الذلفاء : مغنية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت اليه .

(٣) يزيد بن خالد التميمي كان سليمان يخصه وينادمه . وأبو زيد الأسدي كان خاصاً به يجالسه وينادمه .

(٤) مغن كان يأنس به سليمان بن عبد الملك ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه .

(٥) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو أشج بني مروان وأعدلهم .

(٦) يزيد بن عبد الملك مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره ودفن بالبلقاء .

(٧) حُبابة جارية كانت تسمى العالية أخذت الغناء عن ابن مريج وكانت مدنية شغف بها يزيد فكان يوماً يلاعبها فضربها بحبة رمانة وقيل بعنبة فدخلت في حلقها فشرقت فماتت فامتنع من دفنها حتى أنتنت .

(٨) سلامة جارية اشتريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء .

إذ يناجيه لحن مَعْبَد(١) بالشجـــو كما شاء معملاً أوتاره [٥٤]

ولكم ألّف الغنـاء لديه　　ضرب عوّادةٍ على زمّاره

وهشام(٢) إذ استبد اختياراً　　بالرساطون(٣) واستلذ اختياره

من شرابٍ ظلت أفاويه(٤) العطـــر به ذات نفحةٍ سيّاره

والوليد(٥) المليك إذ واصل الكا　　سات واللهو جهده واقتداره

واغتدى في تهتكٍ ومجونٍ　　كان يجني قطوفه وثمـاره

ومناه ذكرى سليمى(٦) لوجدٍ　　ظل يذكي لهيبــه واستعاره

إذ يغنيه مالكٌ(٧) بن أبي السمـــح وعمرو(٨) الوادي فينفي وقاره

(١) هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين .

(٢) هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(٣) الرساطون : شراب كان يصنع لهشام يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قوياً صلباً وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) كذا في الأصل . وفي نسخة المجمع العلمي العربي جاءت الكلمة هكذا (أفاويةُ) مشكولة وإذا قرئت على هذه الصورة استقام وزن البيت ولكننا لم نعثر فيما لدينا من معاجم على صيغة « أفاوية » .

(٤) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتزندق كان محباً للشرب واللهو والطرب وقتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٥) سليمى : هي بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل .

(٦) مالك بن أبي السمح الطائي جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه أنه أخذ الغناء عن معبد بن وهب وكان لا يضرب بالعود وانما يغني مرتجلاً .

(٧) (كذا والصواب عمر الوادي من أهل وادي القرى اتصل بالوليد بن يزيد بعد أن أخذ الغناء من أهل الحرم فأتى الوليد وأنس به)

ولكم خفف ابن عائشة(١) اللحـــن له   فاستخفه واستطاره
وابن ميادة(٢) بن أبرد والقا   سم(٣) كانا يحثحثان عقاره
بمدام ألذ من زورة الحِـب   وأبهى من روضة في قراره
وبذيح(٤) أتى بأمر عجاب   إذ تولى على القرود الإماره
ويزيد(٥) المليك إذ كان يهوى   صوت حدو الحداة في كل تاره
ونغى الركبان مذ كان منشا   ه البوادي حتى اعترته الحضاره
وكمروان(٦) ذي الفتوة إذ كا   ن يوالي في غبطة أسفاره
فيرى اللهـو والسماع مناه   ويرى الحرب قطبه ومداره

* * *

(١) هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر أخـــذ عن معبد ومالك وبغنائه يضرب المثل .

(٢) ابن ميادة : اسمه الرماح بن أبرد من غطفان (شاعر فصيح) كان ينادمه ويحدثه حديث الأعراب .

(٣) هو القاسم (بن) الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه اليه وأخصهم به .

(٤) بذيح مولى عبد الله بن جعفر (كان يضرب به المثل في حسن الصوت).

(٥) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص لأنه نقص الجند من عطاياهم فلقب بذلك وقيل لأنه ناقص الوركين وقيل لقصر يديه وكانت المعتزلة تفضله على عمر بن عبد العزيز لكونه ينتحل مذهبهم .

(٦) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي وكان زنديقاً ويلقب برأس الحمار لشجاعته وقيل لبلادته وبه تم ملك آل مروان وخلافة بني أمية وأتى الله بالدولة العباسية ، وخلفاء بني أمية من لدن معاوية إلى مروان الجعدي أربعة عشر رجلا .

وكآل العباس إذ كان عبد(١) اللـــه   يقضي طوع المنى أوطاره
كم غدا ليلة الثلاثاء والسبـــت   يوالي الغبوق بالقرقاره
وابن صفوان(٢) في الندامى يعاطيـــه   كؤوس الحديث خلف الستاره
ولديهم أبو دلامـة(٣) طوراً   يصطفيه ويجتلي أشعاره
وتحسّى منصورهم(٤) من وراء النســك   راحاً والى عليها استتاره
حل منه ابن جعفر(٥) في نداما   ه محلاً إذ كان يبلو اعتشاره
فيراه فيهم ظريفـاً أديباً   لسناً حاذقاً لطيف الإشاره
ثم كان المهديُّ(٦) يجلس للأنــس   فيصفي لشربه أوطاره

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس) .

(٢) هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس السفاح ينادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته .

(٣) أبو دلامه اسمه زيد بن الحارث وكان ظريفاً فصيحاً كثير النوادر ماجناً خليعاً مدمناً للشراب راوية للأخبار والأشعار .

(٤) المنصور هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب أخو أبي العباس السفاح لأبيه (ثاني خلفاء بني العباس) .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس كان المنصور يأنس به ويلتذ بمحادثته .

(٦) المهدي هو محمد بن المنصور وهو أبو الخليفة هرون الرشيد .

وفُلَيح (١) العوراء يشدو لديه   فيثني حنينه وادكاره

ولديه ترب الغناء أبو إسحـق (٢)   يشدو بصنعةٍ ومهاره

ثم كان الهادي (٣) إذا حاول الشر   ب وغنى ابن جامعٍ (٤) مختاره

يتولى النّدام عيسى (٥) بن دأبٍ   بكؤوسٍ من الحديث مُداره

ويفيض ابن مُصعَبٍ (٦) في نثير العـ   ـقول من حيث ينتقي أبكاره

وتحسّى الرشيد (٧) في دير مُرّا   ن على كل تلعةٍ وقراره

من مدامٍ حكتْ رهابةُ الديـر   بها في بهارةٍ جُلّناره

وعلى ضرب زَلْزَلٍ كان برصو   ما (٨) لديه مواصلاً مزماره

---

(١) فليح بن العوراء المغني ، «ويثني» يسهّل ، و «ساناه» راضاه وداناه .

(٢) هو ابراهيم الموصلي المشهور بالغناء .

(٣) الهادي : هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن المنصور .

(٤) (اسمعيل بن جامع من أشهر المغنين ومن طبقة ابراهيم الموصلي) .

(٥) (كان عيسى بن دأب من أكثر الناس أدباً وأكثرهم حظوة عند الهادي) .

(٦) (هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شاعر فصيح خطيب) .

(٧) الرشيد هو أبو جعفر هرون الرشيد بن المهدي لبث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وحج ماشياً رحمه الله تعالى . ودير مران بناحية من دمشق يشرف على قرى ومزارع وغدران ورياض .

(٨) زلزل اسمه منصور كان يضرب (بالعود) فقط وهو من الطبقة الأولى . وبرصوما : كان زامراً في الطبقة الثانيه فطرب منه الرشيد يوماً فرفعه إلى الطبقة الأولى .

ثم كان الأمين (١) يمرح من لذا   ته في أعنّةٍ موّاره

إذ ترامى بحب كوثر (١) حتى   سكن الحب قلبه واستخاره

ولديه مُخارق (٢) في المغنيـن   وبَذْل (٣) الكبيرة المهتاره

والحسين الخليع (٤) ينثر عقداً   من ندامٍ يشف تحت العباره

ويزف ابن هانيء (٥) للفكاها   ت كؤوساً من الهوى مستعاره

وأدار المأمون (٦) أكواب راحٍ   شعشع القصر نورُها واستناره

حيث علوية (٧) المغني واسحـق (٨)   يزفان في الدجى أقماره

---

(١) محمد الأمين بن هرون الرشيد وأمه زبيدة هاشمية ، ولم يل الخلافة بعد علي بن أبي طالب هاشمي وأمه هاشمية غيره ، كان فصيحاً أديباً عالماً بأيام الناس وكان له خادم اسمه كوثر وكان يهواه حتى قال فيه :

ما يريد الناس من صـب   بمن يهوى كئيب

كوثر ديني ودنيا   ي وسقمي وطبيبي ..!

(٢) مخارق : كان مملوكاً لامرأة من أهل الكوفة فاشتراه منها اسحق ابن ابراهيم (الموصلي وعلمه الغناء فبرع فيه) فأخذه الرشيد منه .

(٣) بَذْل : جارية كانت لجعفر بن موسى (« الهادي » أخذها منه الأمين وهي احدى المغنيات المحسنات) .

(٤) (هو الحسين بن الضحاك الباهلي ، المشهور بالخليع الشاعر النديم) .

(٥) أبو نواس : (الحسن بن هاني الشاعر المشهور) .

(٦) المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد .

(٧) علوية (هو أبو الحسن علي بن عبد الله كان مغنياً حاذقاً) .

(٨) (اسحق بن ابراهيم الموصلي كبير المغنين العالم الأديب الشاعر النديم) .

حيث يحيى[1] بن أكثم يتولى   بسطه وابن طاهر[2] أسماره

وعُرَيب[3] مع القيان تغنيـــه   بصوت تخيرت أشعاره

وابن هرون[4] كان يألف إبرا   هيم[5] شوقاً ويستلذ اعتشاره

واغتدى الواثق[6] المقدَّم في الشعـــر   على الكأس معملاً أدواره

إذ تولى بأمره مهج[7] الخا   دم عند اصطباحه إسكاره

واغتدى أحمد النديم[8] على شر   ط بني اللهـو ناشراً أخباره

وانثنى الفتح[9] ينتحي من أحاديـــث   الهوى ممتعاته وقصاره

---

(١) (يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون أحـد أعلام الدنيا علماً وأدباً وعقلاً) .

(٢) (هو عبد الله بن طاهر من أكابر رجال المأمون) .

(٣) عريب : جارية عبد الله بن اسمعيل صاحب المراكب كانت أحسن الناس وجهاً وغناء .

(٤) هو محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٥) هو ابراهيم بن المهدي المتقدم ذكره الشاعر المشهور (كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة) . والاعتشار : من المعاشرة .

(٦) الواثق بالله هرون بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٧) مهج : (خادم الواثق الذي كان يأنس به ويهواه وله فيه أشعار كثيرة) .

(٨) (هو أحمد بن حمدون كان مقرباً من الواثق وله كتاب الندماء والجلساء) .

(٩) الفتح هو الفتح بن خاقان (ومن حقه أن يذكر مع المتوكل لأنه مستشاره وصفيه) .

فتنته فريدةٌ[1] وعلى قد   ر الهوى يخلع المحب وقاره

وأبو الفضل[2] كان يغدو على الرا   ح مبيداً لُجَينه ونُضاره

حيث كان الكشحي[3] يأخذ عرض الـــقول فيما أحبه واختاره

وزُنامٌ[4] بالزمر يعزف طوراً   وبنانٌ[5] بالعود تضرب تاره

ويغني عمرو[6] بن بانة والطبـــل عليه سلهان[7] يبدي اقتداره

وأبو جعفرٍ[8] أزاح اغتناماً   مع يزيد المهلبي[9] استتاره

وغدا المستعين[10] يحرق للند   مان بالمـن نده وصُواره

---

(١) فريدة جارية الواثق كان أهداها له عمرو بن بانة فحظيت عنده وكانت من الموصوفات بالجمال الفائق والغناء الرائق .

(٢) هو جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٣) أبو بحر كان من أطيب الناس وأكثرهم نوادر وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به .

(٤) (زنام : زمّار حاذق) .

(٥) (من الجواري المحسنات وهي شاعرة) .

(٦) عمرو بن بانة من المغنين (المشهورين وهو معدود في الندماء وله شعر) .

(٧) طبّال ماهر .

(٨) هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل على الله .

(٩) هو يزيد بن محمد المهلبي مدحه ونادمه حتى اشتهر به .

(١٠) المستعين بالله هو أحمد بن محمد المعتصم (الند : العنبر والصُوار : المسك) .

ثم هام المعتز[1] بابن بُغاء[2]   عندما شام وجهه وعذاره

وانثنى ابن القصار[3] طوراً يغنيـ   ـه بحذقٍ مرقصاً طنباره

فيناجيه بالهوى ويناغيـ   ـه ويذكي بين الأضالع ناره

وبدا المهتدي[4] فكان اصطناع الـ   ـعرف والجود سمته وشعاره

وأناخ ابن جعفرٍ[5] في مدار الـ   ـقصف والعزف نافياً أكداره

ومناه في الشدو شدو غريب[6]   كلما اعتاده الهوى واستثاره

واحتسى دِرّة الكروم أبو العبا   س[7] والدَّجنُ يستدر قُطاره

نادمته أبناء حمدون[8] واستهـ   ـواه بدرٌ[9] حين اجتلى إبداره

ورَذاذٌ[10] موقّعٌ بغناه   ينتحيه بصنعةٍ مختاره

---

(١) المعتز أبو عبد الله بن جعفر المتوكل .

(٢) هو يونس غلامه وكان يفرط في الشغف به .

(٣) (ابن القصار: مغن بارع ومن أشهر الطنبوريين. والطنبار والطنبور واحد) .

(٤) هو محمد المهتدي بن هرون الواثق بالله .

(٥) هو أبو العباس أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل .

(٦) هي غريب المأمونية وكان معجباً بغنائها .

(٧) هو أحمد المعتضد بن طلحة الموفق .

(٨) (آل حمدون جماعة نادموا الخلفاء كما في الفهرست لابن النديم) .

(٩) هو بدر الجلنار غلامه .

(١٠) (رذاذ: مغن ورد ذكره في الأغاني) .

واغتدى المكتفي[1] يمرح والصو   لي[2] يروي بربعه أشعاره

وأبو الفضل[3] كان يرتع من رو   ق صباه في جدةٍ ونضاره

حرق الند والكبا الرطب والعنـ   ـبر مستمتعاً وعاف ادخاره

وأقام الراضي[4] يفرق ما بيـ   ـن الندامى في كل وقت نثاره

رب كأسٍ له بقبة شاذكلا   وفي حجرة الرخام أداره

ونعيم والاه في حجرة الأُتـ   ـرُجّ والماء قد أثار بخاره

ليت شعري أين استقل بنو بر   مك[5] من بعد ما تولوا الوزاره

حين كانت أيامهم غرر العيـ   ـش وكانت أكفهم مدراره

والوزير المهلبي[6] وما نوّ   ل وابن العميد[7] ترب الصداره

وكذا الصاحب[8] بن عبّاد حيّا   ه وحيا نظامه ونثاره

---

(١) المكتفي هو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد .

(٢) (هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الأديب المشهور نادم المكتفي والمقتدر والراضي وكان أوحد زمانه في لعب الشطرنج) .

(٣) (هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد) .

(٤) الراضي هو أبو العباس القاهر بن جعفر .

(٥) وزراء الرشيد .

(٦) (يزيد بن محمد المهلبي وقد تقدم الكلام عليه) .

(٧) (أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الأديب المشهور) .

(٨) (الصاحب هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد صاحب ابن العميد ونظيره في الأدب والمنزلة والعمل) .

بل وأين السراة من آل حمدا … ن[1] وما قد تحولوا في الإمارة

أين أهل العراق والفرس ممن … رفهوا عيشهم وخاضوا غماره

أين من بات رافعاً لبني اللهـ … ـو المُلمين بالتحايا عَمارهُ[2]

أين من راح والمجاسد تردا … ن عليه بأعين النظّاره

طوقتـه المخانق الرميا … ت فكانت بين الظراف شعاره

وتردتْ منه العواتق بالمنديـ … ـل مذ راح عاقداً زناره

توجوا رأسه بإكليل آسٍ … وأناطوا بجيده تِقْصاره[3]

وعلى الأذن منه ريحانة من … أذرُيونٍ[4] كمن يروم سراره

أين من كان جانبُ الزهو ميتا … ساً لديه والعيش يندى غضاره

ينتحي مُنتَحى المروءات طلقاً … في لذاذاته ويبدي افتراره

وترى عنـده مزمّلة[5] الما … ء وخيش النسيم يعلو جداره

(١) (الأمراء الحمدانيون من أشهر أمرائهم سيف الدولة ممدوح المتنبي) .

(٢) (العَمارة بالفتح : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله) .

(٣) (التقصارة : قلادة شبيهة بالمخنقة) .

(٤) (أذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود) .

(٥) (المزمّلة : جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) ومروحة الخيش كشراع السفينة يعلقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء) .

وسحاب البخور يهطل منـه … ماء ورد يزجي النسيمُ قطاره

أين من كان في فضاء من الغـوطة[1] … قدماً يجلي بها أبصاره

أين من بات ناعماً في مغاني … شِعب[1] بوّان ناشقاً أزهاره

أين من أطلق النواظر في صُغْـ … ـد سمرقند[1] واجتلى أنواره

أين من حلّ بالأبُلّة[1] قدما … وجلا في رياضها أفكاره

أين من بات بالسّماوة[2] في منـ … ـناف روضٍ ينشـه أسراره

بنسيمٍ يحل في غلس الأسـ … ـحار عن جيب نوره أزراره

حيث تندى مباسم الزهو فيه … وتَلَقّى أنفاسـه زُوّاره

فسقتْ عهد من مضى أدمع المز … ن وجادتْ بصوبها آثاره

ما سرتْ نسمة الصباح بروضٍ … عبقريٍّ فهيّجتْ أطياره

* * *

(١) (غوطة دمشق وشعب بوّان وصغد سمرقند والأبُلّة (في خليج البصرة) جنان الأرض الأربع وأجلها الغوطة كما في معجم البلدان) .

(٢) (السماوة بلدة على الفرات وبادية السماوة بين الكوفة والشام) .

وله تغمده الله برحمته :

ما الروضُ نديان الثرى متعطراً ... والغصنُ فينان الذرى متأطرا
والجوّ أدكن والفضاء مُدبّجاً ... والظلّ أحوى والنسيم معنبرا
والكأس في كفّ الغلام مُرصّعاً ... والعِقد في نحر الفتاة مجوهرا
وظباء وجرة في الخدود أوانساً ... والبدر من أفق الغلالة مُسفرا (1)
والجيدُ أتلع والشفاه لواعساً ... والجفن أوطف ناعساً متكسرا (2)
والقدُّ أهيف والبنان مُطرّفا ... والخصرُ غرثان الوشاح مُخصّرا (3)

---

(1) وظباء وَجْرة : وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال الشاعر :

تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي ... بناظرة من وحش وجرة ، مُطفل

والوجرة : حفرة يجعل للوحش فيها مناجل فإذا مرت بها عرقبتها ، والجمع أوجار . وأوانساً : جمع آنسة : الفتاة التي تؤنسك بطيب حديثها .

(2) الجيد الأتلع : البارز بجمال وحسن ، ولواعس : جمع لعساء : من كانت في شفتها لَعَس : وهو سواد مُستحسَن ، والجفن الأوطف : المتهدل تيهاً ودلاً وهو محبوب عند العرب .

(3) والخصر غرثان الوشاح : الغرثان : العطشان . والبيت صورة رائعة للخصر الدقيق ، وأظن أن شاعرنا أول شاعر استعمل هذا المجاز البديع ... الخصر غرثان الوشاح مخصرا ... صورة — وايم الحق — لطيفة قليلاً ما تظفر بمثلها ريشة مفن مبدع .

يوماً بأوقع في القلوب لمن وعى ... حسناً وأشهى للنفوس لمن درى
من طيب أوصاف ولحن مسامعي ... حتى سكرت وما عرفت المُنكرا
أرشفتني كأس النعيم يديرها ... بعضي عليّ ألذّ من سنة الكرى
قد أودعتهنّ البراعة أسطراً ... كُسِيَت على روض البهاء منوّرا
لسَراة عصر من خيار بني العلا ... تأبى مآثر فضلهم أن تُحصرا (1)
من نوّه الحسن الهمام بذكرهم ... حتى حسبنا الطرس ينبت جوهرا (2)
وروى حديثهم فكان يراعه ... سَحبان وائل والأنامل منبرا [61]
قومٌ إذا القلم استهلّ بوصفهم ... في الطرس يوشك أن يرفّ ويزهرا
فهم الجهابذة الكرام ومن بهم ... كانت ربوع العلم سامية الذرا (3)
فلئن أبادهم الزمانُ فطالما ... كانوا له عِلقاً نفيساً أخطرا (4)

---

(1) السَراة : جمع سَري : العظيم في قومه .

(2) اليراع : جمع يراعة : القصبة التي يكتب بها ، وأطلقت على القلم عموماً ، وسَحبان وائل : خطيب عربي بليغ عاش في العصر الأموي الخالد ، خطب أمام معاوية بن أبي سفيان ساعات فقال له معاوية : أنت أخطب العرب . فقال سحبان : والعجم والجن والإنس . يضرب المثل ببلاغته وفصاحته .. !

(3) الجهابذة : جمع جهبذ : النقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

(4) العِلق : الشيء النفيس ، الجمع أعلاق .

أوْ عُدنَ آثاراً وكنَّ حقائقاً ... فسبيلهم أن يستطاب فيذكرا
فسقى بني الطيبيّ[١] من ديَم الرضى ... سحّ السحائب رائحاً ومبكّرا
ومعاهد البدر المفسّر يا له ... بدراً تسامَى شأوه ومفسّرا
وترى عماد الدين وابن عماده ... ذاك السريّ فكم أفاد وحرّرا
وفخار نابلس من أقعد السُّهى ... وأسالَ من فيض البراعة كوثرا[٢]
وعُلا بني المنقار شمس كمالِهم ... طَوْدُ العلوم قرين آساد الشّرى[٣]
وترى ابن داود المحدِّث من رعى ... سُنَنَ الهدى حتى رقا وتصدّرا
وروت ربوعَ الأحدبيّ سحائب ... جَون تُعيد ثراه روضاً أخضرا[٤]
وسقت سَرَاة للأفاضل بعدهم ... من كل حَبْر كالنسيم إذا انبرى[٥]

---

(١) اسم عائلة دمشقية .

(٢) السُّهى : كوكب خفي تُمتحن به الأبصار ، ويضرب به المثل في الرفعة والعلو . . .

(٣) بنو المِنقار ، لعله يريد بهم آل الممدوح ، وآساد الشّرى : الشّرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل ، وآساد جمـع أسد وربما يعني الإمام الشيخ يحيى المنقاري المتوفى (١٠٨٨ هـ) وتنطبق عليه أوصاف الشاعر . .

(٤) الأحدبيّ وابن داود في البيت السابق ، من ذوي ممدوحه . والجَوْن : الأبيض ، والأسود وهي من الأضداد .

(٥) السَّرَاة جمع سري : العظيم في قومـه ، والحَبْر والحِبْر : العالم الصالح .

سادوا وشادوا للعلوم معاقلاً ... كانت معاقِدها مُوثّقة العُرى
أيامَ كان العيش أرغد ناعماً ... والحظ مخضرّ الأراكة مثمرا
كانوا وكان الفضل ضربة لازب ... لبني العُلا وسواه شيئاً منكرا
وغدوا وفي الآفاق من سرواتهم ... أرجٌ يخال فتيق مسك أذفرا
حيّا دمشق فما أرق نسيمها ... حملت على الكَرم الطباعَ فأثرا
بلدٌ زرى بالشِعب مَوْرِدُ طيبها ... وزهت على نهر الأُبُلّة منظرا[١]
وسقى رياض النيربين فكم بها ... بمُنى قضينا منه حظاً أوفرا [٦٢]
نَغْدوا فنهْصُرُ للتآلف بيننا ... غُصْناً تورّد بالصفاء وأثمرا
ونروّح الأطيار تندب شَجْوها ... فَكأنَّ في اللّهوات منها مزهرا
والربرب الأنسي ينشر عطفه ... ويميت في الأجفان طرفاً أحْوَرا[٢]

---

(١) الشِعب : شِعب بَوّان : في أرض فارس وهو أحد متنزهات الدنيا الأربعة . ونهر الأُبُلّة : من متنزهات الدنيا الأربعة أيضاً ، والأُبُلّة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهما أقدم من البصرة ، لأن البصرة مُصّرت في أيام الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رض) ، راجع معجم البلدان ج ١ ص ٨٩ ط . (١) .

(٢) الربرب : السرب من البقر الوحشي يضرب به المثل في سرب الغيد الحسان .

والبانة الريّا يجمشها الصّبا ... فترى الندى شذْراً هناك منثّرا (١)
وحمامها الشادي يغرّد منشداً ... أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرا
[بالله] يا ريحَ الجنائب شارفي ... تلك الغصون وجاذبيها المئزرا (٢)
واستعطفي قضب الأراك وغازلي ... زهر الرياض مورداً ومكفّرا
واستعطفي جفنَ البهارة زاهياً ... وترشّفي ثغر الأقاح موشّرا
واسترقصي بان الهضاب وراوحي ... تلك المعاهد بالسّلام معطّرا
فلكم قضيت بها لُبانة وامقٍ ... وصحبت فيها للأحبة معشرا (٣)
فسقت مغانيها السواجم كلّما ... آنست منها في الفؤاد تذكّرا

وقال مادحاً صدر الموالي الكرام محمد أفندي بن شيخ الإسلام المرحوم عبد الرحيم أفندي (٤) المفتي بالديار الرومية سابقاً والده وأنفذها لجنابه :

تنفّستْ نَسَماتُ السحر في السَّحَر ... وهينمت في ميادين من الزَّهر

---

(١) البان : شجر يضرب به المثل في حسن القوام واستقامته . والتجميش : الملاعبة ، يغازلها . والشَّذْر : لؤلؤ صغير .
(٢) بين معقوفين في الأصل (الله) بلا باء .
(٣) اللبانة : الحاجة ، والوامق : العاشق .
(٤) هو السيد محمد بن عبد الرحيم بن محمد قاضي العسكر بن المفتي عبد الرحيم ، عالم فاضل ، زاهد ، أديب . توفي في آخر سنة ١٠٨٠ هـ . خلاصة الأثر ج ٣ ص ٤٩٤ .

فنبّهت كلَّ مِرنام الضحى غَرِدٍ ... حالي الطلا مخضب الكفين مستحر (١)
وحبّذا شدوات الطير جاوبها ... عزفُ القيان على النايات والوتر (٢)
حيث المزاهر تندى من غضارتها ... محاجرُ النور في الآصال والبكُر (٣)
والمعاطف من أغصانها مَيَدٌ ... ممزق لجيوب الظل في الغُدُر (٤)
تحكي لنا بارتجاس الريح في ورق ... منها يرفّ على فينانها النضرِ [٦٣]
رقص الدهاقين ما زالت ترفّ له ... معاطفُ الغيد في خُضرٍ من الأزُر (٥)
تلقى بها الشمس في خدّ الثرى لمعاً ... جاءت بها فُرَجُ الأوراق كالغرر
كأنما حُوّة الأفياء تلبسه ... بها ملاءة ما قد حيك للنمر (٦)

---

(١) الطُّلا : جمع طُلية : العنق . وحالي الطُّلا : حالي العنق من الحُلي .
(٢) القيان جمع قَيْنَة : المغنيـة . والنايات : جمع ناي : آلة الطرب ، معروف .
(٣) الآصال جمع أصيل : بين المغرب والعصر ، والمحاجر : جمع محجر : الموق من العين .
(٤) الغُدُر : جمع غدير : النهر ، القطعة من الماء يتركها السيل .
(٥) الدّهاقين : يقال دَهْقَنَ القوم فلاناً : جعلوه دُهقاناً وهو رئيس اقليم ، والجمع دهاقين ، ودهاقنة ، والدهقان أيضاً : التاجر . والدهاقين أيضاً : الأقوام التي تتكلم اللغة الايرانية ، ولعله يريدهم .
(٦) الأفياء : جمع فَيْء : الظل .

والنهر يصدى بهاتيك الظلال كما ... تصدى صفيحة حدّ الصارم الذكر

والزهر يفرش في شطيه ما رقمت ... فيه السحائب من ريط ومن حِبَرِ (١)

ربعية الوشي لا ينفكُّ زِبْرِجها ... يحلو لنا من حُلاها أحسنَ الصور (٢)

فقم بنا لابتكار العيش قد شرفت ... لهاته بالمنى في ريّق العُمُر (٣)

بكل أهيف قد ألوى زرافته ... على سنا البدر في مائية الزهر

كأنما خدّه مُذْ راح ممتنعاً ... من العيون بتضريج من الخفر

صحيفة ملكت من درة بسطت ... جرى بها ذوب ياقوت على قدر

ورقّة السمع بالألحان من فمه ... فالسمع في مثلها طوراً أخو النظر

فكم تمتع سمعي والهوى أمم ... يوماً بأوصاف شهم طيب الأثر

هو ابن خدن المعالي وابن نجدتها ... عبد الرحيم إمام البدو والحضر

مولىً أنافت على العِضَين (٤) بهجته ... وغادرت قُسَّ مَعْ سحبان في حصَرِ (٥)

---

(١) الريط : جمع ريطة وهي الملاءة، والحِبَر: جمع حبير : ثوب معروف.

(٢) الزبرج : الزينة من الوشي أو نحوه .

(٣) ريّق العمر : أوله .

(٤) لعل الشاعر أراد العِضين ، مثنى عِض ، كما جاء في محيط المحيط ، وهما : زيد بن الحارث النمري ودغفل بن حنظلة الذهلي عالما العرب بحكمها وأيامها.

(٥) قس بن ساعدة الأيادي . حكيم جاهلي مشهور وقد مرت ترجمته ، وسحبان وائل ، خطيب بليغ عاش في العصر الأموي وقد مرت ترجمته أيضاً ، والحصر : العي في الكلام .

بكل معنى خلوب اللفظ جال به ... ماء السلاسة في روض من الفِقَر

طلق الأعنة في نَهْجِ البلاغة لا ... ينفك عن خاطر في البحث مستعر

قد برّزت في رهان الفضل فكرته ... وأحرزت قصبات السبق والظفر

أربت على الروضة الغناء شيمته ... لطفاً إذا مازجتها رقة السحَر

مولاي يا مَن سرت تعنو لساحته ... نوازع المنى لولاه لم تَسِرِ [٦٤]

إليكها من بنات الفكر غانيةً ... عذراء تزهو بحسن الدلّ والحوَر (١)

تزدان منك بأوصاف نسقن على ... لبّاتها من حُلاها أنفس الدُرَر (٢)

وله رحمه الله في وصف متنزهات دمشق :

حيّا دمشق فكم فيها لذي وَطَر ... منازه هي ملء السمع والبصَر (٣)

فإن توخيت منها طيبَ مختبر ... وتجتني عنده باكورةَ العُمُر (٤)

---

(١) الحَوَر : شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها .

(٢) اللبّات ، جمع لبّة : موضع القلادة من الصدر .

(٣) حيّا : أراد بها حيّ للمفرد ، ومن عادة العرب مخاطبة الواحد والجماعة مخاطبة الاثنين . فتقول للرجل قوما عنا ، وأنشد الشاعر :

فإن تزجراني يا ابن عفّان انزجر ... وإن تتركاني أحم عرضاً ممنّعا

ومنه قول امرىء القيس :

قِفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٤) باكورة العمر : أوله . والباكورة : أول كل شيء ، والجمع بواكير .

وأعمد الى القيجة الفيحاء مرتشفاً   بها زلال معين رائق خضر (١)

وأنزل ببسيمة الزهراء مُنْتَشِقاً   نسيمها اللّدن في الآصال والبكر

واسلك خمائل وادي أشرفيتها   بظلّ مشتبك الأغصان والشجر

ثم الجُدَيْدةِ الغراء فالوِ بها   عِنان طرفك وانزل جانب النهر

واقصد ربى الهامة الغناء مستمعاً   شدو القيان من الأطيار في السحر

واسرح مدى الطرف من ألفاف دُمّرها   بين الغياض لدى مستشرف خضر

واصعد ذرى السفح وانشد فيه مدكراً   عهود أُنس مضت في سالف العمر

يا ليلة السفح هلاّ عدت ثانية   سقى زمانك هطال من المطر

وقف على دير مُرّان التي شخصت   آثاره تلق فيه مسرح النظر (٢)

واذكر مقالة صبّ فيه ممتحن   يا دير مُرّان لا عُرّيت من سكر

واقصر مدى الخطو واعبر صالحيتها   ترَ القصور بها تسمو على الزُهُر (٣)

---

(١) الفيجة ، وبسيمة ، والأشرفية ، والجـديدة ، كلها متنزهات مشهورة في دمشق .

(٢) دير مُرّان : كان واقعاً في غوطة دمشق ، كثير الرهبان مزيناً بالزخارف ، تخذه الوليد متنزهاً وهارون الرشيد محطة للراحة والشرب .

(٣) الصالحيـة : من متنزهات دمشق الشهيرة وهي الآن حيّ من الأحياء المشهورة .

حيث الحدائق تجلى من مطارفها   عرائس السرو في موشية الحبر (١)

واذكر مقالة من ظلت خواطره   تربى على السحر في أوصافها الغرر

مُذ راح ينشد فيها والمنى أَمَمٌ :   خيّم بجلّق بين الكأس والوتر [٦٥]

ومتّع الطرفَ في مرأى محاسنِها   بروض فكرك بين الروض والزهَر

وانظر الى ذهبيات (٢) الأصيل بها   واسمع الى نغمات الطير في السحَر

وعد الى الربوة الغناء تلقَ بها   محاسِناً تجتلى في أحسن الصُوَر

ظلٌّ ظليل وماء راح مُطّرداً   بين الغصون وطير جد مستجر

وعج على نَيْرَبيها كم بها فَنَنٌ   من المحاسن قد دقت عن الفِكَر

حيث النسيم تمشّى في جوانبها   تستعطف البانة الغناء في البكر

حيث الجداول من تحت الظلال غدَت   تنساب ما بين ميّال ومُنحدِر

واعطف على المرجة الميثاء تلقَ بها   داعٍ (٣) الى اللهو معواناً على الوطَر

من كلّ مستشرفٍ ظلت أزاهره   تندى فتهدي لنا من نشرها العطِر

وادٍ به للمنى أغصان مُهْتَصِرٍ   تهدّلَت بفنونِ الزهر والثمر

---

(١) السرو : شجر معروف .

(٢) الذهبيات : كلمة تطلق على أشجار الغوطة في فصل الخريف لاصفرار أوراقها كالذهب .

(٣) الأصح أن تكون « داعياً » مفعولاً به لتلقى خاصة وقد جاءت بعدها « معواناً » ، كنعت المفعول المنصوب .

حيّا الإلهُ بصوب الودْق(١) غوطته ... وصانها من عيون الزهر(٢) والبَشَر

وله رحمه الله وتغمده برحمته :

لعينيك في الأحشاء ما نَفَث السِحْرُ ... وللحب في الألباب ما فعل الخمر

وما كنت أن أسلو وفيّ بقيةٌ ... ولا كاد أن يُفضي لصحويَ السُكر

خليليّ كم أدنو فتنأى مطالبي ... ويقصر عن إدراكها منّيَ العُمُرُ

أخوض لها من كل بهماء مقفر ... غمار فجاج ما تقحّمها سَفْرُ(٣)

كأنّ السُرى بحرٌ كأني أخوضه ... كأنّ له مدٌّ وليس له جَزْرْ

كأنّ الثرى أفقٌ كأنّ مطيتي ... هلال كأنّ السير موئله الحَشْرُ

كأنّ المنى ماءٌ كأنيَ ناهل ... كأنّ الفيافي البيض ما بيننا جِسْرُ [٦٦]

كأنّ نجاشيّ الظلام متيّمٌ ... كأني ملقىً في ضمائره سِرّ

تذكرني شكوى الغرام حمامةٌ ... لها فَرْطُ أشجان يجيش بها الصدر

أجارتنا أقلقتِ جفن صبابتي ... وهيجتِ شوقاً دون لاعجه الجمر

(١) الوَدْق : المطر . هذه القصيدة والتي تليها تكرر ورودهما في الديوان مرتين .

(٢) الأرجح أن الشاعر قصد : الدهر ، إذ لا محل للزهر هنا .

(٣) بهماء : الصحراء ، والفجاج : جمع الفج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، وسَفْر : المسافرون ، قال العَرْجي المتوفى سنة (١٢٠ هـ) .

عُوجي عليّ وسلمي جَبْرُ ... فيمَ الصدود وأنتم سَفْرُ

ولم يبقَ لي إلاّ تَعِلّةُ مُعْدِمٍ ... تجاذبها من كل جارحة ذكر(١)

ليالٍ يَراها القُصر حتى كأنما ... تكنّفها من كل ناحيـة فجر

كأنّ دُجاها في الأديم نهارها ... عصيمُ مِداد كادَ يجحده السِفْر(٢)

كأنّ به الجوزاء عقد لآلىء ... تطوّقه من صدر زنجية نحر(٣)

كأنّ الثُريّا في اختلاف نجومها ... بوادرُ آمال يحاولها الحِجر

كأنّ السُهى معنىً يدقّ فيختفي ... ويبدو جِهاراً أن تراجعه الفكر(٤)

كأنّ سَنا المريخ نار تعلّقت ... بذيل هَزيم راحَ يجهده [الذعر](٥)

(١) التَعِلّة : ما يُعلّل به . والمُعْدِم : الفقير .

(٢) الدجى : الظلام ، والأديم : وجه الأرض ، والعصيم : بقية كل شيء ، والمِداد : الحبر ، والسِفْر : الكتاب .

(٣) الجوزاء من أبراج الفلك قال أبو الطيب المتنبي :

أنا صخرة الوادي إذا مازُحِمَت ... وإذا نطقت فإنني الجوزاء

وكأنني بالشاعر نظر الى قول أبي العلاء المعري :

ليلتي هـذه عروس من الزنـــج ... عليهـا قلائدٌ من جُمان

(٤) السُهى : كوكب خفي تمتحن به الأبصار ويضرب به المثل في الرفعة والعلو .

(٥) السَّناء : الرفعة والعلو ، والسَنا : النور ، أو ضوء البرق . ويريد هنا : النور ، والهزيم : صوت الرعد ، وبين معقوفين في الأصل (الزعر) بالزاي ، وهو قلة شعر الرأس ، وهـو تحريف والصحيح : الذعر ، (بالذال) .

كأنّ بني نعش سَفينٌ تخالفت … عواصفها وهناً فشتتها البحر(1)

كأنّ امتدادَ الأفق فوق نجومه … قَساطل حرب زُغْف فرسانها نُضر(2)

كأنّ كلا النسرين لما تقابلا … نزيل عراك دأبه الكرّ والفرّ(3)

كأنّ سُهيلاً حين صوّبَ آفلاً … فؤاد محبّ راح يُرجِفهُ الهجر(4)

كأنّ به الشعرى الغُميصاء خلفه … شقيقته الخنساء يقدمها صَخرٌ(5)

كأنّ عمود الصبح تحت هلاله … لتركيةٍ من تحت منطقة خصر

---

(١) بني نعش : يريد بنات نعش ، سبعة كواكب تشاهدها جهة القطب الشمالي . والسفين جمع سفينة ، قال عمرو بن كلثوم :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا … وماء البحر نَملؤهُ سَفينا

(٢) قساطل ، جمع قسطل : وهو الغبار الساطع في الحرب .

(٣) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، والنسر الواقع .

(٤) سُهَيل : نجم بهيٌّ طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ .

(٥) الشعرى الغميصاء ، بالغين المعجمة : الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحرّ . والخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أشعر شواعر العرب قديماً وحديثاً ، لها ديوان شعر مطبوع مرات عديدة ، اشتهرت برثائها لأخويها معاوية وصخر ، الذي أشار اليه شاعرنا هنا ، ومن أشهر كلامها فيه قولها :

وإنّ صخراً لتأتم الهداة به … كأنه علم في رأسه نارُ

وقال في وصف يوم مرّ له في ربوة دمشق :

إذا ما مضى للمرء يوم من البِشر … فأنفسُه ما كان منه على ذكر

ويوم شكرنا فيه مع دّيق الصبا … ومقتبل العيش الرغيدِ يدَ الدهر [٦٧]

بكرنا مع الوسميّ رَبوَةَ جلّق … به وجرينا في محاسنها الزُهر

ففزنا بما تبغي النفوسُ من المنى … وما تشتهي الآمال من فَوْحها النَضْر

بداريّة الأنفاس من روض عبقّر … تنفّسَ فيها الصُبح عن عنبر الشحْرِ(1)

تداعت لريّاها الخياشيم مثلما … تداعى سُحَيْراً شارب الخمر للخمر(2)

مسارحُ طَرفٍ آذنَتْ باجتماعنا … لِتُركضَ طِرفَ اللهو في ساحة العمر(3)

بحيث رداء الخِصْب في جنباتها … مغاضٌ وخَيْلُ الأرتياح بنا تجري

---

(١) بداريّة الأنفاس : يشير الى دارين : موضع بالشام ، عاز بطيب جوّه . والشِحْر : موضع بالبحرين مشهور بالعنبر . وقد تقدم ذكره .

(٢) الخياشيم : جمع خيشوم ، وهو أقصى الأنف ، ويريد به هنا الأنوف . وسُحَيْراً : تصغير سَحَراً . .

(٣) الطرف الأولى وهي بالفتح معروف (العين) ولا يُجمع ، لأنه في الأصل مصدر ، فيكون واحداً وجمعاً قال الله تعالى : « لا يرتدُّ إليهم طرْفهُم وأفئدتهم هَواء » . . والطِرف (بكسر الطاء) . . الكريم من الخيل .

وحيث خطيب الدَّوح يشدو خلالها   بمنطِق قُسٍّ ذي [الشقاشق] والهذر (١)

وحيث نسيم الغوطتين مضمِّخُ الـ   ـغلائل من أنفاس [دارين] بالبِشْر

فمن روضة غنّاء تجري خلالها   جداولُ من نهر يفيض إلى نهر

رسائلُ تمشي بالمودّة بينهم   وتُبدي لنا ما في حشاها من السّرِ

ومن غصُنٍ مالت بأعطافه الصّبا   يُمايس [غُصناً] قد تلفّع بالزّهر

وفي جانب الوادي حمامة أيكة   من الوُرْق تشكو البَيْنَ في الورَق الخُضر (٢)

تنوح على إثر الهديل صبابةً   كما ناحتِ الخَنْساء يوماً على صَخْر (٣)

أسائلهـا ما هذه الربوة التي   تمخّض محزون الفؤاد إلى البشر

وما هذه الأحزان والندبُ والبكا   ومن يجمع الضدّين ويحك في صدر

---

(١) خطيب الدوح : لعله يريد به العندليب ، أو الحمَام . وقُس : قس بن ساعدة الايادي ، وقد مرّ ذكره مرات عديدة ، وبين معقوفين في الأصل [القاشق] وهو تحريف ، والشقاشق : جمع شِقْشِقَة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيـه إذا هاج ، ويقال للخطيب الفصيح : (هَدَرَتْ شِقْشِقَتُهُ) ،

(٢) الوُرْق ، جمع ورقاء : الحمامة .

(٣) الهديل في الأصل (الهـذيل) بالذال وهو تحريف واضح ، والهديل : صوت الحمام ، وهو أيضاً : فرخ حمام صاده جارح من الطيور الجوارح على عهد نوح عليه السلام . فما من حمامة إلاّ وتنوح عليه .

فقالت ألم تعلم بأنّ أخا الهوى   يخادع عن صفو الحياة ولا يدري

ذكرت عهوداً بالحمى غيرُ ما ترى   ففي القلب من تذكارها لاعج الجمر

وقد صدَقت فينا مَقالةُ شاعِر   شَدَدتُ حيازيمي عليها إلى الحَشْر (١)

وهل يحصل الإنسان من كلّ ما به   تسامحه الأيام إلاّ على الذكر [٦٨]

فلما أبانت ما تجِنُّ من الأسى   وصرّح مخفيّ القول عن زَبَد الأمر (٢)

بكيت على عهدٍ تقضّى ولم أكن   بأول باكٍ قلبه باسم الثغر

وقلبت طرفي في ربوع هناكم   عفاها البِلى ما بين ناب إلى ظُفر (٣)

فعادت رسوماً بعدما انصاع أهلها   وراحت بكفٍّ من ذوي رَبعها صفر (٤)

فمن هيكلٍ للهو يرفدُ هيكلاً   ومن منزل القصف يُفضي إلى قصر

وحسبك منها دير مُرّان شاخصاً   يصدّق أخبار الحوادث بالخُبر (٥)

---

(١) الحيزوم : وسط الصدر وما يضمّ اليه من حزام .

(٢) أبانت : أظهرت .

(٣) عفاها البِلى : أبلاها الهلاك ، يقال عفت الديار : إذا درست .

(٤) الرسوم : الأطلال ، والمربع : مربع القوم ومنزلهم .

(٥) دير مُرّان : كان واقعاً في غوطة دمشق ، كثير الرهبان مزيناً بالزخارف ، تخذه الوليد متنزهاً والرشيد محطة للراحة والشرب .

فكم وفقة قد أحكموا عقد أنسهم   به وتجلّوا بالطلاقة والبشر

وكم ثوّب الداعي به لصَبُوحهم   وما العمر إلا كالخيال الذي يسري (١)

فلمّا دنت آجالهم نكبت بهم   صروف الليالي من وفاء إلى غدْر (٢)

ومن أوسل الأفكار في كل مايرى   يقلّبه إن شاء بَطْناً إلى ظهر

وقال عفي عنه مادحاً بها المولى الهمام عبد الله أفندي قاضي الشام (٣) :

شكراً وحُقّ لمن وعى أن يَشكرا   فلجدّ ما وافَى الهناءُ مبشرا

بقدوم من علمت دمشق بأنّه   سَيُعيد وجهَ الدين فيها مسفرا

ويقرّ في عَيْنِ الشريعة أن ترى   منها حُساماً في يديه مجوهرا

مولاي عبد الله من أضحى به   رَوحُ المسرّة في دمشقَ منوّرا

والعيش مقتبل الغضارة ناعماً   والروضُ فينان الأراكة أخضَرا

منهم يظل ثنــاؤه متضوعــاً   مِسكاً فتيقاً في الأنام وعَنبرا

أربى على الروض المفوّفِ شيمة   وزرى بشأو النيرين تصدُّرا (٤)

(١) الصبوح : ضد الغبوق : وهو سقي الصبح . قال عمرو بن كلثوم :

ألا هُبّي بصحنك فاصْبَحينا   ولا تُبقي خمــور الأندرينا

وثوّب الرجل دعا ، وثوّب المؤذن أي دعا الى الصلاة .

(٢) الصروف : النوائب والحوادث جمع : صَرْف

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) النيرين : الشمس والقمر .

وغدا بحلّ المشكلات مبرّزاً   بذكاء فكر لا يطاق إذا انبرى [٦٩]

تَرْفض منه بالعلوم فصــاحةٌ   لو رامَ يحكيها البديعُ لقصّرا (١)

وبراعة تثني عليه غصونهــا   أبداً فتثمر للمسامع جوهرا

مولاي حلّ بنا ركابك مثلجاً   بالطائر الميمون أفئدة الورى

فليهن علياك المقــام بمنزلٍ   للشرع يَسحبُ للمهابة مئزرا

ولنــا الهنــاء بمثل ماهنيته   فلقد حُبينا منه حظاً أوفرا

وإليكها عذراء حق لمثلهــا   في مثل مانهضت به أن يُعذرا

فصلٌ يقصّرُ عنه كلُّ مُفوَّهٍ   وصفاً وخلق كالنسيم إذا سرى (٢)

فتودّ لو أوليتهــا عين الرضى   وغدا لبهجتهــا قبولك مهرا

وأسلم ودم ماراح يشدو في الربى   شادي الحمام على الغصون مبكّرا

وقال مادحاً بها قاضي دمشق :

خليليّ بانَ البان وأزدهر الزهْرُ   فعوجا على روض به أغدودق النّهْر (٣)

(١) البديع : هو أبو الفضل أحمد بن الحسين المشهور ببديع الزمان الهمذاني (٣٥٨هـ / ٣٩٨هـ) صاحب المقامات المشهورة ، الشاعر الأريب .

(٢) المفوّه : المنطيق البارع .

(٣) بان : ظهر وبرز ، والبان : شجر معروف يضرب به المثل في جمال القوام واستقامته . وعوجا . انزلا .

وجر الصبا فوق الخمائل ذيله ... فعاجت كنشوان بواسقه الخضر (١)

وغرد من فوق الثمائل بلبل ... وغنت على الأفنان ورق لها هذر (٢)

وفتحت الأنداء نوار دوحة ... ووافت جيوش الزهر من دونها الزهر (٣)

فمن نرجس غض وورد وسوسن ... وآس ونسرين يفوح لنا النشر

فحيهلن نبغي المراح ونطرح ... وساوس أفكار يجيش بها الصدر (٤)

فنحسو سلاف الراح من كف أغيد ... يطوف بها شمسا وطلعته البدر (٥)

إذا فرغ الابريق من خندريسنا ... تكفل منه بالرحيق لنا الثغر (٦)

وإن حث كأسي مقلتيه وكفه ... سكرنا ولم نشعر بأيهما السكر (٧) [٧٠]

ونرفل في ذيل التهاني كما غدت ... دمشق لها بالسيد السند البشر

حليف العلى شهم أليف مكارم ... يقصر عن أوصافها النظم والنثر

---

(١) عاج : انحنى وانعطف .

(٢) الافنان ، جمع فنن : الغصن . والورق : الحمام .

(٣) الانداء : جمع ندى ، والنوار : ازهار الثمر .

(٤) فحيهلن : اسم فعل أمر ، بمعنى : أقبل ، والنون ، نون التوكيد الثقيلة .

(٥) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر ، وهو الخمر أيضا . والأغيد : من به غيد : التثني والانكسار .

(٦) الخندريس : الخمر ، والرحيق : صفوة الخمر .

(٧) مقلتيه : مثنى مقلة : العين .

كفيل بحل المشكلات إذا دجت ... تكنفها في كل عسر له يسر

تولى دمشق الشام فأنهل غيثها ... وأخصب رباها وكان لها الفخر

فلا غرو ان تبدي القوافي مدائحا ... له حسب علياه وخادمه الفكر

إليك بها عذراء زفت لخدرها ... [. . . . .] (١)

وقال برد الله مضجعه مادحا :

ألا مرحبا بأقتبال الربيع ... وأهلا وسهلا بآذاره (٢)

لقد أعلن الطير فيه الغنا ... ورقت جلابيب اسحاره

ووشى به الزهر خضر البطاح ... وباح النسيم بأسراره

فلا وشي من بعد بزازه ... ولا عطر من بعد عطاره

ولا بعد جلق من مربع ... يغص الفضاء بأزهاره

أجدت لنا مألفا للنعيم ... نهضنا لتجديد أوطاره (٣)

ولا بعد مولاي من قادم ... حكاه الربيع بأطواره

فمن خلقه نسمات البكور ... سرت بمكاسر نواره

---

(١) بين معقوفين بياض في الأصل .

(٢) أهلا وسهلا : كلمة ترحيب تستعملها العرب في استقبال الضيف ، وأصلها : أتيت أهلا ، ووطئت سهلا .

(٣) نرى أن تكون « مألفا » والكلمة مفعول به لفعل « أجدت » وفي هذه تكون مناسبة للمقام وللوزن .

ومن لفظه حَبَراتُ الرياضِ   مرتها السواري بأمطارهِ
ومن خطه زهره المجتلى   يرف بحافات أنهاره
ألا مرحباً بقدوم الهمام   أخي الجود سَبّاقِ مضمارهِ [٧١]
شريف له في ذرى المكرمات   مقامٌ تسامى بأخطارهِ
وكم للسرى عندنا من يدٍ   حبتنا بتحديد آثارهِ
أبانت له مصر عن موردٍ   بها طائر الصيت معطارهِ
وسوف ترى شأوَهُ في الفلا   يفوقُ السِماكَ بأقدارهِ (١)
أمولاي إن اقتبال الزمان   يحثّ لنا شَدو أطياره
وداعيك من بينها بالثنا   لمولاي يشدو بأشعارهِ
فهاك بها نبعة للقريض   نمتها لواقحُ أفكارهِ
تخيرتها من بديع الكلام   بعُون النظام وأبكارهِ (٢)
تدل بجدة هذا الزمان   وتزهو بتنميق أخبارهِ
قدم فيه مولاي ذا غبطةٍ   بهِ وتهنّ بأنوارهِ

---

(١) السِماك أحد كوكبين يقال لأحدهما ، السِماك الرامح ، والسِماك الأعزَل .

(٢) العُون : جمع عَوان : النصف في سنّها من كل شيء .

وكتب في صدر رقعة أرسلها لبعض قُضاة دمشق الشام :

مولاي وافدة الثناء تأرّجتْ   منها بذكرك روضة مِعطار
وشَدَتْ بلطفكَ في حدائق شُكرها   أيكيّة من لفظها وهزارُ (١)
وأتت بنشر تحيةٍ مسكيّةٍ   تَندى بمُسْبَل ذَيلها الأسحارُ
أنفذتها بقصيدة المولى الذي   شَرُفتْ بوصف كماله الأفكارُ (٢)
قاضي دمشق ومن قضى بجميله   ان تسترقّ لفضله الأحرار
فاحلُلْ قراطقها لديك ممتعاً   بصفاء عَيش كلّه أوطار
وذكاء فَهم لا يشقّ له، إذا   ما حاول المعنى الخفيّ، غبار

وكتب في صدر كتاب أنفذه إلى شيخ الإسلام قوله : [٧٢]

مولايَ صَدْرَ بني العُلا   ربّ المناقب والمآثر
طَوْد العلوم ومرتقى   أوْج الفضائل والمفاخر
لك مكرمات لا تُعَدّ   ومنزع في الجود باهر
والعبدُ عبدٌ لا يزال   على الدعاء لكم مُثابر
لا سيّما اثر الدروس   مع الأصائل والبواكر

---

(١) ايكيّة : يريد بها الحمامة ، والأيكة : الشجرة . والهزار : العندليب .

(٢) أنفذتها : أرسلتها . وفي الأصل (أنفدتها) بالدال .

وله تأمل خــارج ... منكم وحال العبد ظاهر

ما إن له سعيٌ يرى ... إلاّ التــوجه بالخواطر

ومنهـــا : (١)

ومراحم المولى توافي ... كلّ مُشتطٍ وحــاضر (٢)

وتعم أربابَ الكمال ... بكلّ جود منه وافر

واسلم ودم في عزة ... وسلامة صدر الأكـابر

ما غرَّدتْ ورقُ الأرائك ... في الأصــائل والبواكر (٣)

ورأيت بخط يده ما مثاله : وكتبتُ على شجرة بوادي دمشق وقد اتخذت في ذَراها مَقيلا ، وأنختُ في ظلها الوارفِ أصيلا ، وهي قد كسَتْ مَنْ تَردّى من ظلها الألمى بردا فوصفتُ ذلك المَقيل بما صورته من المقال ، جانحاً بجنح الارتحال ، في هذا المجال :

يا سَرحة الوادي سُقيتِ من الحيا ... غدَقاً يواصل ذيله بقِطاره (٤)

لم أنسَ يومي في ذَراكِ وحبّذا ... من ظلك الألمى دبيب عذاره

(١) هكذا في الأصل ، مبتورة .

(٢) المشتط : النائي البعيد ، الغائب .

(٣) الأصائل : جمع أصيل : بين المغرب والعصر ، والبواكر : أبكار . الغدوات : جمع غدوة .

(٤) السَّرْحة : الشجرة العظيمة الواسعة ، والحيا : المطر . والغدَق : الماء الكثير ، ويريد هنا المطر الكثير .. والقِطار : المطر أيضاً ..

لما أنخت بجانب النهر الذي ... قد طاب لي عيش مضى بجواره [٧٢]

حيثُ النسيمُ جرى عليه مُهيْنماً ... فكأنما ناجاه بعض سراره

فتجعّدتْ منه الأسرّةُ واغتدى ... تجريره يُنبيك عن أخباره

ياطيبَ ذيّاك النسيم جرى على ... بَرَدَى يسابقُ ذيلَه بعثاره (١)

قد رحت منه بالشميم مُضمّخاً ... مما حباه الروضُ من أزهاره

وله مضمناً لبيتي ابن المعتز (٢) :

حمّلتني يدُ الهوى أوزارَه ... ليته جازَ بالحمى أو زارَه (٣)

قمرٌ أرقص المحبّ تمنيــــه ... اختلاساً بفكره واستطاره

أبصرته عيناي في مَلْعَبِ الخيل ... فأنشدته وخفتُ ازوراره (٤)

(١) ذيّاك : ذاك .

(٢) ابن المعتز : هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز ولد سنه ٢٤٧ هـ ، ومات خنقاً في سنة ٢٩٦ هـ ، ومن آثاره ديوانه المطبوع في سنة ١٣٧١ هـ بتحقيق المرحوم الشيخ محي الدين الخياط وتصدير شاعر الشام الأستاذ الكبير شفيق جبري ، وكتاب البديع نشره المستشرق الروسي المعروف اغناطيوس كراجوفسكي Kratchkovski (١٨٨٣ م / ١٩٥١ م) عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وأعاد طبعة صديقنا الأستاذ الكبير محمد عبد المنعم خفاجي سنة ١٩٤٥ م / ١٣٦٤ هـ بالقاهرة .

(٣) أوزاره الأولى ، جمع وزر : الاثم ، والثانية : أوْ زاره .

(٤) ازوراره : اعوجاجه ، الازورار : الاعوجاج . ومنه سميت بغداد بالزوراء ، لازورار دجلة عند دخولها .

[يا هلالاً يدور في فَلَك الما ... ورد رفقاً بأعين النظّاره] (١)

[قِفْ لنا في الطريق إن لم تزرنا ... وقفةً في الطريق نصف الزياره]

فثنا عطفه وأعرَضَ صفحاً ... ولوى جيده وأبدى نِفاره

ليت لي في هواه نظرة إشفا ... ق ودعهُ من بعدها واختياره

وله أيضاً سامحه الله تعالى :

وغزال ألحاظه سحّاره ... أشتهي قُربَه وأخشى نِفارَهْ

لم يدعْ حُسْنُه فؤاداً خليّاً ... من هواه إلاّ وأضرمَ ناره

عمّه خالهُ بحسْنٍ بديعٍ ... وعليه العذار في الخد داره (٢)

قلت يا من غدا مليك جمال ... وقلوب الورى غدت أنصاره

جُدْ لصبٍّ ولو بساعة وصل ... أو بطيف لعلّ يروي أواره

[أو فقفْ في الطريق إن لم تزره ... وقفةً في الطريق نصفُ الزياره] (٣) [٧٤]

---

(١) بين معقوفين مما من كلام ابن المعتز وهما بيتان مفردان في ديوانه ص ١٠٣ باب الغزل ، والماورد : في الأصل الناورد (بالنون) .

(٢) عمه : من عمّ الشيء يعُمّ ، أي شَمِلَ ، والخال : الغمازة ، وفي البيت تورية رائعة .

(٣) البيت مأخوذ من البيت السابق لابن المعتز . وفيه تحوير بسيط كما ترى .

وكتب إلى بعض أصحابه بقوله :

أيا سيداً بالودّ يَسْنى ضميره ... فيشرق في لَوحِ الفؤاد نظيرُهُ

سلامٌ على ذاك الجناب فكم له ... مكارم طيب عنبري عَبيرُهُ

وأهدي تحياتي إليه مخالصاً ... بودٍّ صفا سَلْسالُهُ ونَميرُهُ

كتبت ولي شوق إليه ونازع ... يشبّ ضراماً وَقْده وسعيرُهُ

فلم ألقَ لي إلاّ السلام تَعلّةً ... بعثت به يذكو لديه عطيرُهُ

وقال غفر الله ذنوبه متغزلاً :

وظبي غَرير أودعَ اللهُ ثغره ... مداماً وذاك الغنج من طرفه سحرا

يمرّ فيغتال العقولَ بسَكْرة ... تدوم بنا حتى تمرّ بنا أخرى

وكلّ جمال مشرقٍ يملك الحشا ... هواه ولكنّ الحريري بنا أحرى (١)

ومن غير شك إنه يسكر الورى ... ولكنني ممن يموت به سُكرا

ولا شك أن البدر في الأفق كامل ... وهذا نرى في كل عطف له بَدْرا

---

(١) لا أدري ماذا يريد بالحريري ، ولعله يشير إلى الشاعر الزجال رجب الحريري الدمشقي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ بحلب وهو من معاصري الشاعر ، أو يشير إلى الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ صاحب المقامات الشهيرة .

وتذكره تحت الظلام قلوبنـــا فيا هل ترى يطوي لناغده ذكرا

فكم صدعَ الأحشاء منا ببعده وجاء بشيىء من لواحظه يُقرى (١)

هوَ السحرُ لا بلْ فتنةٌ بابلية بَلِ الغُنْجُ بلْ شيءٌ فؤادي به أدرى

وله في زهر القرنفل الأبيض :

وقرنفل غضّ المكاسر ناصعٌ غصّت بطيب عبيره الأسحارُ

وافى على سوق بَدَتْ أوراقها تَنْدى وقد عَلِقتْ بها الأبصار

فكأنمـــا للطير فيهـــا ألسنٌ مذروبةٌ أطرافُهنّ صِغـــارُ (٢) [٧٥]

شَدّتْ إلى عِقْدِ الزُمرّد بينها قُصَبٌ تُحار بوصفها الأفكارُ

فكأنها للعندليبِ أكـــارعٌ بقرار أعمدها له منقـــار (٣)

قدْ توّجتها للقموع مَكاحِلٌ خُضْرٌ مُشرقةُ الذرى مِعْطارُ

في كلّ واحدة تروقك زهرة فكأنهـــا من فضـــة مسمارُ

---

(١) يُقرى : هكذا في الأصل ، ويريد بها ما يقرأ ، وحذفت الهمزة لضرورة الشعر .

(٢) مذروبة : يريد مسنونة ، حادة .

(٣) الأكارع : السيقان ، جمع كراع : الساق .

وله فيه أيضاً :

يا نَديمي بادِر فأهنا السرور في اجتلاء المُدام عِنْدَ البُكورِ

ما ترى ناصعَ القرنفل وافى بتحايا الشميم بين الزهور

قُضُبٌ من زُمرّدٍ حاملات قِطَعاً فُلّكتْ (١) من الكافورِ

وقال في الأحمر منه :

وجنيٍّ من القرنفل غضّ تَسْتَبينا منــه بأعبق نَشْرِ

زهرات مثل اليواقيت حُمْر في قُمُوع من الزمرّد خُضْرِ

فوقَ سُوق تحكي القناة كعوباً كرقاب من الغضارة صُعْرِ (٢)

نُسّقَتْ فوقهن أوراقُ حُسْنٍ مزوجات تحكي سوالفَ بِكرِ

أوْ حكتها مناقِرٌ فتحت منها الكراكي في الشطّ تمثال فِترِ (٣)

وقال في الزهر المعروف بالعنبر بُوي ومعناه رائحة العنبر :

وذي قامة في الزهر تندى غضارة بَدا فاختيَّ اللون من عَنْبر الشَحْر (٤)

---

(١) يقال فلّك الثدي إذا استدار .

(٢) صُعْر مفرد صعراء وهي المائلة .

(٣) الكراكي : جمع كركي : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب قليل اللحم يأوي إلى الماء أحياناً . والفتر ، هو انفتاح السبابة والإبهام من أصابع اليد بحيث يصبح شبيهاً بالمنقار الطويل .

(٤) فاختي اللون : يشير إلى الفواخيت : ضرب من الحمام . والشحر اسم مكان مشهور بالعنبر .

له جُمَمٌ زُغْبٌ تَفَلَّكَ حَولَها   من الزهر إفريزٌ كأجربة العِطْرِ (١)
تكوَّنَ لُطفاً فوق زرِّ زبرجدٍ   تكتّبَ بالألماس سطراً على سطرِ

[٧٦]

وله في زهر السنبل :

يا حُسنَهُ من سُنبلٍ ناصعٍ   يبدو لنا في قائمٍ أخضرِ
كأنّما من حولِ زهْراتِه   زرَافِنٌ (٢) صيغت من العنبرِ

ورأيت بخطه ما صورته :

ودعانا بعضُ الأصحاب إلى وردية داره ، فحضرنا عنده إلى جانب بُرْكةٍ مغدقة المياه ، قد أفعمت بالأزهار حافاتها ، وأحدق بها النور كما أحدقت بالأقمار هالاتها ، وعلاها من الورد والزنبق مشارب جمة تستوقف بنضارتها أعين النظّار ، وتخطب من ذوي الأدب بنات الأفكار ، فجرى بنا مساق الحديث إلى أوصاف الألوان كالأحمر القاني ، والأصفر الفاقع ، والأبيض اليقق والناصع إلى غير ذلك ، فقلت في أوصافها مع التعريج على ما دار بيننا مما ذكرت مبتدهاً (٣) :

أحسنْ بمجلسِ أُنسٍ يانعِ الزَهَرِ   أبانَ عن كلِّ معنًى فيه مُبْتَكَرِ
وانظر الى بُركةٍ تجلو مشاربها   عرائس الورد في مَوْشِيَّةِ الحِبَرِ

(١) الجُمَم : الكثرة من كل شيء وجمع جمة وهي مجتمع شعر الرأس . وتفلك : استدار ، والإفريز : ما نتأ من الجبل ، وما خرج من الحائط ، أو (الرصيف) . . وأجربة : جمع جراب : وعاء من جلد .

(٢) زرافن وزرافين ، جمع زرفين وهي حلقة البـاب ، وزرفن صدغيه جعلها حلقاً .

(٣) مبتدهاً : من البداهة : مرتجلا :

تناظرت حولها والزهر منعكفٌ   تناظر الحُور قد قامت على سُرُرِ
وقد علا بعضها بعضاً فلاحَ لنا   خلالها فُرَجٌ تدعو الى النظرِ
مثل القصور وقد أفضت مناظرها   الى قرارة جوٍّ زاهر الزهرِ
أبدت تماثيل ماحاكَ الربيعُ لنا   ودبّجته يدُ الأنواء في السَحَرِ
فتحتَ أحمرَ قانٍ ابيضٌ يققٌ   على أصفرٍ (١) فاقعٍ في أخضرٍ نضِرِ

وقال يصف إفريزاً وهو الرَفْرَف وكتب عليه :

لله إفريزٌ كروضةِ خُرَّمٍ (٢)   حُفّت بوردٍ مُعلَمٍ ببهارِ (٣) [٨٧]
وسُرادقٍ أضحت معالمُ وشيه   قيدَ العيون ونزهة الأبصار (٤)
فكأنّما الوشّاء ألبسَ عِطفَه   حليَ القيان وحُلّةَ الأزهار (٥)
فتخال فيه الوردَ خالطَ نَرْجساً   واللازورد مطرّزاً ببهار
وكأنَّ بَرْدَ الظل تحت رواقه   في القيظ مسترق من الاسحار
قد راق زبرجُه وطابَ مقيلُه   فزرى بحسنِ الروضة المعطار

(١) جعل همزة « اصفر » همزة وصل ليستقيم الوزن .

(٢) الخرّم : نبات الشجر أي ورقه وأغصانه ، ونبت كاللوبياء بنفسجي اللون .

(٣) البَهار : نبت طيب الرائحة ، ويقال له (عين البقر) والبهار : الجمال أيضا .

(٤) السُرادق : الفسطاط الذي يُمدّ فوق صحن البيت ، وهو الخيمة أيضا . والجمع : سرادقات .

(٥) الوشّاء : صانع الوشي . .

وقال في نور الخلاف :

نورُ الخِلاف مائلٌ … فوق شماريخ الشَّجَر(١)
كأنّه نَوافِجٌ … مُجَمَّماتٌ بالشعر(٢)
يفتضها بَرْدُ الندى … وما بها منه أثر(٣)

وقال نوّر الله قبره :

ألا ليتنا من قاسيون بجنة … مُعَمَّمة بالنبتِ مُنسابة الغُدْر
وليتَ انا شأناً بها في مبيتنا … يعودُ على قصدِ الخلاعة بالعُذْر
بشادٍ وعوّاد وناقر طبلة … وربٌ كمنجاة يرنُّ الى الفجر
وأطيارنا فوق الغصون صوادحٌ … وليلتنا في الأنس واحدة العُمْر
فإنْ لم يكنْ هذا وذاكَ وهذه … فلم يبق إلاّ أنْ نُعلّلَ بالذكْر
فياحبذا روق(٤) الصبا من مودع … وياحبذا عصر الشبيبة من عَصْر

وقال عفي عنه ملغزا .

ما اسم ثلاثي وفعل معـا … في حالةٍ تربيعُـه ظاهرُ
ساء وسرَّ الناس في حكمه … فهـو لديهم عادلٌ جائرُ [٧٨]

(١) الشماريخ : رؤوس الجبال ، ورؤوس الشجر .
(٢) النوافج : أوعية المِسْك .
(٣) يفتضها : الافتضاض هو : إزالة بكارة المرأة ، ويفتضها : يفترعها ..
(٤) الروْق : العمر .

تبدو نجومُ الأفقِ فيه لنـا … ويستبينُ الفلَـكُ الدائرُ
أفعاله تحكي حظوظَ الورى … فرائح هـذا وذا خاسرُ
والكرّ والفرُّ(١) له شيمة … وماله ظلف ولا حافرُ
تراه مثنىً وهو فرد غـدا … للفرس فيه العجب النادرُ
بينا يرى بين بنـان الورى … إذا به مطرح خائر
ثلثاه بعد القلب حرف بدا … في طيّـه جاء به الآخرُ
طرداً وعكساً ان غدا مهملاً … أو معجماً يقرؤه الناظر
إن بان ثانيـه فأمر لما … يعصيك فيـه الرشأ الهاجر
فهاكَ ما حبرت في وصفـه … يعجَب منـه الزكِنُ الماهر

وقال سقى الله تعالى ثراه :

يا بعيداً له القلوبُ ديارُ … عن مَشوقٍ يهيجه التذكار
هاكَ من صادق الوداد سلاماً … قد تجلّت بضوئه الأزهار
ما رياض شدَتْ بمنطِق قُسّ … فوق أفنان دوحها الأطيار
وحبتها بعنبر الشحر والأصـهب مسكاً تبثه الأسحار(٢)

(١) الكرّ والفرّ ، كناية عن الحركة السريعة اقبالاً وادباراً كما جاء في معلقة امرىء القيس وقد وردت كلمة « الفكر » بدلاً من « الكرّ » في جميع النسخ وهو تصحيف خاطىء .
(٢) وردت في الأصل : بعنبر السحر ، والشحر والأصهب موضعان .

في زمان الربيع يوماً بأذكى ... منه نشراً تضوع منه القفار(١)

ثم ينهي المحب فرط اشتياق ... جلّ عن أن تبثه الأخبار

فعسى أن تعود يوماً بلقياك التهاني وتصلح الأوطار

وقال طيب الله ثراه :

أرش لي جناح الحظ مولاي إنني ... إذا لم ترشه الدهر جند على الصبر [٧٩]

برانة النادي نقضت شبيبتي ... ولا خير من بعد الشبيبة في العمر

وحسب الفتى إن لم ينل ما يريده ... مع الصبر ان يلفى مقيما على الصبر

تغاضيت والأيام تقذف في الحشا ... على خيبة الآمال [جمراً] على جمر(٢)

وكتب في صدر رقعة أرسلها للمرحوم القاضي عبد اللطيف :

يا روضة الود التي لم تزل ... آثارها تزدان للنـــاظر

تفتحت أزهارها بيننـــا ... بكل معنى حسن نادر

وأينعت بالأنس أفنانها ... وفتقت من ودها العاطر

حيّا الحيا عهدك من صاحب ... [نأى] ولكن لا عن الخاطر

(١) بأذكى : الجار والمجرور خبر لقوله ما رياض في بيت سابق .

(٢) بين معقوفين في الأصل (جمرّ) في حالة الرفع . والصحيح ما ذكرناه . والقصيدة هذه أيضاً تكرر نسخها في الأصل .

شطت به العيس لنيل المنى ... وكم له في القلب من ذاكر

حججت مبروراً فيا نعمة ... أولها يثني على الآخر

فعد رخي البال في غبطة ... الى مقر [بالهنا] عامر(١)

وقال في زهر الياسمين :

وياسمين حبانا طيب منظره ... وقد تبدت من الصبح التباشير

كأنه مذ تبدا في مطالعه ... فوق العروش تناغيه الأزاهير

[لآلىء] بسطت منها لنا غرر ... جرى بها من يواقيت أسارير

وقال معمياً في اسم سليمان :

لقـد سقاني الحبيب كأساً ... لم أرو منها ورمت أخرى

فقال خذ ما بقى بكاسي ... سؤراً وأحسن بذاك سؤرا(٢)

فعندما جاد لي بمـا في ... أواخر الكأس مت سكرا

وقال معمياً في صالح :

لم أنسه وسنان يأسر نفسه ... عرضاً اذا ترك النفوس اسارى [٨٠]

(١) بالهنا : وردت في الأصل مهموزة (بالهناء) .

(٢) السؤر : بقية الشراب .

صاد الفؤادَ بطرْفه وقوامه   من بعد ما قد حلّ فيه ودارا

وقال معمياً في عبد الوهاب :

وبين الغصون الهيف المتهر أرقمٌ   يُعبّس في وجه النسيم إذا انبرى⁽¹⁾

فيحكي كميّاً دونه النسج رامحا   يدور بعضب منجداً فيه مُغورا⁽²⁾

وقال في صدر كتاب أرسله الى بعض أصدقائه :

ألا غِبٌ إهداء السلام تحيةً   كعَرف الشذا العطري بَلْ هي أعطر

ذكرتم لنا والودّ عندك بيّنٌ   وعندي فيما يعلمُ اللهُ اكثرُ . .

بأن لكم من مِصرَ آثار رغبة   وأسباب خير فضلها ليس يُنكرُ

إجازات أشياخٍ كرامٍ أعزةٍ   مآثرهم بالفضل تطوى وتنشر

ونحن بقرب منكم الآن والرجا   [زيادة إيناس . . . . .]⁽³⁾

وله بلّ الله ثراه :

معاهد السّفحِ سقاك الحيا   وجادك الغيثُ على قَدْر

كم ليلة للأنس قضيتها   منك وكم يوم من العُمْر

(١) الأرقم : الضخم من الحيات .

(٢) الكميّ : الشجاع والنسج يقصد به هنا الدرع وقد ورد في شعر المتني وصف للدرع :

لأمة فاضة اضـاة دلاص   احكمت نسجها يدا داوود

والعضب : القاطع من السيوف .

(٣) في الأصل بياض . .

وحبّذا قصرُ الكريميّ ما   بين رياض الحزن من قصْرِ

تسرّق⁽¹⁾ القلبَ به خلسة   للدهر لا تنفك عن ذكر

وقال جعل الله الجنة مأواه :

واضيعتي بعد ماجدٌ النفار ضحىً   عن ذي هوىً حظه الممزوج بالكدرِ [٨١]

رَشا تعلقتُه راجٍ مقاطعتي   حتى تقطعت الأسباب من قمري

واهاً لأيامنا بالجزع كنتُ بها   نشوانَ من سكرٍ والآن من فكرِ⁽²⁾

وقال غمره الله برحمته ورضاه :

صوت ابن منقارٍ الذّ من المنى   ما راح منسوباً الى منقاره

يثني الحمام فلا يروح لكركر   طرباً ورقّ بنيـه في منقاره

وكتب في صدر مكتوب أرسله لبعض أصحابه :

كتبتُ وفي قلبي إليك نوازعٌ   تكاد لفرط الشوق أن تستطيره

أحاول من ذات الأراكة في الربى   جناحاً وتأبى في الهوى أن تعيره⁽³⁾

(١) تسرّق عليه : أراد الاشراف عليه انسلالاً ، وتسرّق فلان سرق شيئاً فشيئاً .

(٢) أي والآن أنا نشوان من فكر .

(٣) كأنه نظر بقوله هذا الى قول العباس بن الأحنف :

بكيت الى سرب القطا حين مرّ بي   فقلتُ ومثلي بالبكاء جدير

أسربَ القطا هل من معير جناحه   لعلّي الى من قد هويت أطير

وقال وهو ما كتبه جواباً عن كتاب أتاه من الشيخ أبي بكر العصفوري المصري[١] :

سَلام كزهر الروض باكره الحيا ... فأضحى وقد أربى على عنبر الشِّحْرِ[٢]

يوافيك من أرجاء دارَين مهدياً ... إليك على متن الصبا طيّبَ النَّشْرِ[٣]

هذا وكتابك أطال الله تعالى بقاك جدير بأن يربى على نشوة السكر استماع فِقَره ، وتُقبّل شفاه الشكر جداول أسطره حيث وقع مني موقع البرء من السقم ، والغنى من العُدْم ، والرِيّ من الناهل . والثريا من يد المتناول ، بأنبائه عن خبر صحتك ، وسلامة مهجتك لا سيما ، وقد قدم بالجواب ، وأغرق في حسن الخطاب فسحر الألباب ، وجاء بثمرة الغراب[٤] ، ففضضته في الحال ، وأنشدت بلسان الحال :

---

(١) أبو بكر العصفوري : متأدب ، له شعر وموشحات . ولد بدمشق . وانتقل إلى مصر فسكنها وتوفي بها سنة ١١٠٣ هـ (الأعلام للزركلي) .

(٢) جاء في هامش الصفحة في الأصل ما نصه : « يقال شحر عمان وشحر عُمان ، وهو ساحل البحرين وعمان ، وعدن ، يضرب بعنبره المثل قال الشاعر : « ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشحر .. » اهـ .

(٣) دارَين : موضع بالشام وقد مر ذكره مرات عديدة .

(٤) ثمرة الغراب : جاء في الهامش ما نصه « ثمرة الغراب : مثل يضرب في الشيء النفيس » اهـ .

لله منك كتاباً راح يوسعني ... بِشراً ويهدي لسمعي كلّ مرغوب

كأنّه وهو في كفي أقلّبُه ... [قميص يوسُف في أجفان يعقوب][١]

فأخذتُ أنجنج[٢] لحُسن صياغته ، وأكرر النظر في فصاحتك وبلاغته ، الى أن صدق عليّ قول القائل :

ورحت أسقيه من دمعي وألثمه ... وكادَ يذهبُ بين الدمع والقبَل

كيف لا وقد زفّ اليّ عقيلة أتراب[٣] ، برّزت على الأشباه بفائق معناها وبرزت من الحجاب برقة تحيل صم الصخور أمواها ، حقيقة بقول المتنبي[٤] :

تقودُ مُستَحسَن الكلام لنا ... كما تقودُ السَحابَ عُظماها

فعذراً اليك من مُعذر عن إدراك مناطها ، وحكاية عقودها وأقراطها[٥]

---

(١) العجز من كلام أبي الطيب المتنبي ، وأوله :

كأنّ كلّ سؤال في مسامعه ... قميصُ يوسف في أجفان يعقوب

من قصيدته المشهورة التي مدح بها كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

مَنِ الجآذرُ في زيّ الأعاريب ... حُمْرَ الحُلى والمطايا والجلابيب

ولم يشر الناسخ إلى تضمين العجز في شعر شاعرنا المرحوم السيد عبد الرحمن .

(٢) أنجنج ما جاء في هامش الصفحة في الأصل ما نصه « تنجنج بكذا اذا تعجب من حسنه » اهـ .

(٣) عقيلة أتراب : كريمة لداتها .

(٤) من قصيدة له يمدح بها عضد الدولة عند قدومه عليه بشيراز ومطلعها :

أوْهِ بديلٌ من قولتي واها ... لمن نأت والبديل ذكراها

(٥) العقود : جمع عقد (القلادة) ، والأقراط : جمع قرط : ما يلبس بالأذن .

فبلسانك نطقت ولا بحسن تخيلك للشعر قرضت ولباب البلاغة طرقت ، ولكني أقول ، كما قال بعض الفحول :

إن في الموج للغريق لعذراً ... واضحاً أن يفوته تعداده

فهاك خريدة تعثر[1] في ذيل الخجل ، وتنظر الى القبول بعين الأمل ، قلتُ وأنشد قصيدة بديعة تأتي إن شاء الله تعالى في حرف الهاء .

وله تغمده الله بعفوه دُوبيت[2] :

يا مُوَرِّق شاماتُك في الخد حيارى ... قد مدّ لها الصدغ من الآس عذارا

والنرجس من لحظك قد أصبح يرنو ... [. . . . .][3]

وقال فسح الله له في قبره :

أفدي صغيراً مرّ بي متخفراً ... والغصنُ منه بالجمال منوّرُ

(١) تعثر : أصلها تتعثر ، حذفت التاء الأولى .

(٢) الدوبيت : كلمة مكونة من لفظتين فارسية (دو) ومعناها اثنان ، وعربية (بيت) وهو وزن أخذه المولدون من الفرس ، ويسميه الشعراء المحدثون بحر السلسلة أو الرباعي . وقال بعضهم إن لفظة (دوبيت) عربية أفسدتها العامة وأن أصلها « ذوبيت » والصواب هو القول الأول . ووزن « الدوبيت » هو : « فِعْلن متفاعلن فعولن فَعِلن » مرتين . إلا أن الدكتور الأستاذ مصطفى جواد يقول : ان العامة حرفوها « يعني لفظة الدوبيت » الى « ذوبيت » ثم الى « بوذيت » ثم الى « بوذية » ثم قالوا « أبو ذِيّة » . راجع : الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ، لمعروف الرصافي (١٨٧٥ م / ١٩٤٥ م) ص ١١٣ ط . بغداد ١٩٥٦ م .

(٣) في الأصل بياض . .

وكذا البنان ترى التفاضل بينها ... وأجلّ مختتم بهن الخنصر [٨٤]

وكتب في أثناء دُعابة أرسلها لبعض ندمائه قوله :

لا تلمني على الدُعابة والمزح ... وقصد المجون في الشعر تارهْ

إنما العيشُ ذكرُك العيشَ دعه ... كان أو لم يكن سوى في العبارهْ

وقال عامله الله بلطفه :

الشعر ضَربٌ من التصوير قد كشفت[1] ... منه القرائح عن شتى من الصور

فاعمَدْ إلى قالبٍ عونٍ تُدمِّثه[2] ... وافرغ به أيّ معنًى شئتَ مبتكر

وله في الثُريّا مفرد :

وللثريا ركودٌ فوقَ أرحلنا ... كأنها قطعةٌ من فروةِ النمرِ[3]

وله :

حثُّ الكريم على التفضّل بدعةٌ ... والاعتماد عليك فانظر ما ترى

(١) قد مرّ البيت الأول في قصيدة بائية في (حرف الباء) على الصورة التالية :

والشعر ضرب من التصوير قد سلكت ... فيه القرائح تدريجاً وترتيبا

(٢) تُدمِّثه : يقال : دمِث المضجع : لَيَّنه . ودمُث دماثة : سهل خلقه .

(٣) الفَرْوة : شيء كالجبة يُبطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والسمّور .

حرف الزاي

كتب في صدر مكتوب أرسله إلى بعض [أصدقاه][1] قوله :

إليك بها رسالة ذي كناس   أناخ بكم من الأُدم الجوازي[2]
قصارى أمره تذكار قصر   له من قاسيون الى عزاز[3]
به سِرْب [شَدِنٌ] على المراعي   بألحاظ تذكرك المغازي[4]

---

(١) بين معقوفين هكذا ورد في الأصل .

(٢) الكناس : بيت الظبي . والأدم : جمع أدماء : وهي الظبية البيضاء تعلوها غبرة وتسكن الجبال .

(٣) قاسيون : جبل مشهور بالشام (جبل مدينة دمشق) . وعزاز : جاء في (القاموس) مادة (عز) : « عزاز : بلدة قرب حلب إذا تُرِكَ ترابها على عقرب قتلها » اهـ .

(٤) السِرْب : جماعة الظباء ، وبين معقوفين بياض في الأصل : فوضعنا كلمة شَدِنٌ التي أقرب إلى المعنى : يقال شَدِنَ الظبي شدنا : إذا قوي واستغنى عن أمه — والمغازي : جمع مغْزى : موضع الغزو ، والمغازي أيضاً : مناقب الغزاة وفعالهم .

بفتْك دونه فَتَكَاتُ عمرو   وسِحْرٍ دونه شعر المنازي[1]
منازلنا سقيت الغيث سحّاً   وتسكاباً لطيبك يامنــاز

---

(١) فَتَكَات عمرو : لعله يريد به القائد العربي الخــالد عمرو بن العاص ، والمنازي : هو أحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة (٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م) شاعر وجيه ، استوزره أحمد بن عدوان (صاحب ميافارقين) ونسبته إلى منازجرد (من بلاد ارمينية) وتوفي بـ (ميافارقين) من ديار بكر — وله الأبيات المشهورة :

وقانا لفحة الرمضــاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم

حرف السين

قال مخاطباً بها أحد بني عم الشريف بمكة السيد زين بن محسن ، وقد ورد دمشق بائساً من نكبة صارت عليه في مفازة من مفاوز مكة المشرفة من قوم يدعون بالمفارجة وذلك في سنة سبعين وألف وهي :

سوايَ استمالتهُ الظِّباءُ الأوانسُ ... وغيري له في غير مجد تنافُسُ (١)
سقى الوَدْقُ من ابناء هاشم نبعةً ... نمتنا إلى العلياء منها مغارسُ (٢)
فلم نتخذ غير السماك مُنادماً ... وما راقنا غير الثريّا مُجالِسُ
ولم تُصبِنا الأقمارُ وهي كوامل ... ولم تُصمِنا الألحاظ وهي نواعس (٣)
ولم يلفَ منا غير شهمٍ غشمشمٍ ... يفوقُ على الجوزاء حين يقايَسُ (٤)

---

(١) الأوانس : جمع آنسة : من تؤنسك بطيب حديثها وتؤنسها .

(٢) الودْق : المطر . وأبناء هاشم : ذريته . وهم بطن من قريش : وهاشم : هو ابن عبد مناف أبي عبد المطلب ، أخي عبد شمس والد أميّة — وفيه قال الشاعر :

وهاشم هشم الثريد لقومه ... وأهل مكة مُسنِتون عجاف

(٣) يقال صبا الفؤاد : مال ، وتصمي : تميت .

(٤) الغشمشم : قيل : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء . والجوزاء : من أبراج الفلك .

تهونُ علينا النائبات شهامة ... وتفتر حيث الجوّ أغبر عابس
فلا نعتب الأيام والدهر حاسدٌ ... ولا نشكر الخطيّ والله حارس (١)
وحسبُ الفتى من دهره طيبُ محتدٍ ... وإحراز آداب وَخِلٌ مجانس
بني عمنا نحن السَّراةُ إذا مشوا ... يشمّوا إلى العلياء والدهر ناكس (٢)
بني عمنا نحن الأولى يُهتَدى بهم ... ضليلُ القطا في القفر والليل دامِسُ
بني عمنا نحن الأولى قد تعطّرت ... بذكرهم في الخافقين المجالس (٣)
بني عمنا صَبْراً على الدهر فالذي ... أراه بأن الدهر للحر ضارس (٤)
فما نحن ممن عزّ إذ هو موسرٌ ... وهان على الأيام إذ هو بائس
وما نحن إلاّ من صناديد هاشم ... لنا شَمَمٌ تزدانُ منه المعاطِس (٥)

---

(١) الخطي : الرمح المنسوب إلى (الخط) وهو مرفأ للسفن بالبحرين : الجمع : خَطِّيّة .

(٢) السَّراة : جمع سري : شريف القوم . ويشموا : يترفعون من شم يَشَمّ شمَماً . إذا تكبّر . .

(٣) الخافقين : الشرق والغرب .

(٤) ضارس : بمعنى هاضم ، ظالم . وهو من الضِّرْس : السن المعروف وهي كناية رائقة .

(٥) صناديد : جمع صنديد : البطل الشجاع . والشمم : كناية عن الترفع والإباء . والمعاطس : يريد الآناف .

تَلَذُّ لنا ذكراهُمُ كلّما بَدا ... صباحُ دجىً تنشقّ عنه الحَنادس (١)

كما لذّت البشرى بأكرم قادم ... وذاك هو الشهم السَّمَيْدَعُ فارس (٢)

كريم على هام السماكين نازل ... وقور لأثواب المهابة لابس (٣)

تحاكيه سُحْبُ الجو حال مسيره ... وتشبهه أُسْدُ الشرى وهو جالِس (٤) [٨٦]

له طيبُ أعراق وحُسْنُ خلائق ... وأخلاقه روضٌ به الغُصْنُ مائسُ

بلى ما رياض كلّل الزهر دَوْحها ... ونور رُباها ما تغشاه لامِس

تَعُلُّ بسقط الطلّ عند بكورها ... ونَنهلها عند العشيّ البواجس (٥)

لها جدول كالأيم أبيض ناصع ... وعند سقوط الشمس أصفر وارس (٦)

جرى فوق حصباء تُقلقل تحته ... كما قلقلت بين الضلوع الهواجس

---

(١) الحنادس : جمع حندس : الظلام .

(٢) السَّميدع : الكريم السيّد . وقيل الشجاع .

(٣) السماكان : كوكبان : يقال لأحدهما : السماكُ الرامح والثاني السماكُ الأعزل .

(٤) أسْد الشرى : الشرى مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل .

(٥) الطلّ : هنا الندى ، وسقطه : ماتناثر منه . والبواجس ، لعله يريد بها السحب الماطرة .

(٦) الأيم : الأفعى ، والأيِّم : المرأة فقدت زوجها .

ونيطت بآذان الغصون بدَوْحها ... شنوف سقيط الزهور تجانس (١)

بأطيبَ منه أو بأبهى خلائقاً ... وخلقاً بحال ما تغنت أوانس (٢)

أيا من له في كل مجد مؤثّل ... رواق على الشعْرى الغميْصاء حابس (٣)

إليك بها من خدر فكر مكفّل ... بروض جياد القول وهي شوامس (٤)

عَرُوبة حيّ كالقناة زففتها ... إليك كما زُفّتْ لكفء عرائس (٥)

فلازلت للعلياء بيت قصيدها ... مدى الدهر ماطنّت بعلم مدارس

وقال مخاطباً بها ذا الفهم الذكي منجك باشا المنجكي (٦) عمها الله بعفوه .

---

(١) الشنوف : جمع شُنْف : ما عُلِق في الأذن من حلْي ، وهو مصدر .

(٢) بأطيب : الجار والمجرور خبر لقوله ما رياض في بيت سابق .

(٣) الرواق : سقف في مقدم البيت ، أو كساء مرسل على مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض . والجمع أروقـة ، ورواقات . والشعرى الغميصاء (بالغين المعجمة) نجم يظهر في شدة الحر .

(٤) بروض جياد القول : يريد بالروْض : الترويض : التذليل . والشوامس : جمع شامِس : وهو الفرس الذي لا يمكّن أحداً من ركوبه أو إسراجه ولا يكاد يستقر . فهو شموس .

(٥) العَروبة والعروب من النساء : الضحاكة ، المتحببة .

(٦) الأمير منجك . هو رب السيف والقلم الأمير منجك بن محمد ابن منجك باشا بن أبي بكر بن عبد القادر بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ابن منجك الكبير اليوسفي الدمشقي المتوفى سنة (١٠٨٠ هـ) أعجمي ، شاعر مبرّز . له ديوان شعر مطبوع في دمشق سنة (١٣٠١ هـ) ويقع في ص ١٥٥ —

بَكَرتْ مهينمةُ الصبا تغليسا ... فوجدتُ منهـا للفؤاد أنيسا

وافت فرنّحت المشوقَ وبرّدتْ ... لأخي المُدامة والنديم كؤوسا

والروض قد لبست معاطف دَوْحه ... سَحَراً وشاءً للربيـع نفيسا

وارنّ في عذب الأراك سواجعٌ ... هيّجن من بُرَح الغرام رسيسا(١)

فيهنّ مستحرٌ يساهمُني الهوى ... أحمى بقلبِ المُستهام وطيسا

طارحتهُ شكوى الصبابة والجوى ... وتخذته في الواديين جليسا

حتى إذا أنتبه السُقاةُ لشدْوِهِ ... وسَفرْنَ ما بين الظلال شموسا(٢) [٨٧]

طربت نداماي العِطاش وأطلقوا(٣) ... نوراً بأحشاء الدنان حبيسا

فكأنما حيّا المزاجُ بأنجُمٍ ... منها وزفّ لنا الزجاجُ عروسا

ـبتصحيح عبد القادر بن الشيخ عمر بهنان. راجع: معجم المطبوعات لسركيس ص ١٨٠١ ، وله ديوان شعر مخطوط وهو غير المطبوع في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم (٢١٠٩) ، راجع : الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف للعالم الفاضل الدكتور المرحوم محمد أسعد طلس ، ص ١٥٨ ط. بغداد/١٩٥٣ م .

(١) بُرَح الغرام : أذاه وشدته . والرسيس : أول الهوى .

(٢) جمع الشمس على تقدير ان لكل يوم شمسا .

(٣) وردت هذه الكلمة في نسخة الديوان المصورة بمكتبة المجمع العلمي بدمشق « واطلعوا » ولها وجه ، والدنان : وعاء الخمر .

يسعى بها رَشأٌ اليه تطايرت ... نفسُ المشوق مَعَ الزفير نفوسا

قدْ جال ماءُ الحُسْنِ في وجناته ... وَجلا بصبحِ جبينه الحندسا(١)

حيثُ المنى أمَمٌ وعيشُ أخي الهوى ... بَشُّ الأسرة ما أستغار عبوسا

والروضُ داريّ الشميم ثنتْ له ... أيدي النسيم معاطفاً وغروسا(٢)

وحَبتْهُ أنديةُ البُكورِ لآلِئاً ... وكَستهُ أزهارُ الربيع لَبُوسا(٣)

حاكت بهنّ من القريضِ رسالة ... ألقتْ إليّ بودّهـا تأنيسا

كادَتْ تمانِعُها رجاحةُ قدْرِها ... من أن تميلَ مَعَ الصَّبا وتميسا

جُمل تلاحمَ نسجُها وبدائعٌ ... أضحى سِباق رهانها ميؤوسا

فالسحْرُ أدنى عندَ غنجِ لحاظِها ... من أنْ تمثّلها به وتقيسا

والوشيُ من صنعاءَ أنزلُ رتبةً ... من أن يكون لِعطفها ملبوسا(٤)

وشّتْ معاطفَها قريحةُ ماهرٍ ... بطرائفٍ قد أُحكمت تأسيسا

---

(١) الحندسا : الظلام .

(٢) يريد بداريّ الشميم : نسبة إلى دارين وقد تكرر شرحها مرات عديدة . ولم نعثر في المعاجم على كلمة « غروس » جمع غرسة وهي تجمع على أغراس وغراس فقط .

(٣) اللَّبُوس : ما يلبس من ثياب ونحوها .

(٤) وشي صنعاء : يضرب به المثل لجودته وحسن صناعته . وصنعاء : حاضرة اليمن السعيد .

هوذاك الزَّكِنُ اللبيبُ ومن غدا … دَوْحُ البيانِ بِفكْرِهِ مغروسا

فاقس أَذكَى مَع شَقاشِقِ هَدْرِهِ … من أن يكونَ له بذاك جَنيسا(١)

فإليكَ يارَبَّ الفصاحةِ غادة … قد أخجلَتْ بجمالِها بلقيسا(٢)

سِيقَتْ إليكَ وقد أتتْ لِمِثْلها … مِن لفظِكَ الدُّرِّيِّ مغناطيسا

عذراء ترفُلُ في حَبِيرِ مُلاءَةٍ … حَثَّ الودادُ بها إليك العيسا(٣)

فأحلُلْ قراطِقَها لديكَ وأولِها … نَظَرَ الجميلِ مُمَتَّعاً محروسا(٤) [٨٨]

وأسلم ودُمْ ما زالَ رَبْعُكَ آهِلاً … ومَقَرُّ أُنْسِكَ بالهنا مَأْنُوسا

وكتب في صدر رسالة علمية أنفذها للمولى محمد أفندي المعروف بطبق زاده، لمّا كان قاضياً بدمشق في سنة [. . . . .] وهي(٥) :

---

(١) قُس بن ساعدة الايادي، الخطيب الحكيم الجاهلي المعروف وقد مرّ ذكره.

(٢) بَلْقيس: هو اسم الملكة التي حكمت سَبَأ التي جاءت إلى النبي سليمان الحكيم (ع) لتلقي عليه الألغاز وتسمع أقوال حكمته، وقد ذكرها القرآن الكريم ذكراً مفصلاً في سورة (سَبَأ)

(٣) يريد بها القصيدة الموجهة إلى ممدوحه والعيس: كرام الابل.

(٤) القراطق: جمع قُرْطَق وهو قباء ذو طاق واحد.

(٥) بين معقوفين بياض في الأصل، ولم أقف على ترجمة لممدوحه.

بَرِحَ الخفاءُ فما ذكاءُ إياسِ … فيما نراهُ بأوحدٍ في الناسِ(١)

إنَّ الذكاءَ الأوحديَّ ذكاءُ مَنْ … جَلَّتْ مداركُهُ عن الأجناسِ

قاضي دِمَشْقَ الأصمعيِّ محمدٍ … تِرْبُ الندى طَوْدُ العلومِ الراسي(٢)

قامَتْ على فضلِ الأواخرِ حُجَّةٌ … منه تَمَّتْ بشاهدٍ وقياسِ

فَهْمٌ تعلَّق بالثريَّا مُسْفِراً … عن خِبْرَةٍ ودرايةٍ ومراسِ

وبَصارةٍ في المُشْكِلاتِ تكفَّلَتْ … منها بدفعِ مواقعِ الإلباسِ

وبديعِ نقدٍ لا يُشَقُّ غبارُهُ … وملاحِظَ نوريةِ المقباسِ

جاءَتْ بتدقيقٍ نجيٍّ وحيُهُ … خلّابِ(٣) ألبابِ الورى خلّاسِ

طيباً لآثارٍ له ومآثرٍ … مسكيةِ الأرواحِ والأنفاسِ

---

(١) برح الخفاء: انكشف الأمر واتضح. واياس: هو اياس ابن معاوية أحد أذكياء العرب، قاضي البصرة ضرب به المثل في العدالة والذكاء. قال أبو تمام الطائي من قصيدته التي مدح بها أحمد بن المعتصم:

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ … في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

وفي الأصل (أياس) بالفتح وهو خطأ، والصواب بالكسر.

(٢) ترب الندى: أخو الجود، قال أبو الطيب المتنبي:

أنا تِرْبُ الندى وربُّ القوافي … وسِمامُ العِدا وغيظُ الحسودِ

والأصمعي: الذكي الفؤاد الزكين: وفيه إشارة رائعة إلى الإمام عبد الملك الأصمعي مؤدب الأمين.

(٣) خلاب بالكسر نعت لـ «تدقيق».

وقال عامله الله بلطفه في ربوة دمشق :

إني لمُشتاقٌ لربوة جلّقٍ … شَوْقَ الخليعِ إلى رُضابِ الأكؤسِ (١)

فلرُبَّ يومٍ مرَّ معسولَ الحُلى … فيها بظلِّ حديقةٍ من سُندُسِ

والجوُّ مِعْطار الهواء تخاله … نَفَسَ الحبيب وفى بطيب تنفس

والعندليب على الغصون مرجِّعٌ … شَدْوَ القيانِ تَرِفُّ كأسَ مغلّسِ

والماء فضيُّ الغِلالة قد كُسي … حَبَباً تغازلُهُ عيونُ النرجس (٢)

وعلى سِماطيه لأفنانِ الرُّبى … ظلٌّ يذكِّر بالشفاهِ اللُّعْسِ (٣) [89]

حيثُ الشبابُ الغضُّ في غُلَوائه … والعيشُ موصولٌ بطيب تأنس

وبأفقه غيدٌ طلعن سوافراً … مثل البُدور جَلَتْ ظلامَ الحندسِ

بمعاطِفٍ تهتزُّ من مَرَحِ الصبا … في قَمَصِها (٤) هزَّ الغصون المُيَّسِ

ترنو بأحداقٍ تغنَّثَ جفنها … سَقَمٌ تغذّيه كرامُ الأنفس

يا حُسْنَ هاتيك العيون نواعساً … تُزري بألحاظ الظباء الكُنَّس

(١) الخليع : المتهتك ، ويريد به الشاعر الماجن حسين بن الضحاك المعروف بالخليع المتوفى (٢٥٠ هـ) وقد مرّ ذكره .

(٢) الحَبَبُ : الفقاقيع التي تطفو على سطح الماء .

(٣) اللعس : الشفاه التي فيها لَعَس . وهو سواد مستحسن محبب .

(٤) القَمَص : بالفتح هو الحركة والوثوب ، وبالضم « قُمُص » : جمع قميص وهو ما يلبس على الجلد والدرع ، قال المتنبي :

مركبي صهوة المراد ولكن … قميصي مسرودة من حديد

أبقت لدى الألباب من نشواتها … طرباً يطيش له فؤاد الأكيس

وقال غفر الله له :

يا أيُّها النشْوانُ من سِنَةِ الكرى … نَمْ وأبقِ لي طرفاً لشخصك حارسا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثل ما … في القلب من حُبيك قطُّ مجانسا

أفديك من رَشأٍ تناعَسَ طَرْفُهُ … من قبل أن يُلفى وحقك ناعسا

يهتزُّ كالغصْن الرطيب إذا مشى … والقضب أحسن ما تكون موائسا

لَبِسَ الحُلِيَّ وقامَ يخطر باسماً … فجلى عن الليل البهيم حنادسا

في خدِّه خالٌ غدتْ شَعَراتُهُ … تحكي دُخانَ المِسْكِ أضحى حارسا

فالله يحرسه على كيد العِدَى … ويُديمه خِلاً عليَّ مُؤانسا

وقال عفى الله عنه مخاطباً بها شيخنا المرحوم الشيخ رمضان العطيفي وأخاه ويدعوهما إلى بعض متنزهات صالحية دمشق بقوله (١) :

ريحانتيْ رَوْض الإخاء ونَيّرَيْ … أُفقِ الصَّفاء وزهرتيْ إيناسي

(١) رمضان العطيفي : هو رمضان بن موسى بن محمد بن أحمد المعروف بأبي عطيف من أدباء عصره ، وشعرائه المبرّزين ، ولد في سنة (١٠١٩ هـ) وتوفي يوم الخميس (جمادى الآخرة) ١٠٩٥ هـ . راجع خلاصة الأثر (ج ٢ ص ١٦٨) . وترجمه في نفحة الريحانة أيضاً ، (ص ١٦٢) مخطوط .

أصفيكما منّي السّلام مهادياً … بتحيةٍ مسكيـةِ الأنفاسِ

عن جنّةٍ في قاسيون تَسَحّبَتْ … فيها الشمال على غصون الآسِ [٩٠]

وحديقةٍ أضحتْ معاطفُ قُضْبِها … من وشي ماحاكَ الربيعُ كَوَاسِي

والطيرُ أمثالَ القيانِ مُرِنّةٌ … فيها تُناوِحُ في دجى الأغلاسِ

فاستنهضا عَزمَ المحبةِ في غدٍ … لمقرّ أنسٍ في الربى مئناسِ

لا زلتما في ظلّ عَيْشٍ موفّقٍ … مُتَرَئّسَيْن بعزّةٍ في النّـاسِ

وقال نوّر الله ضريحه :

لا تعبأنْ بذي مكرٍ تحاذرُهُ … ما راحَ يضربُ أخماساً لأسداسِ

دعه يحاول أن تندى أراكته … بِصَيّبِ المكرِ ما في ذاك من باسِ

فالمكر يرجعه فيها على عَقِبٍ … حتى تجفّ ويعرى عِطفها الكاسي

والمرء مهما يكنْ في السرّ مرتقباً … يكُنْ من اللهِ في حِرْزٍ من النّاسِ

وقال :

قد لَوَى جيدَه حياءً وحيّا … بكؤوسِ المدام كأساً فكأسا

فنفضتُ اليدين عن يانِعِ الزهـ … ـر لمعنىً أجدّ لي فيـه أنسا

نُغْنُغٌ(١) في نصاعةِ الزّهرِ مرآ … ه لعيني وكالحريرةِ مسّا

(١) النغنغ : عرف الديك .

وقال مرتجلاً :

يا مُنْتَهى النّفسِ سِرْ لنا عَجِلاً … وانهض سريعاً وشرّف المجلسْ

فعنـدنا أوجُهُ المحاسنِ في … جَبينِنا والسُّلافُ والنرجسْ

وله :

يا ابن أبي الخيرِ ويا مَنْ غدتْ … آدابُهُ تحيا بهنّ النفوسْ

ضَعْ حليةَ الآدابِ وابعثْ لنا … عاريةً منك بنقط العروسْ [٩١]

* * *

حرف الشين المعجمة

ومما اتفق لصاحب هذا الديوان عليه من الله الرحمه والرضوان أنه رأى نفسه في عالم الخيال هو وبعض الأدباء في روض فاقترح عليه نظم بيتين من الغزل فنظم هذين البيتين وانتبه وهو ينشدهما ، وهما :

جاء الحبيبُ بطيبـه … ونأى الرقيبُ بكُلِّ واشِ
المتن لا تهـوى سواه … ودَعْ معـاناة الحواشي

وكتبَ في صدر رُقعة أرسلها لبعض أصدقائه :

يا أنعمَ اللهُ المسـاء وغِبِّذا … ينهى المحب المخلص المُتَعَطِّشُ
إنا على عَهْـدِ المخالَصَةِ التي … ظَلَّتْ مشارِبُها ترُوقُ وتُنْعِشُ
هـذا ولي فيها أودُّ لُبَانَةٌ … أضحى بها قلمُ الودادِ يُرَقِّشُ(١)

★ ★ ★

(١) اللبانة : الحاجة وفي الأصل (لبانه) بالهاء .

حرف الصاد المهملة

قال رحمه الله تعالى معمّيًا في اسم حمودة :

يا لَقلبٍ إلى الهوىٰ يتداعى … فهـو لا مُخْلِفٌ ولا متعاصِي
وإذا كنتُ بالأوانسِ مغرىٰ … كيف يُرجى من اللَّحاظِ خلاصِي
في شَبَاها(١) حُتُوفُ كلِّ محبٍّ … ينتجيها(٢) ولات حين مناصِ

وكتب في صدر مكتوب أرسله الى قريبه السيد أحمد الفرفوري(٣) :

كُتُبُ الهوى مني إليكَ ومنكَ لي … تُزجى ولكن مالهنَّ قِلاصُ [٩١]
فأحسِنْ بيَ الظَّنَّ الذي أحسنتَهُ … بِكَ ما نأت عن بعضِها الأشخاصُ
فلنحنُ نحنُ وإنْ تطاولَ عهدُنا … والحب حيث تشابكَ الإخلاصُ

وكتب في صدر رقعة أرسلها للمرحوم أكمل أفندي الكريمي(٤) :

(١) الشبا : حدُّ كلِّ شيء ، ومن السيف ما يقطع .
(٢) انتجى الرجلَ : خصه بمناجاته .
(٣) لم أقف له على ترجمة .
(٤) لعله أحد أقارب الشاعر الرقيق المرحوم السيد محمد بن يوسف الكريمي الذي ترجمه صاحب (نفحة الريحانة في ص ٢٦) ، مخطوطة .

اليكَ علامَةَ الوجودِ ومَنْ   عَلا على الفرقدَيْنِ أخمَصُهُ (١)

ألُوكَةٌ ترفعُ الولاءَ لكم   وجلّ ما عندهـا ملخَّصُهُ (٢)

قد أعلنت بالثناء تنشره   وابتهلت بالدُّعاء تُخلِّصُه

وقال في الزهر المعروف بالبنفسج مفرد :

بَنفسجٌ بذكيِّ المِسْكِ مخصوصُ   كخدِّ أغيدَ بالتخميشِ مقروصُ

وكتب في صدر رقعة :

يا أنعمَ اللهُ المساءَ وغَبْـذا   يهدي تحيَّته المحبُّ المُخْلِصُ (٣)

* * *

(١) الفرقدان : الشمس والقمر ، والأخمص : أسفل القدم .

(٢) ألوكة ومألكة : الرسالة .

(٣) تكرر ورود هذا البيت في حرف الشين ، وفيه تحريف طفيف .

حرف الضاد المعجمة

قال في صدر مكتوب أرسله لبعض أحبابه الى طريق الحج وهو :

خفقَتْ نسمةُ الصَبا في الرِياضِ   برداءٍ مِن الأريجِ مُفاضِ (١)

وسرَتْ في حُمولة من سلامي   ضُمِّخت جيبَ خيسها الفضفاضِ (٢)

ما رواب مَوْشيّةِ المَنْدَل الرَّطْـ   ـب بزهو عن السحائب راضِ

قدْ جرى في خلالها الماءُ ينسا   بُ عليها بجدول قبّاضِ

صقلتْهُ (٣) النسيمُ حتى بدتْ فيـ   ـه ازوراراً أسِرَّةُ الانقباضِ

وطفتْ فوقه بطونُ حَباب   أطبقَتْ حملها على الرضراض (٤)

وغدت قضبُها بمزدوجِ الطيْـ   ـر عُكوفاً على معينِ الحياضِ (٥)

(١) الصَّبا : ريح تهب من الشرق ، وقد أكثر الشعراء من تضمينها في أشعارهم . والأريج : فوح الرائحة الطيبة .

(٢) الخيس : بفتح الخاء الغم والحزن ، والخيس : بكسر الخاء الشجر الملتف ولعله المقصود هنا .

(٣) كذا ، ونظن أنه يقصد « كف النسيم » وهذا الحذف أو الاكتفاء وارد في الشعر العربي .

(٤) الحَبابُ ، والحَبَبُ : الفقاقيع التي تطفو على سطح الماء . والرضراض : الحصى .

(٥) معين الحياض : عذب الحياض ، جمع حوض

ودنا النَّرجسُ الَجنيُّ إلى با   كورة الوَرْدِ بالعيونِ المراضِ [٩٢]

في اقتبال يوماً بأزهى رداء   أو بأذكى من نشرها المستفاضِ

تتهادى اليك في ثوب عَرف   من مشوق مشرد الاغتماض

وابقَ واسلم ما إن غدا ذوحفاظٍ   ذاكراً مونِقَ العهودِ المواضي[1]

صاحبنا الذي بَرَّ حجهُ ، وتُقُبِّل إن شاء الله عجُّه وثجُّه[2] ، بشراك قد يممتَ ملاك النعمة ، وخيمتَ بمنازل الرحمة ، فأبتَ وقد حصلتَ على الغرض ، وحللتَ من حرم الله أشرفَ أرض ، ونعمتَ بالمطاف والملتزم ، وحظيتَ بالحطيم والمستلم ، وتطيبتَ من طيبة بمندليّ ثراها ، وداريّ شذاها ،

ماذا على مشتم تربة أحمـــد   أن لا يشم مدى الزمان غواليا

فليهنك الحصول على النية الصالحة ، والأوبة الناجحة ، ثم في الآخرة فوق ما ترَى ، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى ، بلغنـــا الله حلاوة الظفر بنيل هذا الوطر ، وعجّل لنا بلوغ هذا الأمل قبل حلول الأجل ، انه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، هذا ثم أرجع فأقول ، قد أوحشت مربعَ ناسك ، ومرتعَ ايناسك ، واشتاقتك قلوب ألا ّفك ، وطالما دار على الألسنة جميل أوصافك ، لا سيما في الأماكن البهية البهيجة ، والرياض الأريضة الأريجة ، باكورة العيش الغاضف[3] ، ومطارح خلسات الأنس

(١) هذه القصيدة أكثر أبياتها غامض مضطرب وقد أثبتت كما وردت في الأصول .

(٢) العجّ : رفع الصوت ومنه الحديث : أفضل الحج : العجُّ والثجُّ ، فالعج : رفع الصوت في التلبية ، والثج : سيلان دم الهدي « الضحية » .

(٣) غضف العيشُ كان ناعماً .

السالف ، وكأني أنظر اليك الساعة ، والقلب ينزع الى دمشق ، والخيشوم يتداعى لشميم نسيمها ونشقه ، والأذن تصيخ لحديثها المستفيض ، واللسان ينجنج بذكر روضها الأريض ، والطرف يتشوف الى غوطتها ، ويتطلع لإحداق البساتين بحوطتها[1] ، لا سيما وقد قضيتَ المرام ، من البيت الحرام ، وهاج بك الغرام ، لشميم الشام .

[٩٣]

وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً   إذا دنَت الخيامُ من الخيام

فلا عليّ أنْ أفيضَ معك من حديثِ هذه البقاع ، فيا تألفه الطباعُ وتلذّه الأسماع ، كيف لا ومن حصّل على نضارة الشباب ، وغضـارة العيش اللُّباب كأن عِنانَ الفكاهة طوعُ بنانه ، ودارت أحاديث اللهو والبطالة على ذربَة لسانه ، على اني أقول وقد أهجتك إلى وطنك وحركتك إلى سكنك .

خَفِّضْ عليكَ فبعض ما يلتذه   ممن يُحِبُّ المرءُ حملُ مشاقه

وبقدر ما يلقاه في يوم النوى   يمسي قرير العين يوم تلاقه

فسماع الأحاديث كقادمتي الجناح ، يهتز لها المشوق ويرتاح ، بلدنا بحمد الله على ماتعهد من صحة هواها ، وحسن رواها ، وطيب رباها ، فكم علت لها من نزهة بكرنا روضتها الأحوى ، وعبرنا ظلها الألمى ، فجنينا بها قطوف اللهو ، وجررنا عندها ذيول الزهو .

(١) الحوطة : ما يحيط بالشيء .

بلادٌ بها الحصاة درٌّ وتُربُها   عبيرٌ وأنفاسُ الشمالِ شَمولُ (١)

جددنا وعرك الآن تعهُّدها ، واعدنا تفقدها ، لاسيما حاكورة الدير ، فقد بكرناها مع مستحر الطير ، وحمدنا ابرام صريمة العزم بتلك النهزة ، وعلمنا أنها فرصة من يد الدهر مبتزة ، فلما صارت منّا قيد رمح ، وتهللت في أسارير الشرق تباشير الصبح . [٩٤]

أتتنا على مهلٍ تجرُّ رداءها   رياحٌ مريضاتُ الهبوب صحائحُ

فألقت إلينا باكورة الأرج ، وأزاحت عنّا وهجَ المهج ،

بنسيمٍ كأن مسراه في الأروا   حِ مسرى الأرواحِ في الأجسادِ

يبرد حر الهموم ، ويسل غمامة [المزكوم (٢)] .

بطيبِ نسيمٍ منه يُستجلَبُ الكرى   فلو رقَدَ المحمومُ فيه أفاقا

فنزلنا مستشرفها ، وحللنا من بقاعها ألطفَها ، فإذا بالربيع قد أعاد جودتها ، ورقش بالياسمين بُردتها ، وأنفاس الرياحين تتأرجْ . وخلجان الماء المعين بينها تتدرّجْ ، وقد ازدوجَ طيرُهـا المترنم ، وتَدبَّج ربطها المتنمنم ، ورغد بجانبِ حَوْضِها عيشُ المُقيم ، وتندى برشاش دولابها خيش النسيم (٣) .

فلو أبصرتَه طفْلاً ورشّاً   إذاً لرقصتَ من عَجَبٍ وعُجْبِ

---

(١) الشمال : ريح تهب من الجنوب . والشمول من أسماء الخمر .

(٢) بين معقوفين جاءت هكذا في الأصل (المـ . . . . .) ولعل الصحيح ما أثبتناه .

(٣) خيش النسيم : هكذا جاءت في الأصل (بالكسر) ولعل صوابها : خَيْش : وهو نسيج خشن من الكتان .

فلا وأبيك ما رأيت في ذلكَ المكانِ مع تعدد حسناته وحُسْنِه بأبدعَ من إشرافها على ضفتي وادي النيْرَبَيْن وبطنِه فأنشدتُ :

روضٌ بمدرجةِ النسيمِ الواني   وحمائمٌ عكفتْ على الأغصانِ

ومذانب للماء في جنباته   سرحت بأنواعٍ من الجريانِ (١)

والريحُ خفاقٌ بأنفاس الرُبى   قد ضمَّ ريح الوردِ والريحانِ

فظللنا سحابةَ ذلك اليوم (٢) ، نجني من تلك القِطاف ، ونستمد من هاتيك الألطـاف ، إلى أن خلدنا ذكرها ، واوجبنا شكرها ، فعلى مثل ذلك اليوم فليكدحُ الطروبْ ، وبمثل ماهنالك فلتفرح القلوبْ ، وتشقَ الجيوبَ [٩٥] ، فوددنا لو ضربنا عليك في هذه الجملة حَوْطةَ الحوزْ ، أوْ كنت معنـا فنفوز بذلكَ كلَّ الفوْزْ ، غير ان الأوقات باقية ، والأشباح عن قريب إنْ شـاء الله تعالى (٢) متلاقيه ، « وإنْ غداً لِناظِرِهِ قَريب » (٣) .

وكتب على كتاب من (غاب عنه المطرب) للثعالبي (٤) قوله :

يا مَن غابَ عنه المطربُ اعتاضَ ناظري   عن الوردِ منثوراً على النرجسِ الغضِ

كأني إذا ما قمت عنه لحاجةٍ   وفي النفس أعقابُ ألذّ من الغمضِ

---

(١) المذانب ، جمع مذنب : وهو مسيل الماء من الجداول والأنهار .

(٢) يقال سحابة اليوم : أي طيلته ، ومعظمه .

(٣) آية قرآنية كريمة .

(٤) هو الإمام اللغوي الشهير بأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٩٦١م / ١٠٣٧ م) صاحب اليتيمة .

أعلّ بكاسات الشمول يُديرُها على نغمة الأوتار بعضي على بعضي (١)

وكتب على تاريخ كان عنده على سبيل العارية لبعض الأصحاب قوله :

وتاريخ حُبيتُ به فأضحى لفكري من دماثته ارتياض (٢)

أجلتُ الطرفَ فيه فغازلتني معانٍ دونها الحَدَقُ المِراض (٣)

فشكراً يا نسيم فقد أتتنا وحيتنا على يدك الرياضُ

وله في الزهر المعروف بحلقة المحبوب :

وزهرٍ كأمثال الشُنوف لطافةً تداخل من أجزائه البعض في البعضِ (٤)

لقد أحكمت إبرامها المُزنُ خلقةً لدينا وأعطته أماناً من النقض

وقال مُعمّياً في إسم عيد :

خليلي قد رأيت القلب يسعى لميدانِ الصبابة في ارتكاضِ

طلقت زِمامَه من غير ثانٍ له ما بين رفعٍ وانخفاضِ [٩٦]

---

(١) اعلّ : اشرب مرة بعد أخرى . والشمول من أسماء الخمر .

(٢) دماثته : يقال دَمُثَ دماثة : سهُل خلقُه . والارتياض : التذليل ، من راض يروض . .

(٣) الحدق المراض : العيون الناعسة . والمراض هنا لا يريد بها العيون السقيمة كما توهم بعض المستشرقين . وإنما العيون الناعسة من غَنَج ودَلّ . وقد أكثر شعراء العربية من وصفها .

(٤) الشنوف : جمع شنف : ما يعلق في الأذن من اقراط ونحوها .

وقال كفاهُ اللهُ شرّ موقفه :

ربِّ اني وقفتُ تحت قصوري حين أضحى مني الجناحُ مهاضا (١)

وقال في الزهر المعروف بالياسمين :

أنظر الى خيمة وقد نُصبت خضراء عند الصباح مبيضّة

كأنها قبــة لراهبة وقد كستها صُلبان من فضة [٩٧]

* * *

---

(١) الجناح المهاض : الكسير . ولم ترد « مهاض » في المعاجم وانما الذي ورد هو « مهيض » لأن أصلها : هاض .

حرف العين المهملة

قال مخاطباً بها المرحوم الشيخ محمد بن عين الملك وهي جواب عن لُغز :

أبدرُ تمٍّ مُذ تبدّا طالِعـا — غادر في الشمس كسوفاً واقِعا
أمْ خوطُ بانٍ قد تثنّى يانعاً — وافى عليه الطيرُ يشدو ساجعا (١)
أم غادةٌ فتّـانة اللحظ لها — جيدٌ كجيدِ الريم يعطو لامعا (٢)
خلّابة الدلِ بَرودٌ ثغرهـا — تحسب منه الصبح يبدو ساطعا
أمْ روضةٌ غناء حيّاها الحيا — وجادها الغيثُ مُريعاً هامعا
قد أطلعت للورد خـداً أحمراً — وأضحكت للنورِ ثغراً ناصعا
أمْ بنتُ فكر زفها الودُّ لمن — راحَ بطيب الوصل منها طامعا
من نسج منطيق نسيج وحده — ظلّ بسحر القول يلفى صادعا
هو الذي قد نال فيها ثاقبـاً — وحاز من مولاه فضلاً بارعا
عين ولا كالعين من ذي مقلة — بل عين ملك سرّ منا السامعا

(١) خوط بان : الغصن الناعم من شجر البان . ويشبه به القدود الرائقة .
(٢) الريم : الظباء ، وتعطو : تتناول .

ما ذورة الحب وما نيل المنى — مذ راح يهدي نحونا البدائعا
وافت بلغْزٍ فائق مستعذب — حططت من بهجته البراقعا
أبانَ لي عن حسن زهر ناضر — يهدي لنا في الصبح عَرْفاً ضائعا
قد قام في الروض على ساق كما — قد راح بالأفيـاء منه قانعا
يطلعُ من أوراقه أهلـةً — مخطفة أنصافها روائعا
كأنما يريك حبّ سنبل — من ذهب أصبح فيها طالعا
أعنـاقه صُعْرٌ ولكن قده — هيّج باعتـداله النوازعا
أذكرني ايامَ ملّكت الهوى — عِنان أفراسِ الصبا مسارعا [٩٨]
حيث المنىٰ دانيـة قطوفُها — والعيش أضحى للتهاني جامعا
والروض طلْق الوجه فينان الربى — يبدي لنا من وشيه صنائعا
يا حبّذا الدرُّ فريداً جاءني — منكم وكم شنّفَ لي [مسامعا]
فرنّح الأعطافَ مني وانثنى — فكري لما رامَ سميعاً طائعا
فهاكها ربعية الوشي وقد — حاكيت في الصدح بها السواجعا
وإنْ خلا فكري يوماً وصفا — أردّدُ السجع لكم مراجعا
واسلم ودم ما صافحت ريحُ الصبا — غُصناً عليه الطيرُ أمسى واقِعا

(١) تقدمت ترجمة منجك باشا .

وكتب في صدر رقعة أنفذها للمرحوم الأمير الخطير منجك باشا (١) وطلب منه وصف زهر القرنفل بقطوعة من أوصافه الرائقة وتمائيله الفائقة :

جاءتك تعنو الجناب [الرفيع]   في رقة السحر ووشي الربيع (١)

تحكي رياض الحزن في ألْسُنٍ   بصَبْصَن منها غبٌ غيثٍ مَريع (٢)

رامت بهن المدح لكنها   ألفته شيئاً فوق ما تستطيع

[يعزُّ جداً مستاه وهل]   يحاول الضالع شأْوَ الضليع (٣)

سيرتها ربعيـة المجتلى   تندى رباها بالثناء البديع

فأولها باللطف عني الرضى   فربّما قامت مقام الشفيع

ليـانع في الزهر يدعونه   قرنفلاً يمتاز فوق الجميع

يعطو بجيد صعّرته الصبا   وخده يرشح منه [السفيع] (٤)

---

(١) بين معقوفين وردت في الأصل الربيع ونرى سياق الكلام كما ذكرنا .

(٢) الغب الأولى : بعد ، والثانية : الماء الكثير ويريد به المطر .

(٣) بين معقوفين هكذا في الأصل : والضالع : الذي به ضلع ، العرج ، والشأو : مصدر ، الغاية ، الأمد ، يقال : فلان بعيد الشأو ، أي عالي الهمة . والضليع : القوي الشديد . وجاء في قول الحريري : وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع فجعل « الظالع » بدلاً من « الضالع » وهو اقرب الى الصواب . (ومستاه) أي طلبه ، واستمى الظباء طلبها في غير آنها .

(٤) بين معقوفين جاء في الأصل هكذا (لـ . . . . .) فقط . وما أثبتناه يتمشى ومعنى البيت ، والسفيع : فعيل بمعنى مفعول من السفعة : سواد مشرب بحمرة .

يدعوك مولاي إلى وصفه   ودون اوصافك وصف البديع (١)

[٩٩] ورأيت بخطه ما مثاله وكتبت مرتجلاً ونحن برفقة من ذوي الفضل ، وقد طاب بهم الأنس واجتمع بهم الشمل ، بالشرف المطل على المرج (٢) الأخضر وقد تجاذبوا أطراف المذاكرة ، بأنواع المحاضرة ، فوصفت المكان ومن اجتمع به من الخلان الأعيان بما صورته :

ياحبّذا منزلٌ ومرتَبَـعُ   طابَ لنـا اليوم فيه مجتمَعُ

حيثُ النسيم انبرى على مَهَلٍ   يعتنق الغصن وهو يمتنع

والروض فينان (٣) بالندى خَضِلٌ   والمرج رَحْبُ النطاق متسع

والنهر بين الغصون مُطرد   وموجه تابع [ومُتَّبَعُ] (٤)

والطير جذلان في جوانبـه   فصادحٌ بعضه ومنتجع

في معشر لم تزل مآثرهم   تعلى بأوج العلى وتُنْتَجَعُ

فهم لطيب الجدود قد نزعوا   وفي رياض العلوم قد رتعوا

وقال نوّر الله ضريحه :

حنانَيْك ياورقاء حتى مَ تسجعي (٥)   رويدك مهلاً فالغضى بين أضلعي

---

(١) البديع : يريد به بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات المشهور وقد تقدم ذكره .

(٢) جاء في النسخ التي بأيدينا « المرجع » والاصح هو « المرج » .

(٣) جاء في الأصول التي بأيدينا « الندى » والصحيح (بالندى) باضافة الباء كي يستقيم الوزن .

(٤) بين معقوفين في الأصل جاءت هكذا (ومنتبع) وهو تحريف بيّن .

(٥) الأصح أن تكون « تسجعين » ما دامت لم تسبق بناصب أو جازم .

حنانيك قد أسهرت جَفن صبابتي   وهيجت لي ذكر الطلول بلعلع

حنانيك قد بانَ الخليطُ وأغضفَ(١) النـــجاشي   وانهلت سحائب أدمعي

فلم أنسَ لا أنسى الوداعَ وموقفاً   وقفت به أبكي ويبكي مودعي

وولت مطايا الركب فيهم وغربت   وشرقتُ ذا وجد بقلب مروَّع

وكتب الى بعض الأحباب جواباً عن أبيات بقوله :

وَرَدتْ الى [بيت(٢)] الأريب البارع   بِكْرٌ تهادى في وشاء ناصع [١٠٠]

فوضعتها لبَّ الفؤادِ لما حَوتْ   من حُسْن ألفـــاظ كزهر يانع

وإليك وافدةَ الثناء عَروبةً   تُهدي سلاماً للمحاسن جامع(٣)

يحمله داريُّ النسيم مُبلِّغاً   عني الى ذاك الجمال الرائع(٤)

من صرت من شوقي اليه بحالة   لم أستطعْ ردّاً لفيض مدامعي

وافتك والنيروز يبسم ثغره   وتَلفَّعتْ من نوره بوشائع(٥)

وسعت مهنئة بفصلٍ زاهرٍ   بندى وعيدٍ بالمسرّة راجع

---

(١) اغضف ، أي أظلم .

(٢) داخل القوس كلمة اضفناها لأجل الوزن

(٣) في البيت خطأ نحوي : فالقاعدة النحوية تقضي بنصب (جامع) على أنها معطوفة على (سلاما) .

(٤) داريّ النسيم يريد : النسيم الهاب من دارَين : موضع بالشام وقد تكرر وروده مرات عديدة . وفي البيت خلل عروضي في كلمة « يحمله » فلا يصح الوزن إلا اذا قرئت هذه الكلمة مجزومة وليس قبلها من جازم .

(٥) النيروز : يريد به أول أيام الربيع وقد مرت الإشارة إليه بتفصيل .

تبغي من الإخوان أخلص دعوةٍ   في ظهر غيب عن فؤاد ضارع

فاجمع بخير يا مهيمنُ شملنا   بالمصطفى المختار اكرم شافع(١)

وقال قدس الله روحه :

يا عقلة حنَّتْ اليك حشا   ي من بين الضلوعِ

قد زادني منك الخيا   ل وقد جنحت الى الهجوع

فأخذتُ أتلو نفثة المصـ   ـدور حسب المستطيع

أبكي وأبكي زائراً   أمسى على نأي ضجيعي

حتى بدا فَلَقُ الصباح   وقمتُ حرانَ الدموعِ

فكأنما طرق الخيـــال   لشقوتي بعد الشسوع

ويلي على صبٍّ غدا   شرق المحاجر بالنجيع(٢)

اسفاً على عهد تقضى   غير مأمـــول الرجوع

أيام لا اثني عِنـــانَ الغيّ   عن خود شَمُوع(٣)

وأظلّ في مَرَحِ الصِبا   نشوانَ ما بين الربوع [١٠١]

عن مثل هذا مصدري   ضحى ومن هذا نزوعي(٤)

---

(١) المهيمن : من أسماء الباري عز وجل .

(٢) شرق المحاجر : مغرورق المدامع .

(٣) في البيت خلل عروضي .

(٤) الشَّمُوع من النساء : الضحوك والطروب .

وكتب في صدر رقعة أرسلها إلى بعض الأعيان قوله :

لا زلتَ مسعودَ الصباح ... وظَلْتَ في الخيراتِ ساعي (١)
وبقيتَ محمودَ المسا ... ءِ ودمتَ مشكورَ المساعي (٢)
وغـدوتَ ميمونَ النقيبة في إجابةِ كلِّ داعي
تحظو فلا يثنيكَ عن ... إنجاز وعدِكَ قطُّ داع

وقال سامحه الله تعالى :

طَيفٌ أَلَمَّ قُبَيْلَ منصدعِ الضيا ... [ليثير] من وجدي ويقفل مسرعا (٣)
ونأى فكدت أبيح غادة لحظه ... نهب الحياة ولا اكون مودعا
هيهاتَ لا يرضى بها ولو انه ... رضيَ الحياةَ لما بقيتُ مروّعا (٤)

وقال عمه الله بغفرانه :

أرى القلبَ ما بين الغواني موزّعا ... ولي كل يوم في الصبابة مصرعُ
ولا ثم لي وعد من الحب منجز ... ولا فرصـة في حبه تتوقع
أعلل نفسي بالأماني جهالةً ... أرددها في فكرتي وأرجعُ

(١) وظلت : وظللت : خففت لضرورة الشعر .
(٢) المساء : في الأصل وردت بلا همز ، والبيت مدوّر ، وبدون الهمز لا يستقيم وزنه .
(٣) قبيل منصدع الضيا : يريد قبيل الفجر . وبين معقوفين وردت في الأصل هكذا (ليسير) بدون (ثاء) . ويقفل : يرجع :
(٤) هيهات : بمعنى بَعُدَ .

وأنشد في أثناء كتاب انفذه إلى بعض اخوانه قوله :

ولقد أبيتُ وجلُّ ما أدعُو به ... حتى الصباح وقد أقضَّ المضجعُ
يارب ان أخي لديك وديعتي ... أبداً وليس يضيع ما تستودعُ

وكان ليلة في دعوة بعض الأصحاب فاقترح عليه بعض الحاضرين معمياً وكان المجلس آهلا بالسماع فقال معمياً في رباب وعود :

[١٠٢]

مُنْذ ازْدَادَ الوجدُ يا من راحَ يعذلني ... أضحى بلا آخرِ فالعذل ما نجعا
أنفقتُ ريعانَ عمري في الغرام على ... وردِ الخدود [فماراه كمن سمعا] (١)

وقال رحمه الله تعالى :

عَطفاً على من براهُ السقمُ من فكر ... تكفّلتْ بنسيج الحدْس تذرعُهُ (٢)
يطوي الدجى بانتشارِ الهم من كَمَدٍ ... له بكلِّ حراكٍ ما يروّعُه

★ ★ ★

(١) بين معقوفين مثل مشهور .
(٢) براه السقم : أنحله ، والحَدْس : اصطلاح فلسفي يتناول الظن والتخمين والكشف عن الحقيقة فجاءة .

حرف الفاء

وكتب للشيخ الهمام بقية الحفاظ الأعلام وعلاّمة الزمان الشيخ محمد ابن سليمان[١] نزيل مكة المكرمة يستدعي منه الإجازة له ولأخويه وابنه .

لنا المشرَبُ الأهنا من المورد الأصفى ... إذا نحن شارفنا العناية واللطفا

نبيت والشوق المبرّح نازعٌ ... يحاولُ من معسول ذاك اللّمَا رشفا[٢]

فما بسوى تَرشافِه ينقعُ الصدى ... ولا غُلّة المِلتاح من بَرْحِها تُشفى[٣]

---

(١) هو الإمام الشيخ محمد بن سليمان الفاسي ، وهو اسم له لا نسبة إلى (فاس) السومي الروداني (وفي الأعلام الردّاني) المغربي المالكي نزيل الحرمين . ولد سنة (١٠٣٧ هـ) وتوفي بدمشق يوم الأحد عاشر ذي القعدة سنة (١٠٩٤ هـ) . ودفن بالتربة المعروفة بـ (الايجية بسفح قاسيون) وكانت ولادته في قرية (تارودنت) (بسوس) الاقصى ، في خوزستان / خلاصة الأثر جـ ٤/ ص ٢٠٤ .

(٢) اللّما : الشفاه . وقال ابن خفاجة في وصف نهر :

لله نهر سال في بطحاء ... أشهى وروداً من لمى الحسناء

(٣) الصدى : يريد العطش . الظمأ .

وأبكيَةٍ باتت تساهمني الجوَى ... وبتّ على وَجْدٍ أُجرّعه صِرفا[١]

عراقية حنّتْ لأوْرق نازحٍ ... تُثير غرامي كلّما ناوحت إلفا[٢]

يروعُ الحشا ترنامُها ويشوقني ... تألّقُ برْقٍ زاد في لوعتي ضعفا [١٠٣]

وتشفي أُوامي للقبول رويحة ... مع الفجر تهدى من عَريب الحمى عَرفا[٣]

شممتُ بها ريّا تراوح مهجتي ... بأوصاف من أعيت مفاخره الوصفا[٤]

هو العالم النحرير والقلمُ الذي ... رقى شرفاً يسمو على سائر الأكفا

أبو الفضل نبراس العلوم محمد ... فأكرمْ به حَبراً وأعظم به كهفا[٥]

روى ودرى في العلم كلّ مؤلّفٍ ... إذا سِيم لم نعدل بواحدة ألفا[٦]

أيا روضةً تحكي النسيم أريجها ... إذا نحن لم نُسرح بألفافها طَرفا

ويا علماً تنساخ[٧] أضواء فضله ... فترعى له في النأي ما لم يكن يخفى

---

(١) الجوى : حرقة الهوى ، والوجد : الحب ، والصرف : الشراب لا تشوبه شائبة .

(٢) عراقية : الحمامة ، وقد مرّ ذكرها .

(٣) عريب الحمى : ساكنه . والعَرف . الرائحة الزكية .

(٤) ريّا : ذكاء الرائحة .

(٥) الحَبر : العالم الجليل .

(٦) يشير بقوله (روى ودرى) الى علمي : الرواية والدراية في الشريعة الاسلامية الغراء .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة في كل الأصول .

لنا من طريق السمع أسباب وصلة | نمتْ بها عجزاً ونرجو بها عطفا
ونهدي تحايا للشذا نستديمها | مع النأي لم نحتج لتعريفها كشفا
ونرغب منكم أن تجيزوا وتنعموا | بمرويّكم فهو الرغيبة والزُّلفى
إجازة إطلاق تخال تمامها | نقلّدها عقداً ونلبسها شنْفا (١)
وتأمل بالتعميم أن تشملوا بها | شقيقي وابني إذ هي المطرف الأضفى
جزاكم بها الرحمنُ خير جزاءه | وكان لكم في كل كائنة حِلفا
وعذراً لما سطرت عذر مقصّر | ولولاكم ما ازدان نظماً ولا وصفا
بقيتم بقاء الغيث ينهلُّ مغدِقاً | فيحيي به روض الحمى كلّما جفّا

وكتب في أثناء دعابة من نزعات الخاطر وقد تقدمت الدعابة في حرف الحاء (٢) .

خذ بنا في محاسن الأوصافِ | فهي نَقْلُ ما بين أيدي الظِّرافِ [١٠٤]
وانتخب للندام كلّ حديثٍ | من قِصار [الفصول] داني القِطافِ (٣)

(١) الشنف : مايعلّق في الأذن ونحوها .
(٢) أنظر حرف الحاء . ص ٧٥ وهي على شكل مقامة .
(٣) بين معقوفين وردت هكذا (الفضول) بالضاد والصحيح كما وردت في باب الحاء (الفصول) بالصاد .

يتمنى الجليسُ عمرَ مُعاذٍ | لِتَلَقّي مُعادِهِ الشفّافِ (١)
واقتحم لُجّةَ القريض بفكر | ينتقي الدرّ في حشا الأصدافِ (٢)
وتنقل من الدعابة للجدّ | وخيّم عند المعاني اللطافِ
فهي أشهى من مُستلذّ الأماني | لطروب غرامه غيرُ خافِ
فتنة أودعت نوافثَ سِحْرٍ | في مطاوي ألفاظها للزِّفافِ
والغزال الذي يعرّض في خطـبة | أمثالها لجدٍّ التلافي
فسبتها محاسنٌ منه تصطا | د بها كلَّ ناسك متجافِ
أين عادَ المطواعُ ثَمّ وهل غيـ | ـر انقياد مجانب لخلافِ
يا رعى الله منه ذاك المحيّا | والقوام المخنّث الأعطافِ
هو بدرٌ لا يعتريه محاق | فوق جيد يعطو لغصن خِلافِ
إن رنا أثخن القلوبَ بنبلٍ | عوّدتها أشلاؤها في الشغافِ (٣)
من مريض اللحاظ منه امتراض | وبعذب الرضاب منه التشافي
كيف لي بالشفاء واقى وهل يسـ | ـمح يوماً لمدنَفٍ بارتشافِ (٤)

(١) معاذ : لعله يريد به الصحابي الشهير معاذ بن جبل الأنصاري وقد مرت الإشارة إليه . والمُعاد : المكرر .
(٢) اللجة : معظم الماء ، أو الموجة ، والقريض : الشِّعر .
(٣) النبل ، السهام ، والشغاف : جدار القلب .
(٤) المدنف : العاشق .

هو ذاك الضنين يعبث مجّا نا بأهل الهوى وليس يُوافي
ملك كيف شاء ما شاء يلهو برعايا القــلوب باستخفاف
ليّن المنثوى ولكن الى الصــدِّ ودانٍ لكنـــه للتجافي
عشّقتني بالورد حمرة خديـــه فما زلت مُولَعاً بالقطاف
وسقيم الألحاظ حبّبَ لي النر جسَ حتى تحذت فيه مطافي
وثناياه مُذْ حكاها الأقاحي صرت مُغرى منه برشف النطاف
وحكت عرفه الرياض فأضحىٰ برداء النسيم منه التحـافي
ومحضتُ الربيعَ شكراً جنيّ العطـــف غصّت به لهاة القوافي[١٠٥]
حين أضحىٰ يجول منه خلال الـــغصن ماء النعيم بعْدَ الجفافِ
وبدا رافعــاً سُرادقَ زهر وسَطَ الروضِ مُعْلَمَ الأطراف
واستوت منه حاكةٌ لتزيدِ وبني سابرٍ على الأكناف
فكستهــا مُفوّفات بُرُودٍ أصبحت عبقرية الأصناف
حَفّها منتدىً وريف من الظلّ برود لسندس الصفصاف
وبدا السوسن الجنيُّ كرعـــشات ديوك في الشكل والأعراف
وتبدّى الشقيق فيها على النهــــر مكبّاً كعاكف لرعاف
والتوى النهر حولها فتحلّىٰ من فريد الحباب بالإنصاف

ما شدت فوقه حمــائمُ إلاّ اذكرتني عهد الصبا والتصافي
وزماناً لبستُ فيــه رداء سابغاً من غضارة العيش ضافي
يا سقىٰ الله عهــده بمُلِثٍّ غير مستأخر ولا مخلاف
يا نداماي هذه خُلَس العيـــش فهل مسعد على الاقتراف
أو مواتٍ الى اجتناء دوان للأماني فالأنس أضحى موافِ
وابتكار الى بواكير عيش مستجدّ لنا وحثّ سُلاف
من سقاة تخفى المناطقُ منهـــا بين طيّ الأعكان والأرداف
فلَجَمْعُ الأحباب بعد التصافي نعمـــة سيّما مع الأسعاف
واقتضاء المشيب حق الصبا أعـــجب منه الأناة في الاستلاف[١٠٦]

وقال مادحاً المولى مصطفى أفنـــدي البصوي[١] قاضي دمشق سابقاً:

سقت مُستَهَلاتُ الحيا المتضاعِفِ غضارةَ عيشٍ للأحبةِ سالفِ
وحيّت زمانَ القصف أيام لم تزل من الدهر في ظلّ من الأنس وارف[١]
وروض بكرناه خِفافاً وللندىٰ نثارُ سقيطٍ في مغانيه واكفِ

---

(١) زمان القصف : يريد أيام اللهو والطرب .

نجرُّ رداءَ العزِّ في جنباتِه ... ونسحبُ ذيلَ اللهوِ سحبَ المطارفِ(1)

وفي البانِ أمثالَ القيانِ حمائمٌ ... من الوُرْقِ حنَّت للعهودِ السوالفِ

تردّدُ ألحانَ الغريضِ ومعبدٍ ... برنّةِ مصدورٍ وأنّةِ لاهفِ(2)

وبين الغصونِ المائساتِ جداولٌ ... أكبَّ عليها الزهرُ إكبابَ راعفِ

إذا جعّدت أيدي الرياحِ متونَها ... وقمتَ على الشطّين في زيِّ قائفِ

حسبتَ أساريراً من الأفقِ عبّست ... بمرآةِ صافي مائها المترادفِ

وبات لنا أحوى من الغيدِ أحورٌ ... رقيقُ حواشي الدلِّ رخصُ المعاطفِ

يدورُ بكأسِ الراحِ لما تألّفت ... مع الزيرِ ألحانُ الحمامِ الهواتفِ(3)

بليلٍ طوينا فيه عن كلِّ مقلةٍ ... سُجوفَ الكرى باللهوِ طيَّ الصحائفِ

إلى أن بدا وخطُ المشيبِ بفودِه ... ولاحت تباشيرُ الضيا المتقاذفِ

وولّت نجومُ الأفقِ تنصاعُ رهبةً ... وقد خفقت للذُعرِ خفقَ الروانفِ(4)

وقامت به الجوزاءُ حيرى كأنّها ... جَبانٌ أضلّته السُرى في المخاوفِ(5)

---

(١) المطارف : جمع مُطرَف : رداء معروف .

(٢) الغريض ومعبد : من مشاهير المغنين في الدولة الأموية .

(٣) الزير : الدقيق من الأوتار واعلاها صوتاً .

(٤) الروانف : جمع (رانفة) وهي طرف الكمّ ، أو طرف كل شيء .

(٥) البيت آية فنية من آيات الشعر الرفيع . حيث شبه الجوزاء : (من أبراج الفلك) بجبان تائه ، أضلته السرى في الصحارى . . صورة رائعة .

وفي إثرها الشِعرى العَبور كأنّها ... تقلّبُ طرفاً مُنكراً غيرَ عارفِ(1)

كأنّ الثريّا سُبحةٌ من لآلىءٍ ... وهت في رمادٍ إثرَ عجلانَ خائفِ

كأنّ سهيلاً نارُ سَفرٍ تلاعبت ... بها في مهافي الريحِ أيدي العواصفِ(2) [107]

كأنّ بني نعشٍ شوادنُ قفرةٍ ... أضلّتهم الأدماءُ بين التنائفِ(3)

كأنّ رقيبَ الصبحِ دينارُ عسجدٍ ... على كفِّ مجهودِ الذراعين راجفِ(4)

كأنّ ابتلاجَ الصبحِ أحكامُ سيّدٍ ... خبيرٍ بتحقيقِ العويصاتِ عارفِ(5)

كفيلٍ بحلِّ المشكلاتِ سميدعٍ ... من القومِ بسّامين شمِّ المراعفِ(6)

سَريٍّ له في الدينِ صولةُ ناصحٍ ... نصيرٍ على رَيبِ الزمانِ مساعفِ

هو المصطفى الشهمُ الذي جرَّ في العُلا ... مطارفَ عزٍّ من تليدٍ وطارفِ

---

(١) الشعرى العبور : من الكواكب .

(٢) سهيل : نجم معروف ، وسَفْر : المسافرون . ومهافي الريح : يريد هبوبها .

(٣) بني نعش : يريد بنات نعش ، وهي أشهر من أن تعرف والشوادن : جمع شادن : الغزال إذا استقل عن أمه وتحرك . والأدماء : الظبية ، والتنائف جمع تنوفة : الصحراء المُضِلّة .

(٤) العسجد : الذهب .

(٥) العويص من الأمور . المتعقد الحل .

(٦) السميدع : الشجاع ، الكريم . وشم المراعف : يريد شم الأنوف .

تولّى دمشق الشام فانهل غيثها ... وآمن في أرجائها كلُّ خائف

فيا ماجداً أوسعتَ جِلّقَ رفعةً ... وأصبحت بشَّ الوجه جمّ العواطف

ويا من غدت أوصافه الغرّ تزدري ... بنشر فتيقِ المسك بين النفانفِ (١)

إليك بهـا بهنانة عبقرية ... من الغيد تزهو في البرود اللطائف (٢)

أتت ترتجي منك القبول تفضلاً ... ودُمْ كلَّ يوم في سرورٍ مضاعفِ

وقال :

لك الطائر الميمون فاسرج به طِرفاً ... وسر في أمان الله إن له لُطفا (٣)

وصعّد وصوّب نظرة بعد نظرة ... فما ثَمّ إلا الخير فامدد له كفا

ولذ بحمى الإخلاص وارفع به يداً ... وشارف ذُرى الآمال فهي به تكفى

فسعيك تأهيـل لكلّ رغيبة ... سترشف معسولَ الأماني به رشفا

وحسبك أنفاس يخف بها الرجا ... ليعرفَ من بحر القبول بها غَرفا

فمن ضارع تحت الظلام وخاشع ... يبيت بها ينحاز للمورد الاصفى

يُرصّعُ تيجان الإجابة في الدجى ... بدرّ دعاء ظَلّ يرصفهُ رصفا

يحـاول نصراً للغزاة وقوة ... من الله تزداد الطغاة بها ضعفا [١٠٨]

(١) النفانف : النواحي مفردها : نفنف ، وهي أيضاً الصحراء والمفازة .

(٢) البهنانة : الشابة اللطيفة الطيبة النفس . ويريد بها هنا : قصيدته .

(٣) الطِرف : (بكسر الطاء) الفرس النجيب .

فيـا قاصداً ذاكَ المخيّم إنه ... مَناطُ اجتناء البرّ والرفد والزلفى

وهاك بها إنسانَ عينِ أولي النهى ... حديقة فكر تجتني ودّها قطفا

تحييك إجلالاً بطيب تحيةٍ ... تشير له في كل شارقة عَرفا

وتنمي لك البشرى بأربح مقصِد ... من الخير قد أعيتْ مآثره الوصفا

فمثلك من يستامُ درَّ شنوفها ... بكفّ اعتزام كلما أطلعت شنفا

فسعيك مشكور وجدك مقبلٌ ... ورفدك مبذول وبشرك لا يخفى

وكم لك في بذل المكارم من يدٍ ... هصرت بها غصن الوداد مع الاكفا (١)

وإني وان طالت مسافة بيننا ... لأعلمُ حقاً أنني الأخلص الاصفى

وودي بظهر الغيب شاهد صدقه ... لديك فلم أحتج لتعريفه كشفا

وان حجاباً عاقني عنك مؤذنٌ ... بأني سأتلو منه غب النوى صُحفا

سلام على علياك يذكو شميمه ... مدى الدهر ما خطّت بنانُ الوفا حرفا (٢)

وقال يصف يوماً مرّ له في ربوة دمشق .

للهِ يومٌ في طلائِعه لنا ... طُرَفُ الطرائف

خيل تلاعبُ في فضاء المر ... ج أمثال الوصائف

(١) أي الأكفاء ، والقصر هنا غير مقبول ذوقاً .

(٢) يذكو : يفوح .

وقصت بها الفرسان في　　الناورد(١) مُوَشِّيةَ المطارفْ
فكأنها قِطَعُ الرياض　　تلوح ما بين التنائف
تستنّ(٢) فيما بينها الولدان　　مُتْرَفَة المعاطِف [١٠٩]
وتعت بها وقع العشور　　المذهبات من المصاحف(٣)
والزهرُ يعزفُ والهوى　　رطب وظلُّ العيش وارفْ
فُرَج تروق ونزهـة　　أهدت لنا غُرَرَ اللطائفْ
ثم انتحينا ساحة الـ　　ـوادي ضحىً والعيش غاضفْ
حتى اجتلينا الربوةَ الـ　　ـغناء من تلك المشارف
تقضي بنا لنعيمها　　حيثُ الزمانُ لنا مساعِفْ
والطير أمثال القِيان　　إذا شدون على المعازف
تغدوا الى فوّارَة　　يحتار فيها كلُّ واصف
ترمي بماء كاللجين　　يشفُّ عن خِدع المثاقف(٤)
متصاعِدٌ متراجعٌ　　متدافع للعين واقفْ

(١) كلمة فارسية وهي طريقة المبارزة على ظهور الخيل، وهي أيضاً اسم لمكان، وقد استعملها المولدون كالبحتري وغيره، وقال أحد الشعراء يصف فرساً:
وإذا عطفت به على (ناورده)　　فكأنه من لينـه بركار
(البركار آلة هندسية لرسم الدائرة).
(٢) استنّ: عدا اقبالاً وادباراً من سنّ الماء أي صبّه.
(٣) ورد هذا البيت بياض في الأصل. والعشور، جمع عشر وهو الجزء من القرآن الكريم.
(٤) هكذا وردت في الأصل.

وقال مخاطباً بها الشيخ ابراهيم الخياري المدني(١) لما قدم دمشق في سنة ثمانين وألف (١٠٨٠ هـ).

(١) هو المرحوم الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن بن علي الخياري المدني الشافعي، أحد المشاهير في البراعة في الحديث والمعارف وفنون الأدب والتاريخ. ولد (ليلة الثلاثاء ثالث شهر شوال سنة ١٠٣٧ هـ وتوفي ليلة الاثنين) ثاني رجب سنة ١٠٨٣ هـ بالمدينة. وقيل مسموماً، وقيل ان سبب سمه: أن شيخ الحرم المدني الزم أئمة الشافعية وخطباءهم أن يسروا في الصلوات بالبسملة كالحنفية، فلم يمتثل الخياري لأمره، وقال هذا الأمر ليس إليك فدس إليه السم، ودفن بالبقيع، وقد أجاب شاعرنا السيد عبد الرحمن حين أرسل بهذه القصيدة، بقصيدة رائعة واليكها، قال الخياري:

أيا سيداً ما زلت اسأله عطفا　　ويا ماجداً لم ألق حقاً له اكفا
تفضلت لما أن بعثت برقعة　　هي الروضة الغناء والديمة الوطفا
تنزهت فيها واجتليت محاسناً　　وحليت سمعي من لآلئها شنفا
أشدت بها ذكري وقد كان خاملاً　　فهزت معاليها الحسان لي العِطفا
ولكنها أرمت لوحي إشارة　　فكنت إلى فهم لها الأسبق الأوفى
لامرك للعلياء أدركت يافعاً　　وقد خطبتني ما مددت لها كفا
واني لمن سباق حلبتها إذا　　تجاروا فكم خلفت من سابق خلفا
وكم فزت من غارات خدر مسجف　　بغيداء جيد قد أباحت لي الرشفا
وردت بها من مورد الفضل مورداً　　حلا لي فكان المورد الأعذب الأصفا
فهاك وحيد الدهر عين زمانه　　ألوكة صب نازح فاقد الألفا
وقابل حلاها بالقبول فإنها　　غريبة شكل فيك أغربت الوصفا
فإن يكُ غيري جاد بالفضل مبتدا　　فإني ابراهيم وهو الذي وفّى

خلاصة الأثر (ج ١ ص ٢٦).

أيا سيداً حازَ المكارم واللطفا ... ومن شأوه في حَلبة الفضل لا يخفى

لمثلك يعنو القول نظّمت عقده ... وقرطتُ آذان الحسان به شَنَفا

وكم لك في نهج البلاغة من يد ... هصرت بها غصن الوداد مع الاكفا(١)

فدأ لك قد أقررت بالفضل أعيناً ... فشارف ذرا العلياء وأمدد لها كفا

ستحظى بها نعمى عليك مُفاضة ... وترشف معسولَ الأماني بها رشفا

وهاك بها إنسان عين زمانه ... ألوكة أشواقٍ من الأخلص الاصفا(٢)

تهاديكم عَرْفَ الرياض تحية ... وتنشر من صفو الوداد لكم صُحُفا

وقال برّد الله مضجعه في أيام الربيع : [١١٠]

حبانا لذيذَ العيشِ آذارُ واغتدت ... أزاهرُه تهدي لنا الطيبَ والعَرْفا

ووافت بواكيرُ الربيع بجدةٍ ... تزفّ عروسَ الروض من خدرها زفّا

وهب النسيم اللّدن من جانب الربى ... يلينُ لها عِطفا ويسألها عَطفا(٣)

إذا ضمّها عَرْفُ الكمائم ضمخت ... صَباه وسامته معاطفها اللُّطفا

(١) نهج البلاغة . طريقها الواضح . وهو اسم كتاب جُمعت فيه خطب الإمام علي بن أبي طالب .

(٢) ألوكة : الرسالة . مالكة وألوكة . بمعنى واحد .

(٣) النسيم اللدن : اللين ، الرخاء . وعِطفا (بكسر العين) واحد الأعطاف ، والثانية (بفتح العين) عطفا : الرحمة ، الحنان .

مُحِبانِ في وسط الرياض تألّفا ... أجَنَّتْ له سرّ الغرام بما أخفى

وجشها حتى وهي شنف نورها ... فعبّس وجه النهر واختطف الشنفا(١)

وقال جواباً عن لُغزٍ وأبيات من بعض الأصحاب :

أفرائدٌ بَرَزَتْ من الأصدافِ ... أم أنجم تبدو بجوٍّ صافِ

أم تلك من قِطع الرياض مسارحٌ ... ترنو بأزهارٍ بوزن لِطافِ(٢)

تفترّ عن شَنَبِ القِطار ثغورها ... من فوق قامات لهنّ ضعاف(٣)

أم تلك غيدٌ تستبيك بحُسْنها ... مُرتجّة الأعكان والأرداف(٤)

نُسقت على بيض النحور لآلِئاً ... شفّافة تبدو على شفاف

أمْ تلك أبياتٌ حططتُ لثامها ... من خير لُغزٍ في خدور قواف

وقال سامحه الله تعالى :

أمِنَ الودادِ تزاورٌ بتكلّفِ ... من بعد طول تقاعسٍ وتخلّفِ ؟

(١) جشها : لاعبها ، وقرصها . والشنف : ما يُعلق بالأذن من أقراط ونحوها .

(٢) ترنو : تديم النظر .

(٣) شنب القِطار : يقال شَنِب شَنَباً اليوم ، إذا برد فهو شانب وشَنِيب . والرجل : كان أبيض الأسنان حسنها . والقِطار : جمع قطرة . ويريد بها هنا : الندى ، والقطار : أيضاً المطر .

(٤) مرتجة الاعكان والأرداف : الاعكان يريد بها البطون . والأرداف : جمع ردف : الإلية .

هيهاتَ أن تَرْدان منك خليقةٌ   كلّفتها فالودُّ ليس بمختفِ (١)

فاقصرْ فديتك عن مُغالطة النهى   بمخايلٍ تزري بودّك واكففِ

فبي التي مَصرت بغصن الودّ حتى   كادَ أن يزري لغير تعطّفِ

وأنا عليه كما عهدتَ فلا تكن   أبداً بحالٍ غير ذي ودٍّ وفي [١١١]

وقال غفر الله له :

نَفَحاتُ أُنسٍ أم شَذا ألطافِ   أمْ ذي خلائقِ روضةٍ مئنافِ

أمْ تلكَ وافدةُ الودادِ جلَتْ على   يدِ من نودّ رغيبة الإتحافِ

كَلِمٌ وأسجاعٌ تراصفَ دُرُّها   وبدائعٌ أعيَتْ مَدى الأوصافِ (٢)

فِقَرٌ تلاحم نسجها وبدائعٌ   أوفت محاسنها على الأوصافِ (٣)

وقال عفي عنه :

لم أنسَ لمّا أنْ شخصت الى الربى   متقاضياً عهـداً بها مألوفا

والشتو قد وافى بسطوة رعده   يَستلّ في الشرقِ البروقَ سيوفا (٤)

---

(١) الخليقة : الطبيعة ، ما خلق الله . الجمع : خلائق .

(٢) الكَلِم : جمع كلمة . واسجاع : جمع سجع . وهو معروف في النثر .

(٣) الفِقَر : جمع فِقرة : الجملة المكونة من كلمات .

(٤) الشتو : يريد به المطر الشتوي .

وارْفضّ من دمعِ السحائبِ لؤلؤٌ   أضحى لآذانِ الغصون شُنوفا (١)

وقال مادحاً ربوة دمشق :

للهِ ربوة جِلّقٍ من روضةٍ   للغُوطتين بها المحلُّ الأشرفُ

في كلّ موقعِ لحظةٍ من دَوْحها   مَلَحٌ عليهنّ الفؤادُ يُرفرفُ

نهرٌ تجعّد في ربى ترهى ، بها   غُصْنٌ تميسُ عليه طيرٌ تهتفُ

فكأنّ ذا درْعٌ وذا وشيٌ وذا   قدٌّ وذا شادٍ هناك يُشنّفُ (٢)

وقال نوّر الله قبره :

ولمّا تفاوضنا الحديثَ عشيةً   ومالَتْ بعطفَيْه المُدامةُ فاستعفى

وضعت له كفي فوسّد نُغنُغاً   تناهَتْ به مائيةُ الحُسْنِ واستكفى

وكنت أراعيه بلحظي تَسرّقاً   فملكتُ طرْفي منه من بعدما أغفى

[١١٢]

وقال سقى الله ثراه من أعذب الموارد :

بادِرْ بعيشِكَ فالنعيمُ مخيّمٌ   وملاءةُ البستان في تفويف

والطير مُغترِدٌ عليه يشوقه   جِيَدٌ بأعناقِ الغصون الهيفِ

---

(١) ارفضّ : انتثر ، والشنوف ، جمع شنف : ما يُعلق في الأذن . وقد مرّ ذكره .

(٢) شاد : يريد به المُسْمِع .

تصغي له أذنُ الطروبِ فينثني   والشوقُ مِلْءُ فؤادِه المشغوفِ

وقال طيب الله تعالى ثراه :

يا رضيّ الخِلال يا من تحلّى   بصفاتٍ تروقُ ظَرفاً ولُطفا

قد تفضلت منعماً بكتـــابٍ   حلّ أوج السِماك مَعنًى ووصفا

فشكرنا حُسْنَ الصنيعِ ابتداء   ثم زدناه بعدَ ذلكَ ضِعْفَا

وقال في غلام متجرد في الحمام :

أفديه في الحمّام من متجرّدٍ   جالَتْ مياهُ الحسن في أعطافِه

يهتزُّ كالغصنِ الرطيبِ إذامشى   منه معاطفُـــه على أردافِه

قمر له خالٌ على وَجَنَاتِه   كالمِسْكِ فوقَ الوردِ قبل قِطافِه

وفمٌ أقاحيُّ البَسامةِ مُسكر   حلو المذاقِ يعلّني بسلافِه

يا كمّل الله المهيمنُ حُسْنَه   وحباه بالإسعاف من الطافه

وقال جعل الله الجنة مأواه :

مَلكتَ زمامَ الحسنِ والحُسْنُ لايخفى   وأرْسلتَ في العشاقِ أجفانكَ الوَطْفا

وقيضتَ للأحشاء طرفاً مُنَعّساً   إذا أفرغ السِحْرَ الحلال بها أغفى

وله من الدوبيت (١) بمتنزه يعرف ببستان الوقف :

لله من السَّفحِ ظِلالُ الوقفِ   واتبع أثراً لمادحٍ فيها واقْفِ (٢)

أوقفتُ على جدولها طَرفيَ مُذْ   أطلقتُ به عِنانَ ذاكَ الوقفِ [١١٣]

وقال :

بضاعةُ بِشر بالمدينةِ قد حكى   بها المطرزيُّ الكسرَ لا غيرَ فاعرفِ

وأشهرُ من ذا الضمِّ فيها ولو درى   لقالَ كما قالته اخوةُ يوسفِ (٣)

وقال غمره الله سبحانه برحمته :

رُبَّ أحوَى أحْوَرِ الجفن   رشيق القدِّ أهيفْ

كلما حَـــنَّ تمادى   وإذا أوْعَدَ أخلفْ (٤)

* * *

(١) مرّ شرح الدوبيت وأصوله .

(٢) اقف : فعل أمر من « قفــا » وهو الذي يتبع الأثر .

(٣) يوسف : يريد عذر اخوته لأبيهم وقصتهم مشهورة .

(٤) أوعد : قال الفرّاء والجوهري : يقال ، وعدته خيراً ووعدته شراً : فإذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير : الوعْد ، والعِدة ، وفي الشر : الإيعاد والوعيد ، فإن ادخلوا الباء في الشر جاؤوا بالألف فقالوا أوعده بالسجن ونحوه . وانشد ابن سيده ، لبعض الرُّجاز :

أوعدني بالسجن والاداهم   رجلي ورجلي شثْنَةُ المناسم

اللسان / مادة (وعد) ، ومختار الصحاح / مادة (وعد) :

حرف القاف

ومما اتفق لصاحب هذا الديوان عمّه الله بالرحمة والرضوان جمعُ متنزهات الدنيا الأربع (١) في بيتٍ واحدٍ من قصيدة وصفَ بها ربوةَ دمشقٍ وهي :

لقد ثوّبَ الداعي لربوة جِلّقٍ | بقلبٍ على تلك الرياض مُرَنّقِ (٢)
فقمتُ وفي أذنيّ هينمة الصبا | أُساق إليها من شبابي برَيّقِ
وصحبي تنادى يا لها من صريمة | فقلتُ ابرموها إثرَ ممشايَ نلتقي (٣)
فَسِرنا وخِرّيت الأماني يقودنا | خَلِيّينِ إلاّ من خليل ومُشفقِ (٤)
سراعاً بنافي حَلْبة الأنس للصبا | كرائم أفراسٍ إلى اللهو سُبّقِ [114]
نَغُضُّ متى شاء النهى من عِنانها | بكفٍّ أناة ذاتِ زَنْدٍ ومرفقِ

(١) يريد بمتنزهات الدنيا الأربع : غوطة دمشق ، ونهر الأبُلّة ، وصغد سمرقند ، وشِعب بوّان . وسيأتي شرحها بعد قليل .

(٢) ثوّب : من ثاب يثيب ، رجع يرجع .

(٣) صريمة : قطيعة ، وبين معقوفين جاءت هكذا في الأصل (. . . ها) تمشيا مع المعنى المراد وضعنا تمامها .

(٤) الخرّيت : الدليل الماهر في الدلالة .

فلما بلغنا ظِلَّ وارفِ دَوْحِها | ومنسابِ صافي مائها المترقرقِ
وجدنا بها في كلّ موقع لحظة | مجالاً لأقصى بغية المتعشق
فما شِعب بَوّانٍ ونهرُ أُبُلّةٍ | وصُغدُ سَمَرْقندٍ وغُوطةُ جِلّقِ (١)

(١) جاء في هامش الصفحة في الأصل ما نصه : « قال ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) : بوّان بالفتح وتشديد الواو والف ونون في ثلاثة مواضع أشهرها وأسيرها ذكراً شعب بوان بأرض فارس بين ارّجان والنوبندجان وهو أحد متنزهات الدنيا . . وقد ذكر المتنبي هذا المكان في شعره فقال :

منازل لم يزل منها خيال | يشيعني الى النّوبندجان

وهو من قصيدته في « شعب بوّان » .

قال المسعودي : وذكر اختلاف الناس في فارس فقال . ويقال ، انهم من ولد بوّان بن إيران ابن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام . وبوّان هذا هو الذي ينسب إليه شعب بوان من أرض فارس وهو أحد المواضع المستنزهة المشهورة في الدنيا بالحسن و كثرة الأشجار وتدفق المياه و كثرة أنواع الأطيار قال الشاعر:

فشعب بوان فوادي الراهب | فثَمّ تُلقى رُحُل النوائب

وقد رُوي عن غير واحد من أهل العلم أن متنزهات الدنيا أربعة مواضع : غوطة دمشق وصغد سمرقند وشعب بوان ونهر الأبلّة ، قالوا : وأفضلها غوطة دمشق ؟ الى هنا كلام ياقوت . قال الثعالبي : كان الخوارزمي يقول : رأيتها كلها وكانت غوطة دمشق أطيبها وأحسنها وأما نهر الأبلة فهو بالبصرة وحواليه ميادين النخيل والأترج والنارنج وسائر الأشجار وبينها من سائر الزروع وأنواع الخضر ما لا منظر أحسن منه وعليه من القصور المتناظرة والأبنية الرابضة ما تنحسر عنه العيون وتهش له النفوس ، قال : وأما صغد سمرقند ، فان قتيبة لما أشرف على الجبل قال لأصحابه : شبهوه فلم يأتوا بشيء ، فقال قتيبة : كأنه السماء من الخضرة وكأن قصوره النجوم الزاهرة و كأن أنهاره المجرة فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من صدقه وإصابته.

سوى أعينٍ وهي السواد لعينها إذا ما زهت ما بين غوب ومشرق
رياضٌ بها للورْق كلُّ مرنّةٍ تُخير من أشجى الغِناء وتنتقي
تجاوبها أخرى ليجتمعا مَعاً على غُصُنٍ نَضْرٍ ونهرٍ مصفّقِ
كما اجتمعا يوماً على الزير قينتا يزيد بلحن مطرب وسْط جَوْسَقِ (١)
وذوبُ لُجينٍ للغديرِ خلالها على درٍّ حوليّ الحصى متدفق
يَطِنُّ على آذاننـا من ذبابه أرانين عودٍ في يديْ متشوقِ
ومقتبل للعيش فيها قطعته رقيق حواشي البُرد أرغدَ مورِق
يذكرني عهداً تألّق بالحمى وفينان عيشٍ بالأحبة مورق
هرقنا به للزِقّ في ريّق الصبا نجيعَ سُلاف البابليّ المعتق (٢)
يدور بها للشَرب كُلُّ مقرطقٍ لغوبٍ بأطراف الحديث المنمق

(١) قينتا يزيد : هما : حبابة وسلامة ، المضروب بهما المثل في جودة الحسن والغناء ، قال الميداني في مجمع الأمثال : « ألحن من قينتيْ يزيد ، يعنون لحن الغناء والمثل من أمثال أهل الشام ويزيد هذا هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وقينتاه حبابة وسلامة وكانتا ألحن من وجد في الإسلام من قيان الغناء ، واشتهر يزيد بحبابة حتى أهمل أمر الأمة وتخلى بها . » اﻫ ، هذا ما جاء في هامش الصفحة في الأصل .
والجوْسق : القصر . الجمع : جواسق وجواسيق .
(٢) الزِقّ : وعاء الخمر ، والنجيع : الدم . والسُّلاف : عصير العنب ، ويريد بها هنا : النجيع : الخمر . والسلاف : الخمر أيضاً .

مخصّر ماتحت [الوشاحين] أهيف تمنطق بالألحاظِ من كلّ مُحْدِقِ (١)
شبيه الدمى لكنَّ حلو حديثه يمزق بالألبـاب كلَّ ممزق
منيع الذرى بَشّ الأسرةِ ناعم تبسّم عن عذب الغرو بين مشرق
تعاقرها منه الندامى بمنزل مفاض رداء الخصب رحب مُسَرْدَق
معتقة عذراء من عهد قيصر تكنفها في الدنّ نسجُ الخدَرنق (٢) [١١٥]
فلما أبانَ الصبحُ عن عِقْدٍ أنسهم تراجعْنه بالحلّ أيدي التفرّق
ولم يبقَ في الألباب سحرٌ وإنّما لألحاظه من سحر بابل ما بقي
وما العيش إلاّ خِلْسَةٌ ثم ينقضي على عَجَلٍ كالبارق المتألّق

وقال مادحاً :

سقى الله أيامَ العذيب وبارقه وحيّا زماناً مرّ في ظلّ وارقه
ومقتبل للعيش طلّق جبينُه مفاض رداء الخِصب نامي حدائقه

(١) بين معقوفين في الأصل (الوساحين) بالسين . ومعنى البيت أخذه من قول المتنبي :
وخَصْرٌ تثبت الأبصـار فيه كأنّ عليه من حَدَقٍ نِطاقا
ومنه يقول ابو العتاهية :
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهنّ له دون النطـاق نطاقُ
(٢) قيصر : هو في عرف العرب ، امبراطور بيزنطية ، ولعله يريد به : قيصر (يوليوس) (Cesar) / ١٠٢ - ٤٤ ق . م) من كبار قواد روما والخدرنق : هو العنكبوت .

هرقنا به للزقّ في ريّق الصبا   نجيعَ سُلاف البابلي وعاتقه[1]

وروض له من عنبر الشحر مندلٌ   رطيب ومن دارَين نشْرٌ لناشِقه[2]

بكرناه حيث الجوّ ينشي مطارفاً   على الشمس دكني فوق مخضرّ باسقه[3]

وحيث سقيط الطلّ ينثر دمعَه   على وجنتيْ ورد الرُبا وشقائقه

وحيث الغدير الطلّق يخفق متنُه   كقلبِ مُريب خائف من روامقه[4]

وحيث جرى ما بين درّ فواقعٍ   ودُرّ من الحصباء منسابُ دافِقه

وحيث الغصون المائسات تعانقت   عناقَ مشوق بَعْدَ بُعدٍ لشائقه

---

(١) جاء في هامش الصفحة في الأصول مانصه :

« قال الفيروز ابادي في كتابه « الجليس الأنيس » السلاف والسلافة هما من الشراب ، قال الجوهري : السلاف ماسال من عصير العنب قبل أن يعصر وسلافة كل شيء عصَرْتَه ، أوله قال : كسلاف كمثل ذوب العقيق ، وقال الفرزدق :

ولا زاد إلا فضلتان سلافه   وأبيض من ماء الغمامة قرقف » اه

وقد تكرر ورود هذا البيت في القصيدة السابقة .

(٢) عنبر الشحر : الشحْر : فرضة بالبحرين يضرب المثل بجودة عنبرها ، ودارين : موضع بالشام ، وقد تقدم كثيراً تفصيلها .

(٣) ينشي : مخففة من ينشىء .

(٤) الروامق : النواظر .

وحيث خطيب الدَوْح يشدو بمنطقٍ   كمنطق قُسّ عند هدر شقاشقه[1]

وحيث تنازعن الأماني نفوسنا   وكل بعيد قد تدانى لوامقه

فظلنا بيوم لا نرى البؤس عنده   نجرّ ذيول النُعم تحت سرادقه

كظلّ السَريّ بن السريّ محمد الأمين حليف الفضل حاوي طرائقه

وحسبك من شهم إذا ما تهلّلت   اسرّتُه أوفت بنشر حقائقه

كريم لو أن البدر ساواه كاد أن   يعود هلالُ الشكّ في عينِ رامِقه [116

فأفعالُه تقضىْ بحُسْنِ صفاتِه   وأخلاقُه تقضي بطيبِ خلائقه

وأقصىْ منى العانين طوعَ يمينه   وارقىْ مدى الغايات مجرى سوابقه

له همةٌ أربت على كلّ مُبرمٍ   صريمة شأو ثابت العزمِ صادِقه

فيامن غدت أوصافه الغر تردري   بنشْرٍ فتيق المِسْك من كف فاتقه

إليـك بها بَهنانة عبقرية   تهادَى بروض زاهر الزهر فائقه[2]

أتت ترتجي منك القبول تفضلاً   ودم راقياً في العز أعلا شواهقه

---

(١) قس بن ساعدة الايادي .

(٢) تكرر ورود هذا البيت في قصيدة سابقة .

وقال مادحاً المولى عبد اللطيف أفندي الشهير بأنسي (١) ، لما كان قاضياً بدمشق .

تَنبهتْ في الروابي نَسْمةُ الفَلَقِ ترجي تباشيره من جانب الأفقِ

وهينمت في ميادينِ الرياض على رقراقِ طلٍّ بجيدِ الغصن متسقِ

فأعمد الى خِلَسِ اللذاتِ مبتكراً واغنم غضارة عيش بالمنى شرِق

بمخطف الكشح مجدول الشوى غَنِج مُنَعّس الطّرفِ معسول اللَّمى عَبِق (٢)

ورفِّهِ السمعَ مُرتاحاً بمغتردٍ من البلابلِ للألبـابِ مسترق

يحكي أهازيجَ ما أبقى الغريض وما صاغ ابن جامع في الألحان من طُرقِ (٣)

(١) لم أقف له على ترجمته .

(٢) مجدول الشوى : مستقيم شعر الرأس ، متسق ، والشوى : جمع شواة : جلدة الرأس .

(٣) الغريض : من مشاهير المغنين في العهد الأموي وقد تقدم ذكره كثيراً . وابن جامع : هو اسماعيل بن جامع السهمي القرشي ، أبو القاسم ويعرف أيضاً بابن أبي وداعة : من أكابر المغنين الملحنين كان أحفظ الناس للقرآن ، متعبداً ، كثير الصلاة ، يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء . ولد بمكة ، وضاق به العيش فانتقل الى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته فرحل الى بغداد واتصل بهارون الرشيد فحظي عنده ، وكان من أقران ابراهيم الموصلي إلاّ أن هذا يزيد عليه الضرب بالعود . راجع الأعلام ج ١ ط ٢ ص ٣٠٦ ، والأغاني ج ٦ ط دار الكتب ص ٢٨٩ ، والبداية والنهاية ١٠ ص ٢٠٧ .

فطال ما نبّهَ الروضُ الأريضُ لنا جَفناً بهينمة الأنفاسِ في الغَسَقِ

وفتّحَ النورُ أحداقاً بلا هُدُبٍ صيب بمنهلّ أجفان بلا حدق

كأنهنَ يعاليلٌ منكّسةٌ ... تمزقت بارتجاسِ الريح في الورق (١)

سرى يجمّشُ من شَجَرانِها قُضُباً حتى وهي حليها المنسوق في العُنُقِ

ينساب تحت بصون اطبقت حبلاً من الجباب على رضراضه القَلَقِ (٢) [١١٧]

تحكي نصاعة خديه إذا التهبا من الخفارة بدراً لاح في شَفَقِ

واقبل الوردُ من برْعُومِهِ عجلاً يبدي لنا فوقَ ريّا نشرهِ العَبِقِ (٣)

دراهما من يواقيتٍ على قُضُبٍ تراكمت تحتَ دينارٍ على طَبَقِ

وقد أحاطتْ لرقصِ الدَستَبَندِبها من الزبرجد حيتان من الورق (٤)

واطلع الياسمين الغضّ حينَ بَدا دُرّاً يفوح بنَشْر منه متفق

كروبجاتٍ صغارٍ سالَ في لُمَعٍ من أفقها ذائب الياقوت بالشَفَق

ونرجسُ الروض قد حيّا بمضعفه في أصفر فاقع مَعْ أبيضٍ يقق

(١) اليعلول : الغدير والسحاب أو المطر . ارتجاس الريح : اضطرابها .

(٢) الجياب جمع جيب ، و (حبلاً) من الحَبَل .

(٣) البرعوم والبرعم والبرعمة والبرعومة بضمهن : زهرة الشجر قبل أن تنفتح . اعتباراً من هذا البيت وما بعده من الأبيات وردت في ورقة أخرى ، تفصلها ورقة عن بدء القصيدة وذلك في نسخة المجمع المصورة ونظن أن هذا من خطأ الناسخ .

(٤) ورقص الدستبند معروف للعجم ، يأخذ بعضهم بيد بعض ويقال له : الفَنْزج بفتح الفاء . » اهـ هذا نص ما جاء في الأصل .

كأنه وهو في قضبٍ منعمة   يلقي النسيم عليها نفس معتنق

أمشاط درٍّ من الأبريز في جَمٍ   جُعْدٍ فما بين مجموع ومفترق (١)

هذي خلائق ما حاكَ الربيعُ وهل   لغيرانسي حكى ياصاحِ من خلق

فما بدا فيه من روض ولا زهرٍ   وشاق إلاّ بلطف منه مسترق

شهم لو أنّ الثريّا من مواهبهِ   لفرقتهـــا اياديه على الأفق

إذا انبرى فهمُه في حلّ مشكلة   أزرى بفعل الظبا الهنديّة الذَلِق (٢)

أو فاه دان له الغصّان في كَلَمٍ (٣)   ابهى من الروض غِبّ العارضِ الغدق

ودان قُسٌّ لما يبديه من فِقَر   تكاد تنسق في اللبّات والعُنُق

تشابه الرصفُ من عقيانها وزرى   تلاحم النسج بالديباج والسرق (٤)

يرقرق البحر في أعطافها أبداً   ماء السلامة لا ينفك عن نَسَق

وافى دمشق فأمست وهي في دَعَةٍ   كأنّما انتاشها من لُجّةِ الغَرَق

وحلّ بالطائر الميمون ساحتها   ركابه فوق هام العزّ والحدق

(١) الإبريز : الذهب الخالص ، والجم (محركة) : الكثرة من كل شيء .

(٢) يريد بالظبا الهندية الذلق : السيف القاطع ، والهندية : سيوف مشهورة تنسب الى الهند .

(٣) الغصان : فاعل من الغصص ، والكلم : محركة : الكلمات .

(٤) العقيان : الذهب . السَرَقة : قطعة الحرير ، جمعها : سَرَق .

وقد اجدّ لنا في كل جارحةٍ   شكراً فما بين منثور ومنتسِق [١١٨]

ملأى هناك حلاً من بعد مرتحل   في منزل بضياء الشرع مؤتلق (١)

وهاكها من خبير القول سابغة   فكل عنها حبيك البيض والحلق

ذرت على سحر هاروت فراوزها   ربعية الوشي قد جاءت على نسق

تاهت بمدحك لما افتر مبسَمها   عن غر أوصافك المسكية العبق

فهي التي صيرتها روضة أُنفاً   يهفو لطيب شذاها كل منتشِق

وجهتها لعكاظ الشعر في خجل   كأنني رحت أهدي النجم للأفق

وما تريش جناح الحظّ من أدب   علياك إلاّ ويلفى غير ملتحق

وقال قدمه الله برحمته :

بسَفْحِ الصالحية قد نَزَلْنا   بقصْر بين مُلتَفّ الحدائِقْ

تناغَت بيننا الأطيارُ حتى   تبين بيننا من كانَ عاشِقْ

ورقّ لنا الأصيلُ به وراقَتْ   جداوله وذيلُ الريح خافِقْ

حننتُ به إلى سكنى وزرّتْ   عليه جوانحي فرز البنادق

فلا أنسى عشيتنـــا وإلفي   حضور بيننا والحبّ صادقْ

يسارقني بألحـــاظ مراض   فديتك يا أميري من مسارقْ

(١) هذه الأبيات تكملة للقصيدة التي رفعها الشاعر الى عبد اللطيف الشهير بأنسي ، وقد جاءت في الأصل في الصفحه (٧٠) . وفي نسخة الجمع أيضاً .

ويشرقُ منه في عينيّ بدرٌ   على غُصُن تثنّى في القراطق(١)

ولا أنسَ عشية قيل شُدّوا   على خيل الهوى والشوقُ سائقْ

تعالوا في ميـادين التصابي   لنتلوا بيننا من كانَ سابقْ

فمنـا محرز للسبق طلقٌ   هنـاك وآخرٌ وانٍ ولاحِقْ

ولي في حبّ من أهواه سَبْقٌ   تقصّر عنه غايات السوابِقْ

وقال عمه الله بسحاب الغفران :

بكرت عليّ نوازع الأشواق   وتنازعت أيدي الغرام وثاقِ

من صوت هاتفةٍ يبرح نوحها   في الواديين بقلبي الخفـاق

باتت على فنن تناوح أختها   اثر الهـديل بأنة المشتاق

فذكرت ألافي وقد شحطت بهم   نجب الفـلاة وآذنوا بفراق

في قسوة تستل عند وداعهم   قلباً يعلل في يد الاشفاق

يا ناق روحي يوم وشك فراقهم   وقف الزفير بها على الأرماق

وقال عامله الله بخفي الطافه :

ما أصبح الروض مطوياً على العبق   طيباً ولا الفخر منشوراً على الأفق

إلا ليحكيك في نشر الفضائل ذا   يوم الفخار وذا في الخَلق والخُلُق

(١) القراطق : جمع قرطق .

طيباً لها من حُلىً تذكو ومن شيم   نافت على الروضة الغناء والفلق

مكاسر عنبريات الشذا ويد   بيضاء تندى وشأو غير ملتحق

قلدت منها العلا عقداً يزين كما   زانت حلى عقدها الحسناء بالعنق

وقال كفاه الله شر موقفه :

اقول لظبي مترف متـدلل   لعوب بألباب الورى حين يطرق

لك الحسن لا بل، إن في الحسن نسبة   اليك غدا من أجلها الحسن يعشق

فهلا أجت الطرف بعض زكاته   فكانت لك الحسنى بما تتصدق

فقال : وهل يوما تباح زكاته   لطرفك عندي وهو يزني ويسرق

فرفّـعَ نحوي طرف نشوان طافح   ينعس من أجفانه حين ينطق

وقال في زهر القرنفل :

كم حبانا زهر القرنفل خدا   وعبيراً له النفوس مشوقه

وأرانا من الزمرد للأورا   ق منـه حواجباً معشوقه

فوق سوق من النعيم نشاوى العطـ   ـف صفراً أعناقها ممشوقه

وقال عفي عنه في العذار :

دب العـذار بخده   حتى تكامل واتسق

قالوا تعذر قلت قد   راقت محاسنه ورق

والورد احسن ما يكو   ن اذا تمازج بالورق

وقال عامله الله بلطفه :

مال نحوي بعطفه[1] الاشفاق   فتلقيته بفيض المآقي
غُصُنٌ كلما ارجحنّ به الدل   تشاغلت عنه بالاطراق
نزعت في الهوى اليه بقلبي   نزعات تذكي لهيب احتراقي

وقال رحمه الله :

عشقتني يا فاتني بالغنا   وكنت من قبل له عاشقا
يا ما أحيلاه وأشهاه من   فيك إذا رحت به ناطقا[2]

* * *

(١) هكذا ورد : والأصح بعطفة (مع التاء المربوطة) ليصبح هناك مضاف ومضاف اليه .

(٢) هذه المقطوعة وما قبلها في هذه الصفحة وسابقتها نقلتها عن نسخة الديوان المصورة المحفوظة في مكتبة المجمع العلمي العربي تحت رقم ١٩٢ .

حرف الكاف[1]

وقال نوّر الله ضريحه :

غضارةُ عيشٍ ما أعانيه أم ضنْكُ   ففي لحظِه السِّلمُ الرغيبةُ والفتْكُ
أبيتُ وحظُّ القلبِ من فتكاتِه   بكاءٌ وحظُّ الطرْفِ من سلمِه الضحكُ
وتسعدني يوماً من الدهر بغيةٌ   وفي الأذن يوماً من أنامله عَرْكُ
وهاتفة في الأيك تندبُ إلْفَها   أضرّ بها للبين في إثره وشْكُ
شكوتُ إليها بعضَ ما بي جهالةً   فصادفتها مما شكوت لها تشكو

وكتب في صدر رقعة أنفذها لبعض أحبابه من بني الغزي يطلب تاريخ النجم[2] بقوله :

تِرْبَ الخطابةِ والمجادةَ   والعُلا بجميلِ عَهْدِكْ
وبطيبِ ما جنحت لها الخُلصا   ء من إحرازِ ودِّكْ

(١) وقد جاء حرف الكاف في الورقة (٧٠) في الأصل .

(٢) لعله يريد بتأريخ النجم : تاريخ السيد بدر الدين محمد ، (١٤٩٩ م/ ١٥٧٧ م) الأديب المؤرخ الدمشقي المعروف ، له من الآثار : « المطالع البدرية في المنازل الرومية » .

مكّنْ لواحظَ مُقْلةِ المشتا ... قِ من تاريخِ تَجدُّكْ

وقال سامحه الله في النسيب :

حسبي نفارك عُذْراً من تجافيكِ ... يا ظَبْيَةً بجميع الناس أفديكِ

ولم أشكُ بأني منكِ في خَلَدٍ ... وقد أبى اللحظ إلاّ في تَشكيكي

قد تنظر العين عن حبٍّ وتنكرهُ ... وفي الفعائِل ما يقضي ليديكِ

* * *

حرف اللام

كتب للمرحوم شيخ الإسلام ومفتي الأنام يحيى أفندي المنقاري (١) مؤرخاً ختان ولده وأنفذها لحضرته السامية وهي :

مولاي صدر الموالي ... وشمس أفق المعالي

ومن على لبّةِ الديـــنِ منه عِقدُ لآلي

وتحت عاطفة الملــكِ منه أبهى جمالِ

ومن على مسمع الشر ... ع منه أصدق فال

يكاد يُحيي به العَدْل ... في العصور الخوالي

ليهنَ عينك (٢) طُهْرٌ ... يفضي لأحسن حال

قد راح شبلك منه ... ذا بهجة واختيال

---

(١) هو الإمام العامل السيد يحيى بن عمـــر المنقاري الرومي شيخ الإسلام وعلامة العلماء الأعلام ، ولي القضاء بمصر سنة ١٠٦٤ ﻫ ثم أعيد اليها ثانية ثم ولي قضاء مكة المكرمة ، ثم ولي قضاء قسطنطينة وقضاء العسكر بـ (روم ايلي) . ثم ولي منصب الفتيـــا في شهر ربيع الأول سنة ١٠٧٣ ﻫ ، وتوفي في سنة ١٠٨٨ ﻫ ودفن بـ (اسكدار) . خلاصة الأثر ج ٤ ص ٤٧٧ .

(٢) وردت في الأصول التي بين أيدينا « عليك » وهذه مخالفة للقصد والأصح « عينك » كما ترى .

حليتُ منـه حساماً   فعاد زاهي الصّقال

ورعتـه بأنتقاصٍ   وذاك عين الكمال

مشتراً منـه ذيلاً   الى رهان المعـالي

وما اليراع بمُغنٍ   إن لم يُقطّ بحال

وليس تُبرى غصون   إلاّ وعادت عوالي

ولا استقامت نِصالٌ   إلاّ بحتّ نبال(١)

والشمع بالقطّ يزدا   دُ نوره المتلالي

وربّ تقليم ظُفر   قضى بطيبِ الخلال

يا من اليـه بحق   يعزى كريم الخصال [١١٩]

ومن به كلّ صَدْرٍ   من المحـافِلِ حال

ملاك ربّي منه   فَهْمَا عديمَ المِثالِ

فسوفَ يَبدُرُ منه   للمجدِ أسنى هلالِ(٢)

وهاكما بنتَ فِكْرٍ   أعيذه من كَلالِ

جاءت بتأريخ حُسْنٍ   في ضمنِ بيت جَمالِ

---

(١) نِصال : جمع نَصْل : السيف ، الرمح ، السكين .

(٢) يبدر : يطلع .

بشراك أسعد طهر   زاكٍ بأسعد حالِ

وسوف يثمر غَرْساً   في غبطة واقتبالِ(١)

لا زلتَ بالفضل ترقى   الى أعزّ منالِ

ودمتَ في ظلّ عيشٍ   رغـد وأنعم بالِ

وكتب في صدر مكتوب أرسله للمرحوم قدمي زاده نقيب الأشراف بالممالك العثمانية :

بَرِحَ الخفاء فما لجدّك مُعْملُ   إلاّ الجناب الأوحدُ المتفضّلُ

هو ذاك الشهمُ الحريْ بكلّها   فتق الثناء به وفاحَ المَنْدَلُ

صدرُ النقابة من سَرَاةِ بني العلا   عوني وعدّتيَ الفريدُ الأكملُ(٢)

مولاي ياقُسّ البلاغةِ والذي   من دونه زيدُ البيانِ ودَغفَلُ(٣)

---

(١) الغبطة : المسرّة ، أو تمني حالة على أن لا تحول عن صاحبها .

(٢) السّراة : جمع سري : الشريف الكريم .

(٣) قُس البلاغة : يريد به قس بن ساعدة الايادي ، وزيد البيان : يريد به زيد بن الكيّس النمري : أحد نسّابة العرب المشهورين . ودغفل : هو دغفل بن حنظلة السّدوسي : عاش في القرن (٧) م من بني شيبان كان أعلم أهل زمانه بالأنساب ، أدرك الإسلام ، وفيه وفي زيد قال الشاعر :

حكّتم دغفلاً وارحل اليه   ولا تدع المطيّ من الكلال

أو ابن الكيّس النمري زيداً   ولو أمسى بمنخرق الشمال

ان الولاء بمثل عبدك منجبٌ   والسعد ان والاه منك تقبُّلُ
مولاي اني في ذمامك فاحتكم   هل غير ذا يرتاد من يتوسّلُ
إن عمّني دخل الجناب فخارجي   متحقق والسعد نحوي مُقبلُ
وعلام أحرم والفصاحة لم تزل   أبداً عليّ غصونها تتهدّلُ
رحماك بي فالسيل قد بلغ الزبى   مني وافضي بي اليك الموئلُ
ما كنت ان أشقى وربعك مخصب   أبداً ولا أظمى وبابك منهلُ [١٢٠]
ولديك ظِلٌّ للمكارم وارفٌ   تندى أراكته وروضٌ مُخضِلُ
طوقتني بَدءاً فرشني ثانيـاً   إنّ القلائدَ بالملابس تجملُ
أنا ذلك الغرِّيدُ أروضَ جانبي   فأزدانَ منّي بالثنـاء المِقوَلُ

وله من أبيات مدح بهـا عبد الرحمن أفندي زيرك زاده نقيب الممالك العثمانية :

لقد طالَ سعياً للصَبا بالرسائلِ   ولم يأن من عهد الصِبا عهدُ آمِلِ
ليالٍ بها باتَ الحبيبُ مُجالسي   وطير التهاني صادحٌ في المنازلِ
وسرّ الدجى مرخىً على الأفقِ حالكٌ   وترديدُ ألحانٍ وصوت عنادلِ
وطاف يديرُ الكأسَ طوراً وينثني   رَشا ما له في حُسْنِه من مُماثلِ
فأبصرتُ فجراً من ثناياه طالعاً   وشمسَين من راعٍ ووجه مناول

وأعطافه ما سَمْهَريٌّ مُنازِلٍ   وألحاظه ما هندوانيٌّ باسِلِ (١)
كأنّ عذاراً منه جاوز خدّهُ   غبوقٌ ورودٍ في الضحى والأصائلِ
وباتَ على نحر الرباب ونثيرها   يحكّ جلابيبَ التهاني لرافلِ (٢)
وتستنطق العيدان طوْراً أناملٌ   كأفلاذ عاجٍ من خضيبٍ وناصلِ (٣)

ورأيت بخطه ما صورته : وارتجلت في بعض الأيام ، لمناسبة جرت في مساق الكلام ، حيث الزمن ربيع ، والعيش مَريع ، والخاطر مطواع ، والقلب غير مراع ، ما هو إلاّ من قبيل تجريب الخاطر ، وتنبيه الفكر الفاتر ، فقلت :

صَحَّ واني نسيمنا بأعتلاله   وتبدّا ربيعنـا في اقتباله (٤) [١٢١]
وجلت جِدّةُ الرياضِ علينا   غُرَرَ الزَهْرِ فوقَ خُضْرِ تلاله
وأملّتْ في الدَوْحِ مستحِراتُ الطـ   ـير لحنَ الغَرِيضِ في أرماله (٥)

(١) السمهريّ : الرمح الصلب ، المستقيم . والهندواني : السيف .
(٢) يحكّ : أظنها محرفة عن يحوك ، والمعنى بالأخيرة أليق وأقوم ، والجلابيب : جمع جلباب : الثوب . ومنه قول أبي الطيب المتني :
مَن الجآذر في زي الأعاريب   حُمرَ الحلى والمطايا والجلابيب
(٣) الأفلاذ : القِطع من الكبد ، والخضيب : المطلي بالخضاب ، والناصل : الخالي من الطلاء .
(٤) النسيم الواني : الرخيم الهبوب ، من ونى يني ، وتبدا : بدا .
(٥) الغريض : مغن مشهور في العهد الأموي وقد تقدم ذكره كثيراً ، والأرمال جمع « رَمَل » وهو نوع من الغناء القديم .

بعدَ ماردّدتْ لمعبـد اهزا   جاً بضربٍ موقّعٍ في اعتداله (١)

فأقِمْ رسمَ أُنسنا واقترف من   روضنا المستجدّ طيبَ خلاله

بكؤوسٍ من المُدام على تَرْ   نام أطياره ومسرى شَماله

ودعِ الزيرَ في مُطارحة البمّ   يَحثُّ الكؤوس تحت ظلاله (٢)

واقترعها من كفّ أحْوَرَ احْوَى   ناعسِ الطرفِ يستبيك بخاله

نازعتنـا أعطافه نشوة الرا   ح وخدّاه عندمي جرياله (٣)

ينثني والدلال يقطر من عِطـ   ـفَيْه أحبب بعطفه ودلاله

إنْ رنا أرشق الندامى بلحظٍ   تتداعى قلوبهم لنباله (٤)

قل من فوق قده اللّدن بدراً   لا يراه المحاق بعد اكتماله

خَنِثُ المتنوى رخيمُ المباني   جال ماءُ النعيمِ في أوصاله

عوّدته العيدان من أعين الشَر   ب إذا ماس في برود جماله (٥)

---

(١) معبد : مغن مشهور أيضاً في العهد الأموي وقد تقدم ذكره كثيراً ، واهزاجا : ضرب من الغناء .

(٢) الزير والبم : من أوتار العود قديماً ، وفي الأصل جاء الصدر هكذا : « ودع الزير في طارحة البمّ » ..

(٣) العندمي : ما نُسب الى العندم : وهو خشب نبات يُصبغ به ، والجريال : من أسماء الخمر .

(٤) رنا : أدام النظر في سكون .

(٥) الشَرب : جمع شارب .

بأرانين اربع ركبتْ من فو   ق جوف سرارها في خلاله

تشغل المرءَ عن مداركِ خمس   برجوع لواحـد بكماله

يا ندامايَ (١) صفّق الجدولُ الطلْـ   ـقُ ارتياحاً لغصنه واعتداله

فهلموا الى غضـارةِ عيش   مستلذّ البكور مع آصاله

وأعيدوا الوجد القديم فقد حا   ن اوتكاض طوع المنى في مجاله

قد تداعت إلى التصابي نفوسٌ   نزعت نحوه بذكر خِصـاله [١٢٢]

وأسْتجدّوا نظمَ القريضِ اقتضاباً   في معاني أيامه وليـاله (٢)

فلعمري أشهى القريضُ إلى النفـ   ـس ولوعٌ بذكر عيشٍ مِثاله

ولعمري إنّي المُبرِّزُ في القو   ل إذا ما علا مناط منـاله

وإليّ الأسجـاع ثم القوافي   وافتراع الأبكار يوم نضاله

وإلى فكرتي [التبدُّه] والتمليط   في الشعر مَعْ صحيح ارتجاله (٣)

أُحكم النسجَ حين انتخب الد   رّ ابتكاراً بصيده واعتقاله

صاحبيّ الغداةَ هبّا فقد حانَ   نزوعٌ للعيشِ بعـد اكتماله

---

(١) وردت في الأصل « ندامى » والأصح « ندامايَ » كي يستقيم الوزن .

(٢) الأصح أن تكون (لياليه) بتثبيت الياء وحذفها هنا لضرورة الشعر غير جائز .

(٢) بين معقوفين بياض في الأصل وفي نسخة الجمع « التبدُّه » من بده وباده أي ارتجل . والتمليط : من ملّط ومالط إذا قال الشاعر نصف بيت وأتم البيت شاعر آخر .

ليس شأن النديم في الحق أن   يضربَ كشحاً عن ذاك مع إغفاله

فلعمري[1] السرور أقصر من أن   يتمادى في وزنه واكتياله

ومدحه المرحوم الأمير الخطير منجك[2] باشا بقوله :

إنّ عبدَ الرحمن مولى المعالي   وعـديمُ النظير والأمثالِ

قدحوى الفضلَ لم يدع منه شيئاً   لسواه إلاّ خيـال الخيالِ

سيّدٌ وابن سيدٍ وحسيبٌ   من حسيبٍ مقدّس الأفعال

ان تذكرت عنه تأخير مدحٍ   قلت ما قيل في الزمان الخالي

ما تشككتُ في الزمان ولكن   غَلَطي كانَ في اختبار الرجال

إن قدرَ الكرام ذكر جميلٌ   ليس يبلىٰ وكلُّ شيءٍ بالِ

فأجاب رحمه الله عنها بما مثاله :

إنّ شعرَ الأمير بدر المعالي   وشقيق الندى وفرد الرجال[3]

نحنُ منه في روضةٍ وغـديرٍ   وشمول كرخيّة وشَمالِ[4] [١٢٣]

(١) أضيفت الياء هنا ليستقيم إعراب البيت وكانت : فلعمر .

(٢) مرت ترجمة الأمير الشاعر منجك باشا قبل قليل . وله ديوان مطبوع وآخر مخطوط (وهو غير المطبوع) راجع (ص ١٧٣ — ١٧٤) من الديوان هذا .

(٣) شقيق الندى : يريد أخا الجود .

(٤) الشمول : الخمر . والكرخية : التي تنسب الى الكرْخ ، وهي خمر معروفة . والشمال : ريح تهب من ناحية القطب .

ليس ينفكُّ عن تلاحُمِ نَسجٍ   مُستبدٍّ بكلّ سِحرٍ حلالِ

رقة مَعْ جزالة في انسـجام   رَشَفته القلوبُ رشفَ الزلالِ

نوّهتْ سانحات علياه باسمي   فكسته بُرُودَ ذاك الجمالِ

وأعارته حُسْنَ أوصافِ مدحٍ   هي أولىٰ بعطف ذاك الكمالِ

في قريضٍ أضاع مكنون لبّي   بين ماء الحجى ودرّ المقال[1]

وسمتني الفاظُه الغرُّ بالفضـ   ـل احتواء فلاح لي في الخيالِ

إنه فضلُ كأس فضل تحسّاه   دواء فاستبشرت آمالي

وقال تغمده الله بالرحمة :

ما كلُّ وقتٍ للزيارة صالحٌ   لا سيّما إن كانَ وقت جلالِ

أو غِبُّ حمّامٍ فإنْ تكُ حاذقاً   جُنّبتَها بتعاقبِ الأجيالِ

أو لا فلا تك عاتباً من زرته   في غيرِ وقتٍ صالحٍ بملالِ

وقال متغزلاً :

كم غريرٍ حلو المراشف سا   جي الطرف أضحى قتيلهُ لا يُبلُّ

فيـه للهو واللذاذةِ معنىً   ثم للحربِ منزعٌ مُستقلُّ

ريقُه الخمرُ والثنايا حَبابٌ   قدُّه الرمحُ واللواحظ نَبلُ

(١) الحجى : العقل .

وله في تناثر النَّوْر :

وكأس وندمان وساقٍ وقينةٍ   أقمتُ بهم رَسْمَ السرور المعجَّلِ

لدى ظلّ أغصان تساقط نَوْرها   بتجميشِ أنفاسِ الصَّبا فوق جدولِ (١)

تساقط وشْيٍ عبقريٍّ مكفّرٍ   يُغلل في أقطار ثوبٍ مُصَنْدَلِ (٢)   [١٢٤]

وكتب لبعض أحبابه يدعوه بهذه الأبيات :

قُمْ سيدي شرّفْ بلا مهلة   فلا غنًى للمرء عن خلّـه

وربّ ودٍّ في صميم الحشا   ألزم للإنسان من ظلّـه (٣)

ونحن ممـن هكذا ودّهم   والمثل لا يعدل عن مثلـه

وقال في تضايق العِناق :

زارت على كَيْدِ العِدا خِلْسةً   غَريرةٌ وافت بخلخـالِ

قد صار قلبي بيت تمثالها   وقلبها بَيْتاً لتمثـالي

حتى تعانقنا عِنـاقَ اللقـا   مَعْ فرط تضييق وإقبـالِ

---

(١) النَّوْر : زهر الثمر . والتجميش : الملاعبة ، والصَّبا : ريح تهب من الشرق .

(٢) مكفّر : مرشوش بالكافور ، والمصندل كذلك ، مرشوش بالصندل .

حَسِبْتَنا صِرْفاً لتضييقـهِ   نحنُ وشخصانا على حالِ (١)

وقال مخاطباً بها المولى محمد أفندي طبق زاده لما كان قاضياً بدمشق :

للهِ تحقيق الهمـامِ المولى   إذ جُلتُه في خاطري فاحلولا

فاقَ الأوائلَ فهمُه فتقاصرت   منه الأواخرُ من طريقِ الأولى (٢)

وقال ارتجالاً برّد الله مضجعه :

كم ضمّت التُرباء خلقاً قبلنا   من آخر يقفو سبيلَ الأولِ (٣)

حتى كأنّ أديمها مما حوت   حباتُ أفئدةِ الملوكِ العُدَّلِ (٤)

---

(١) نظر الشاعر في أبياته هذه الى قول ابن عربي :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن شخصـان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرتـه   وإذا أبصرته أبصرتنـا

وأجمل وصف للعناق هو قول العلامـة الصديق المرحوم الأستاذ خليل مردم بك :

لو صبت المـاء ما بينها   لم يكد يخلص من فرط اعتلاق

(ديوان خليل مردم بك ط . المجمع العلمي العربي ، ص ٢١ ، ١٩٦٠ م .

وقول المرحوم شيخ الشعراء اسماعيل صبري :

ولما التقينا قرب الشوق جهده   شجيين ذابا لوعـة وعتابا

كأن صديقاً في خلال صديقه   تسرب أثناء العناق وغابا

(٢) يلاحظ اختلاف الوزن بين أشطار البيتين .

(٣) الترباء : الأرض .

(٤) كأنه نظر الى قول فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة أبي العلاء المعري :

خفّف الوطء ما أظنّ أديم الأر   ض إلّا من هذه الأجساد

والعدّل جمع عادل .

وقال طيّب الله ثراه :

للمرء ما لانَ إحسانٌ وسيئةٌ   كلاهُما من أولي الألباب مقبولُ
ينيل هذا وذا من أهلِه كرماً   وغيره في كلا الحالين معذولُ

وكتب لبعض أصحابه بقوله : [١٢٥]

صُحُفُ الوَفا مني اليك ومنكَ لي   تترى ولكنْ ما لهنّ مَنال
فأحسن بيَ الظن الذي أحسنتَهُ   بكَ من تقلّصَ بيننا الترسال(١)

وقال نوّر الله ضريحه :

ولمّا زارني سَحَراً حبيبٌ   بلطفِ الخطو قد أخفى بحاله
رعى الرقباءَ في مسراه وهناً   إلى أن خِلتُ من أهوى خياله(٢)

وقال غمره الله برحمته :

قَطَّبَتْ وجهها وعبّست الطر   فَ وأرختْ من الدموع لآلي
فانثنى القلبُ مُذْ رآها جريحاً   يتقطر دماً كماء الدوالي(٣)

(١) هذا الشطر ورد هكذا في الأصول التي بين أيدينا وهو كما يُرى غير واضح .

(٢) وهناً : أخريات الليل ، وفي البيت عيب من عيوب القافية وهو الإقواء ، إذ قد جاءت القافية الأولى مكسورة اللام ، والثانية منصوبة اللام .

(٣) الدوالي جمع دالية : الناعورة يديرها الماء ، وهي شجرة الكرم . وجاءت « يتقطر » هكذا في الأصول مجزومة بغير جازم وهذا من خطأ النساخ كما نعتقد .

وقال في الضرب بالجدول من أعمال الحساب :

كأنّ رقومَ الضربِ طيرٌ حوائمٌ   أتتْ تستقي منه وُرودَ الجداول(١)
ألستَ تراهم قد أتاحوا لصيدها   شباكاً فألقتها بكفّةِ حابلِ(٢)

وقال في تشبيه الثريّا :

كأنّ الثريّا وقد جمّعت   كواكبها والضيا مُقبِلُ
فراخُ قِطاطٍ ترومُ الفرا   رَ وقد حام من فوقها الأجدلُ(٣)

وقال باقتراح من طالب ذلك مرتجلاً :

وعصفورة للتوت تشدو موقّعاً   على الغصن إهزاجاً فتأخذ بالعقلِ
إذا ما غدت تزقو حكى لكَ صوتها   صريرَ اهتزازِ التختِ في ليلة الوصلِ(٤)

وقال معمّياً في اسم حمودة :

يا بِرُوحي فارساً علقتــه   خنِثَ التهييفِ مَعسولَ الدلالِ [١٢٦]

(١) الورود : شرب الماء ، من ورد الماء ، ورداً .

(٢) الحابل : الصياد .

(٣) قطاط : لعله يريد بها جمع قطا وهو ضرب من الطير شبيه بالحمام ، ولم يرد هذا الجمع في معجمات اللغة ، والوارد : قطاة : ج قطوات ، وقَطا . وربما قالوا قَطَيات . راجع : اللسان / مادة (قط) والمصباح / قطو ، والصحاح / مادة قط والقاموس ومختار الصحاح والمنجد مادة / قطا . والأجدل النسر .

(٤) تزقو : تصوّت ، والتخت : سرير .

أحرزَ الحسنَ فلما نالَه … قامَ في غاياتِه يدعو نَزالِ

وقال في اسم هاني :

حينَ بانَ الخليطُ وازدادَ وجدي … قلت والدمع في الخدودِ يسيل[١]

يا رسولي إليه روحيَ خذها … منجداً إثره بها يا [رسولُ][٢]

وكتب في صدر كتاب :

ربُّ الفصاحةِ والحصا … فةِ منتهىً شرَفِ العُلا

صدرُ الأماجدِ من حوى … حسن الخلائقِ والحُلى

وله عفي عنه مُوَشّح[٣] :

عهدي بأيامي على النيِّرَيْنْ … تندى وعيشي في ألذّ اقتبالْ

(١) بان الخليط : بعُد الخليل المخالط .

(٢) بين معقوفين في الأصل هكذا [رسولي] بالياء .

(٣) الموشح : فن جديد من فنون الشعر الأندلسي الرائع ، يمتاز بجماله الفني وتعدد صوره الشعرية ، وكثرة قوافيه وأدواره وأوزانه التي تلائم الموسيقى والغناء . ويقال إن أول من ابتدع هذا الفن هو مقدم ابن معافر القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني في القرن الثالث الهجري وهو الذي نوع أوزانها وأدوارها وعنه أخذ أحمد بن عبد ربه المتوفى (٣٢٨ هـ) صاحب العقد الفريد ، راجع / الأدب العربي في الأندلس ص ٥١ ، للأستاذين محمد عبد المنعم الخفاجي ، وحسن جاد حسن ، ومقدمة ابن خلدون ص ٥٨١ .

ياطيبَ ما غنّت على الواديينْ … ورْقُ الحمى ما بين تلك الظلالْ

بالله يا عيش الصبا هل تعودْ … لمدنَفِ القلب حليفِ السُهادْ

ياشدّ ما طالت ليالي الصدود … والشوق قد أورى بقلبي زنادْ

كم ينطقُ العودُ وتلك العهودْ … ولّت بأُنسي مَعْ لذيذِ الرُّقادْ

يا للهوى من ساحرِ المقلتينْ … أبقى بقلبي طيب تلك الليالْ

لمّـــا بدا يخطر في حلتينْ … ويلي على رقة تلك الخلالْ

ما كان اهنا وصلنا لو يدومْ … رقّتْ حواشينا وطابَ الندامْ

أو جَمعتنا في المنامِ الحُلومْ … وما على العاشقِ أن لا يَنامْ

قم سيدي نغتال[١] من ذي الهموم … ونعتلي في الحبِ خيلَ الغرامْ

ونذكر آثارها بَعْــدَ عَيْنْ … وإنما اللذاتُ مثلُ الخيالْ [١٢٧]

فما ترى نحظى من الراحتينْ … باليأس أو بالوصلِ من ذا الجمالْ

* * *

(١) وردت هذه الكلمة في كل الأصول « نقتال » ولا معنى لها هنا وقد رجحنا كلمة « نغتال » من الاغتيال وهي أقرب للواقع .

حرف الميم

وقال عفا الله عنه وأنشدها للعلامة الشيخ محمد البلباني (١) عقب ختمه للجامع الصحيح للإمام البخاري عليهم رحمة الكريم الباري :

أجلّ حديثٍ لا يُملُّ دوامُه ... ويُثمر طيباً للأنامِ اغتنامُه
حديثُ رسولِ اللهِ من هو خا ... تم النبيّينَ مفتاحُ الهدى وإمامُه
محمدٌ المختار أشرفُ مُرسَلٍ ... عليه صلاةُ اللهِ ثم سَلامُه
نبيٌّ غدا للخلقِ خيرَ مُشفَّعٍ ... يَحُفُّ بهم يومَ المعادِ اهتمامُه
أضاء به أفقَ الوجودِ وأشرقتْ ... مطالعُه وانجابَ عنه ظلامُه
له الشَّرفُ الأعلى ومنه التأسُّه ... وعنه اكتساب الفخر وهو سَنامُه (٢)

(١) الشيخ محمد البلباني : هو محمد بن بدر الدين بن بلبان ، فقيه ، محدّث ، حنبلي المذهب ، إمام زاهد وقد أخذ الحديث عنه : الشيخ محمد بن سليمان المغربي / انظر ترجمته في هذا الديوان . بقية السلف ، وبركة الخلف ، خلاصة الأثر / ج ٤ ص ١٣٢ .

(٢) السنام في الأصل : الكتلة اللحمية البارزة في ظهر البعير ، وأخذت تستعار لكل عال رفيع من الأمور .

رَوَتْ هديَه الأصحابُ ثم رُواتُهم ... وسُلسِلَ عنهم ضبطُه ونظامُه
وقامَ بأعباءِ الروايةِ بعدَهم ... سَراةٌ لهم شأوٌ يعزُّ مرامُه
جزا اللهُ خيراً حافظاً بعد حافظٍ ... [وسُنّي] في دار الخلود مقامُه (١)
وقابلَ مسعاة الهمامِ محمـد ... بكلٍّ جميلٍ مونقٍ يُستدامُه
هو البلبانيُّ السريُّ ومَنْ غدا ... يقرُّ بعين النيّرينِ احتشامُه (٢)
فكم بصرته حلية [أشرفيّة] ... فدام على الاخلاصِ منها قِيامُه (٣)
وللسُّنّة الغرّاء أعذبُ موردٍ ... يحق لنا إجلالُه واحترامُه
أُنيطت به بعد الكتاب وأحكمت ... معاقدُ دينِ الحق دامَ انتظامُه
فما روضةٌ غنّاء تندى غضارة ... توالى عليها للغمام انسجامُه [١٢٨]
فجللها نورُ الخمائلِ بعدَ ما ... تَفتّح فيها بالعشيّ كِمامُه
وفاحَ خُزاماها وطاب نسيمُها ... وضاوعَ رندَ الحَزنِ منها بشامُه
بأطيبَ من أردانِ سُنّة أحمد ... وما راح يهدي للنفوس كلامُه (٤)
فروضٌ معانيه ودرٌّ نظامُه ... وصُبحٌ مباديه ومسكٌ ختامُه (٥)

(١) بين معقوفين في الأصل (وسيني) ، وسنّي مقامه : سهل ووفق فيه .

(٢) النيرين : الشمس والقمر .

(٣) بين معقوفين وردت هكذا [أثر فيه] بالثاء ، وفيه ، مستقلة عنها .

(٤) السنة : الطريقة ، ويريد هنا : الشريعة الإسلامية الغراء .

(٥) بين معقوفين في الأصل (ختانه) بالنون .

وقال في المولد الشريف :

خرّ لله ساجداً ليلة الوضع خضوعاً ثم أستوى وأشمّا
وتدانت منه النجومُ جهاراً وتداعى إيوان كسرى فعمّا (١)
وتراءت قصور بُصْرى من أرض الـ ـشام من ضوء نوره مذ ألمّا (٢)

وقال رحمه الله تعالى :

أيا مُهدياً دُرّ القريضِ المنظما ويا ناشراً بُرْداً من الوشي مُعْلَما
بعثتَ لنا كأساً من الودّ مُفْعَماً ودبّجتَ روضاً للغناء مُنَمْنَما (٣)
تراءى لعيني أيّها الصادح الذي ألمّ بعتبٍ كالنسيم مهيمنا
أعدني ألحاناً على سمع مُغربٍ يطارح مرتاحاً على القضب معجما
وشافه بمكنونِ الخطابِ لعلّني أبثّ حديثاً كانَ قبلُ مكتّما (٤)
وأنشر من صحف العتاب وربّما أبحت لطير الوجدِ أنْ يترنما

(١) يشير الى انصداع إيوان كسرى في يوم مولد النبي العربي محمد (صلى الله عليه وسلم) وما زال الصدع الى اليوم فيه .

(٢) بُصْرى : موضع بالشام وقد ذكرها العرب في كثير من أشعارهم قديماً وحديثاً .

(٣) مفعم : مملوء .

(٤) في هذا الشطر التفات لا يخفى إلى بيت ورد في قصيدة البحتري :
أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً . . . الخ

جزا اللهُ عنّا العيدَ خيراً بزورةٍ ترشّفها منك الفؤادُ على ظما
وحيّاه من عيدٍ تسبّبَ باللقا وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعد ما (١)
أتجحدُ في دين الوفاء وتشتكي فيا ليتَ دينَ الودّ كانَ منجّماً (٢) [١٢٩]
فحيّا بمرآكَ العيونَ فإنّه يكون بثاني الحال عيداً وموسما
سمحت بها من بعد فَرْطِ تمنّعٍ فعادَ ارتياحي بعدَ ما كانَ أحجما
وعدتَ إلى ليّ الوفاء مُغالطاً فيا ليته قد كان دَيْناً منجّماً (٢)
وها أنا مُسترضيكَ لا عن جنايةٍ جنيتُ ولكني أراه مُحتّما

وقال سامحه الله تعالى :

الروضُ طلْقٌ والنسيمُ مُهيْنِمٌ والزهرُ بادٍ والربيعُ مُنمنمٌ
والماءُ فُضّيٌ تقلقلُ تحتَـه حَصْباؤه والجوُّ ضاف منجم (٣)
والطيرُ غرّدَ في الغصونِ مرجّعاً أخبارَ من قتل [الهوى] (٤) المتحكم

(١) بعد ما : يريد وقد يجمع الله الشتيتين بعدما تفرقا .. وفي هذا الشطر التفات إلى البيت القديم :
وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كلّ الظن أن لا تلاقيا

(٢) نجّم الدين ، أدّاه وقد كررت هذه القافية خلافاً للقاعدة العروضية .

(٣) تقلقل : أصلها : تتقلقل ، حذفت التاء لضرورة الشعر .
و (ضاف) وردت بالضاد المعجمة في كل النسخ والأصح « صاف » من الصفاء ليتسق المعنى مع كلمة « منجم » أي منقشع الغيم .

(٤) زيادة من نسخة المجمع وبها يكمل الشطر . و « المتحكم » هنا نعت « للهوى »

والدَّوحُ يرفُلُ في مطارف سُنْدُسٍ — وجيوبُه بشذا الأزاهرِ تُفعَمُ
وعلى الأراكِ حمامةٌ ورقاءُ قدْ — قامت بمكتوم الغرام تُترجِمُ
والأُنسُ دانٍ والحدائقُ تزدهي — ولنا حديث كاللآلىء يُنظَمُ
وأغنم لذاذةَ يومنا بغضارةٍ — من عيشه فهو الزَّمان المُنعِمُ

وقال تجاوز الله عن سيئاته :

يا أسعدَ اللهُ المساءَ وأنعَما — وحباكَ بالعَيشِ الرغيدِ مُخيِّما
هذا وقد لبَّت نِداكَ خريدةٌ — قد يممتْ منك الأعزَّ الأكرما[1]
شرُفتْ بلطفِكَ قبلها فأعرتَها — لحظَ القبول تفضلاً وتكرُّما
قَعَدتْ لها الجوزاءُ عند مسيرها — تلواً ونجمُ الأفقِ أصبحَ مِرزَما[2]
فإليكَ نسخة ما سترتَ قصورها — فضلاً ورحت بمدحها مترنّما
لا زلتَ للآدابِ رَوضاً يانعاً — يفترُّ عن مثلِ الجُمانِ منظّما[3]
ما صاحَ قُمريُّ الرياضِ مُغرِّداً — أو راحَ عن سرِّ الغرامِ مُترَجِما[4] [١٣٠]

(١) يريد بالخريدة هنا قصيدته هذه .
(٢) الجوزاء : من أبراج الفلك ، وتلواً : تبيعاً ، المرزَمان : نجمان مع الشعريين ، تابعان لهما . وارزم يرزم أيضاً : صوَّت ومنه صوت الإبل .
(٣) الجمان : الفضة .
(٤) القمري : ضرب من الحمام الساجع .

وقال عفى الله عنه :

يا سائلاً عن نجاح معنًى — للهِ في أمرِهِ القيامُ
[فالحقُّ يعلو وليس يُعلى] — عليه في كلِّ ما يُرامُ[1]
والصدقُ يبقى بغير شكٍ — وغيره ما له دوام
وقُبَّةُ النسر[2] تحتها الآ — نَ فاضلٌ ناسِكٌ إمامُ
يروي حديثَ النبيِّ حقاً — عليه من ربِّه السلامُ
عن سادةٍ كلُّهم سَراةٌ — وكلُّهم قادةٌ كِرامُ
في بقعةٍ للحديثِ صحت — من بعد ما مسَّها السَّقامُ
تمَّ له ختمها بخير — وقاصد الخير لا يُضامُ
والآنَ قرَّت به وطابت — فالمِسْكُ أرِّخْ له ختام

وكان عمَّه الله تعالى بالرحمة والرضوان مع والده المرحوم في بستان بصالحية دمشق وتأخر عنهم هبوب النسيم فجنحوا الى ظل وارف بجانب جدوله المطَّرد التسنيم فرأوه أبردَ مقيلاً من ثغر الحبيب وأشهى موقعاً من غيبة الرقيب فابتدر والده المرحوم السيد محمد النقيب وقال ، وأمرهم بتجاذبِ أطرافِ هذا الارتجال في هذا المجال ، وصورة ما قاله والده أولاً :

(١) الحق يعلو ولا يُعلى عليه : مثل مشهور .
(٢) قبة تقع في وسط حرم جامع بني أمية في دمشق .

صَفا الوقتُ في الدَّوحِ لكنَّه تقلّصَ عنّا هبوبُ النسيم

فلُذْنا بأذيالِ أفيائِه وحافاتِ نَهْرٍ يفي بالنعيم

فقال المرحوم السيد عبد الرحمن :

تَرَدّد من فوقهِ سابِغٌ [فوازره] من حباب نَظيم[1] [١٣١]

وقال أيضاً :

وإنْ مزّقَ الريحُ تلكَ الظِّلالَ فإني بتمزيقِ جيبي زعيم[2]

وقال أيضاً :

ورُحتُ طروباً [بالغصن] يميـس بهينَمَةٍ لصداه الرخيم[3]

وقال أيضاً :

وأوسعَني جيّداً جِيدُهُ كما رُحن تعطو ظباءُ الصريم[4].

وقال الشيخ رمضان العطيفي :

وَنعِمتُ طرفي بأزهارِهِ وسمعي بصوتِ مُغَنٍّ كريم[5].

---

(١) بين معقوفين هكذا جاءت في الأصل . وفزر : تشقق .

(٢) زعيم : كفيل .

(٣) بين معقوفين هكذا جاءت في الأصل وهو محرف عن (غصن) بلا ألف التعريف ، وفيها البيت غير مستقيم الوزن . وكان الأصح « بغصن »

(٤) تعطو : تتناول ، والصريم : الأرض المحصود زرعها ، أو الكدس المصروم من الزرع .

(٥) الشيخ رمضان العطيفي : شاعر معاصر لشاعرنا ابن النقيب وقد تقدمت ترجمته .

وقال والده السيد محمد :

فيا حبّذا إنْ توخيت في مسارحهِ ربَّ وجد وسيم

وقال المرحوم السيد عبد الرحمن :

يُشيحُ لنا السِحْرَ عن طَرْفِهِ فيدنُو بلحظٍ صحيحٍ سَقيم[1].

وقال العطيفي :

يُكلِّمُ قلبي بألحاظِهِ فإمّا تكلّمُ أبرى الكليم[2].

وقال والده السيد محمد :

ويبسمُ عن جوهري الصحاح فأحسبُ أنّ سَنا البرقِ شيم[3].

وقال أيضاً :

وأرشُفُ من فيهِ مشمولةً تواصلُ سُكْري بطيبِ الشميم[4].

---

(١) يشيح لنا السحر : ينشر السحر من طرفه السقيم غنجاً ودلالاً . ووردت هذه الكلمة في نسخة المجمع « يتيح » من أتاح وهي مقبولة هنا أيضاً .

(٢) في البيت تورية رائعة كما ترى ، يكلّم الأولى : يجرح ، من كلّم يكلم ، جرح يجرح ، وتكلم الثانية : نطق ، من الكلام ، والكليم : الجريح .

(٣) لعله يشير الى صحاح الجوهري (اسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري) اللغوي الإمام المشهور المتوفى (٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) ، وهو أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله ، وكتابه الصحاح هذا يقع في أربع مجلدات ، الأعلام (ج ١ / ص ٣٠٩ . ط ٢) . وسنا البرق : لمعانه ، وضوؤه ، وشيم : مبني للمجهول ، من شام يشيم : رأى ، نظر .

(٤) مشمولة : الخمر ، وفيه : فمه ، ويريدُ هنا : ريقه .

[١٣٢]

وقال أيضاً :

وأجعل نَقْلي حديثَ السرا ... ر وشكوى الغرامِ لأوفى غريم (١)

وقال أيضاً :

وأهصر بانةَ أعطافِه ... إذا مالَ نحوي بكَشحٍ هضيم (٢)

وقال المرحوم [السيد عبد الرحمن (٣)] :

وأسمعُ ترنامَ محدودبٍ ... طروبِ الأغاريد شجيِّ النديم (٤)

وقال العطيفي :

تَعَرِكُ آذانَهُ قَيْنَةٌ ... وتحنو عليه حُنوَّ الفطيم (٥)

وقال المرحوم [السيد عبد الرحمن (٦)] :

تكادُ إذا ما شَدَتْ فوقه ... تُعاجِلُ بالروحِ جسم الرميم (٧)

---

(١) نُقْلي ، النُقل : ما ينقل على الشراب من فواكه ونحوها ، والغريم من معانيها : الدائن ، والمديون ، والخصم .

(٢) بانة أعطافه : يريد قوام ، والكشح المضيم : الخَصْر الدقيق .

(٣) بين معقوفين ساقط في الأصل .

(٤) ترنام محدوب : يريد به غناء الحمام الساجع . والشطر الثاني وزنه مضطرب .

(٥) تعرك : تدلك ، ويريد هنا تُسْمع . [وحنوّ الفطيم] من كلام المنازي الشاعر الذي يقول :

نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنوّ المرضعات على الفطيم

(٦) بين معقوفين ساقط في الأصل .

(٧) الضمير في شدت يعود الى (قينة) ، والرميم : البالي .

وقال والده :

فإن تمّ ذاك وهـذا وذا ... أكنْ قد حُبيتُ بلطفٍ عَميم (١)

وقال أيضاً :

وإن سمحَ اللهُ من بعدِها ... لنا بالرضا فهوَ مولىً كريم

قال المرحوم (٢) فلم يك إلا ريثما ثنينا عنان القول وحبسناه حتى وافى النسيم بليلاً واخترق الدَّوْحَ صحيح الجيوب عليلاً فقال الوالد السيد محمد بديهاً :

يا نَسيما كنتُ أنتظِرُهْ

وأمر ولَدَهُ المرحومَ بالإجازة فقال :

كِدتُ منه الماء أعتَصِرُهْ (٣)

جاءنا من بعد ما جَنَحتْ ... شَمْسُنا للغربِ تبتدِرُهْ

---

(١) حبيت : أعطيت ، قال أبو العلاء المعري :

ولو أني حبيتُ الخلد فرداً ... لما أحببتُ بالخلد انفرادا

(٢) يريد بالمرحوم : السيد عبد الرحمن .

(٣) الإجازة : ان يأتي شاعر بشطر بيت ، أو بيت تام ، فينظم شاعر آخر في وزنه ومعناه ما يكون به تمامه . ومنه ما روي عن أبي نواس أنه قال أمام جماعة من الشعراء : أجيزوا قولي :

عَذُبَ الماءُ وطابا

فقال أبو العتاهية من فوره :

حبّـذا الماء شرابا

وقال والده السيد محمد : [١٣٣]

وحبا أهلاً بعرفك إذْ   صحّ من نحو الربى خبرُهْ

وقال المرحوم السيد عبد الرحمن :

لستُ أنساهُ يمدُّ يداً   لقوامِ الغصنِ يهتصِرُهْ

وقال العطيفي :

في نهارٍ قد نَعِمتُ بهِ   ليتهُ لوْ طالَ لي قِصَرُهْ

وقال المرحوم السيد محمد :

مع خلاّنٍ مَطُوليَّ ما   حدثوا يحلو ومختصرُهْ (١)

وقال المرحوم السيد عبد الرحمن :

فهو في الأيام أمتعُ ما   شنّفتْ آذاننا دُرَرُهْ

وقال في الزهر المعروف بالقرنفل :

وجنيٍّ من القرنفل يُبدي   لك عَرفاً من نَشْره بابتسامِ

فوق سوق كأنها من أباريـ   ـق الحميّا مساكبٌ للمُدامِ (٢)

وسُدّتْ فوقها السقاةُ خدوداً   داميات منها مكانَ الفدامِ (٣)

---

(١) البيت نسخ خطأ وهو غير مفهوم ولم نتمكن من معرفة أصله .

(٢) سوق ، جمع ساق ، والحميّا والمدام : اسمان من أسامي الخمر .

(٣) جاء في الهامش ما نصه : الفدام : مصفاة الكوز والإبريق ، وقيل خرقة يشد بها فم الإبريق والقارورة ونحوهما .

وله فيه :

أرى زَهْرَ القرنفلِ قد جُلِيَتْ (١)   قدودٌ ترجحن به قيامُ

اخالُ لو أنها أعناق طيرٍ   نهضنَ به لقلتُ هي النعامُ

توقّدَ زهرُه جمراً لدينا   وتلك لها من الجمر التقامُ

وقال تغمده الله برحمته :

ودَوحٍ يريكَ الطلُّ في جيدِ غصنِه   تراصفَ حباتِ اللآلي في الكرومِ [١٣٤]

إذا اعتنقتْ شجراؤهُ جمعتْ بها   نواويرها الأفواه شوقاً إلى اللثمِ

وله في لاعب النرْد :

ولاعبٍ بالنّردِ أبصرتُه   والزارُ لا يعصيهِ فيما يرومُ

فهلْ ترى يقصيهِ اعداده   وهو شقيقُ البدرِ وهيَ النجومُ

ونظر يوماً في أرقام حسابية في رق لجناب أخيه مكتب مرتجلاً :

لاتني في وضع شَكْلِ الرقَمِ   وأقرع الرقَّ بسنِ القلَمِ

وأجتهد فيه تراه عُـدّةً   قبل أن تقرع سنَّ النّـدمِ

وقال في الضرب بالجدول :

سبحانَ من أبدى رقو   مَ الرقِّ أمثالَ النجومِ

---

(١) هكذا ورد هذا الشطر وهو مختل الوزن ، والأقرب للصحيح أن تكون الكلمة « تجلّت » بدلاً من « جليت » .

وأعانَ إبراهيمَ في تكسيرِ أصنامِ الرُّقُوم(١)

وقد كان أصابه رمَدٌ فنظمَ فيه قوله :

مُذ رأت(٢) عيني وقد رمِدتْ لونَ خديهِ من الألمِ
رامَ يبكيها ورَقّ لها فأتقته من دمٍ بدمِ

وقال عُفي عنه :

دموعيَ لا ما أودَعتْهُ الغمائمُ وشكوايَ لا ما رددتْهُ الحمائمُ
فمَنْ مُسعدي والحظُّ عنّيَ غافلٌ وزَنْدُ زفيري راحَ يوريهِ ضارمُ

وقال سامحه الملك المتعال :

ألاحَ وميضُ البرقِ عندَ ابتسامه ولاحَ سفورُ الصبحِ تحتَ لثامِه
رَشَأ يزدري بالأسمرِ اللّدنِ قدُّهُ تركّبَ فيه البدرُ عندَ تمامِه(٣) [١٣٥]

وقال برّد الله مضجعه :

يا فؤاداً أذابه برح الوجـــد فناحتْ عليه وِرقُ الحَمامِ
قد تأبدت لوعةً واشتياقاً وحنيناً ومدمعاً في سِجامِ

وكتب في ضمن مكتوب رقم بصالحية دمشق وأرسله لبعض أصحابه :

ذكرتُ في قاسيونَ اليومَ أُلفتنا أيامَ نحنُ جميعٌ والمنى أَمَمُ(٤)

(١) يشير إلى تكسير النبي إبراهيم عليه السلام أصنام قومه .
(٢) « رأت » أقرب إلى معنى البيت وفي الأصل « رأى » .
(٣) يريد بالأسمر اللّدن : الرمح المستقيم .
(٤) قاسيون : جبل مدينة دمشق ، وأَمَمٌ : قريب .

فراحَ يقدحُ زندَ الشوقِ قادحُه في مهجتي ولهيبُ الوجد يضطرمُ
[يا من يَعِزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلَّ شيءٍ بعدهم عدمُ](١)

وكتب في صدر كتاب قوله :

سلاماً كأنفاسِ الحبيبِ المُلازمِ ونفحة أرواحِ الربيعِ النواسِمِ
وما فتّقتْ أيدي القِطارِ بسحرةٍ من النَّورِ في جيدِ الغصونِ النواعمِ(٢)

وقال معمّياً في سليم وعليّ مع اختلاف الأعمال :

ورقاءُ قلبيَ قد أضحت مرفرفةً على قوامك يا من طَرْفُه عجَمي
وانها هبطت منه على غُصُنٍ فغضّ طَرْفَك وأرسله إلى القدمِ

وقال في اسم سلمان :

قد خطّ ياقوتُ خـــدّ الحبيبِ بالمسكِ لامه
فزادَ حُسْـناً واكـــفى المحبّ من فيه لامه
مُذْ بالعذار كسا بحر عنبر الخال لامه

(١) البيت من قصيدة للمتنبي يمدح بهـا سيف الدولة الحمداني (٣٠٣هـ/٣٥٦هـ) ومطلعها :
واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم
والبيت هكذا في ديوان المتنبي وهو المشهور .
يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ولم يشر الجامع أو الناسخ الى نسبة هذا البيت .
(٢) القِطار : يريد به هنا الندى ، والنَّور : زهر الشجر .

وقال غفر الله ذنوبه وكتبها في صدر رقعة :

إخالُ تالدُ ما سعيت به ... بطريفِ وعدِ غيرِ مُنْخَرِمِ (١)

أو ما ترى الشِعرى العبورَ تلت ... في سيرها الجوزاء في الظُلَمِ (٢) [١٣٦]

وقال رحمه الله تعالى مفرداً :

ينقّطُ لامَ الصدغِ ياقوتُ خدِّه ... بخالٍ ولو لم يُلفَ نقطٌ للامِه

مفرد أيضاً :

ومثلك من كانَ الوَسيطَ فؤادَه ... يكلّمـــهُ عنّي ولم أتكلّمِ

وقال أيضاً مفرداً :

أتاك الربيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضاحكاً ... من الحُسنِ حتى كادَ أنْ يتكلّما (٣)

وله :

وذي ترَفٍ رخيمِ الدلِّ يرنو ... الى نحوي ويرمز بالسَّـلامِ

هصرتُ به فسالَ به التثنّي ... وعادَ كما بَدَا لدنَ القَوامِ

(١) التالد : القديم ، والطريف عكسه : الحاضر .

(٢) الشعري العبور : نجم يظهر في شدة الحر أثناء النهار . والجوزاء : من أبراج الفلك .

(٣) هذا وهم من الجامع والناسخ معاً رحمها الله ، البيت لأبي عبادة البحتري من قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوي ، ومطلعها :

أكان الصبا إلاّ خيالاً مُسَلِّما ... أقام كرجْعِ الطرف ثم تصرّما

وله موشح ضاهى به موشح الأديب الوزير لسان الدين بن الخطيب (١) في أسلوب مقترح للمغاربة وهو :

يا ليالي السفحِ من عهدِ الصبا ... يا سقى مغناكِ صوبُ الدِّيَمِ

كم تسرقت بها بين الرُبى ... خُلَساً مرّتْ كطيفِ الحُلُمِ

في زمانٍ لذَّ عيشاً وصفا ... نعِمَتْ آصالُه والبُكَرُ

قد حللنا فيه روضاً أُنُفا ... يستبينا طيرُه المستحِرُ

بأهازيجَ من اللحنِ هفا ... عندها النايُ وزاغَ الوَتَرُ

يرقصُ الغصنُ ويصغي طرَباً ... نحوها بالجيـدِ كالمفتهمِ (٢)

وإذا ما هينمت ريح الصبا ... صفّقَ النهر لذاك النغمِ

لست أنساه مناخاً ضمّنا ... وارفَ الظلِّ برود المنتدى [١٣٧]

(١) الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب ، شاعر موهوب ، وخطيب مصقع ، لقب بذي الوزارتين ولد في لوشه جنوبي غرناطة (٧١٣ هـ) له من الآثار ما ينيف على الستين ، في اللغة والأدب والشعر والطب ، والتصوف وتخطيط البلدان ، وأهمها : [الإحاطة في تأريخ غرناطة] . اتهم بالزندقة فقتل عام (٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م) . وموشحته المشهورة والتي ضاهاها شاعرنا ابن النقيب هي :

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلاّ حلما ... في الكرى أو خلسة المختلس

(٢) من « افتهم » وهي لفظة عامية والصحيح فيها « فهم » ، ولا تقال إلا على الكلام فيقال ، فهمت كلامه ، وعرفت شكله .

حيث وجه الدهر طلق والمنى ... أمّمٌ نسلكُ منها جَدَدَا
كم جعلنا اللهو فيها ديدناً ... وهصرنا منه غصناً أملدا
قادنا الشوقُ إليها وصبّا ... نحوها قلبُ الشجيّ المغرَمِ
فحللنا نحوها منّا الحُبى ... وحمدنا طيبَ ذاكَ المغنمِ
ياسقى الوسميُّ مرجاً بَرَدَتْ ... فيه من حرّ الهمومِ المهجُ
أحدق الروضُ به واطردتْ ... حوله الغدرُ وفاحَ الأرَجُ
وقيانُ الطير لما اغتردت ... فيه ناغاها ذناب هَزِجُ(١)
وانثنى العود به مصطخباً ... بالغريضات بضربٍ محكمِ(٢)
وشدا النايُ له فاصطحبا ... بغنــاء فائق منسجمِ
والأزاهيرُ لدينا نسقتْ ... فوق ظهران وروق بهجِ
والنعامى بشذاها خفقت ... وانجلت من وشيها في زبرج
والنواوير بمسـك فتقتْ ... بين خلجانٍ وظلٍّ سجسجِ(٣)

(١) اغترد : صيغة لم ترد في المعاجم ، و (ذناب) وردت في الأصول التي لدينا والاصح انها « ذباب » وقد قال ابن الرومي :
فكانت أرانين الذباب هناكم ... على شدوات الطير ضرباً موقعا
(٢) لعله يشير بالغريضات الى الغريض المغني المشهور .
(٣) الظل السجسج ، يريد به الظل الليّن .

وغدا ذيلُ الصبا منسحباً ... فوقَ هاتيك الحلى والأنجمِ
وانثنى ينشرُ منها عذباً ... ويضم الغصن كالملتزمِ
كم جرَتْ خيلُ التصابي مرحاً ... بنفوسٍ خيمت حيثُ النعيمْ
لبواكيرٍ من العيشِ نحا ... نحوها القلبُ لدى أنسٍ مقيمْ
قد حبانا الدهرُ منها مِنحا ... وتلقتنا بها خودُ النسيمْ
نفحتنا لشذاهـا جوبا(١) ... وارتشفناها بقلبٍ وفمِ
وجرتْ فينا الأماني خَبَبا ... لمناخٍ للهنا مغتنَمِ
في حواكير(٢) من السفح لنا ... جانب الدير بها مستشرفُ
ولحنّان النواعير غنا ... عاشق في الأذن منه شَنَفُ
وبهـا من ياسمين يجتنى ... من عروشٍ دانيات غُرَفُ
وسرت أنفاس هاتيك الربى ... بشذا حوذانها والخزمِ
وبدا الورد مليكاً مغضباً ... ضُرِّجَتْ وجناتُه بالعَنْدَمِ(٣) [١٣٨]

(١) (جوب) غير مفهومة ولم نعثر على معنى لها في المراجع اللغوية .
(٢) (حواكير) ـ جمع حاكورة والأغلب انها كلمة عامية يقصد بها الأرض المزروعة شجراً والمجاورة للبلدة أو القرية .
(٣) العندم : خشب نبات يصبغ به ، ويقال له دم الأخوين ، يميل الى الحمرة .

لستُ أنسى عيشنا المقتبلا   في ذراها بين تلك الغُدُرِ
وسقى الربوة(١) كم يوم خلا   في مَغانيها بشط النَّهرِ
حين أضحى الغصنُ فيها ثَمِلا   يتهادى في حبيرِ الزَّهَرِ
وغدا النوّار موشيّ القبا   سافراً عن ثغره المبتسمِ
كم قضينا في ذراها أرَبا   وحمدنا فيه نقل القَدَمِ
كيف لا أذكر تلك الخُلَسا   من رغيد العيش وهي العُمُرُ
لست أقتاد سواها أنسا   يا سقاها عارضٌ منهمِرُ
كم أقام اللهو فيها عُرُسا   وتجلّى في رباها قَمَرُ
راح منا بالهوى مقتربا   لَيِّنِ العطف رخيم الكَلِمِ
حيث أضحى بالتنا منتقبا   مخطف الكشح نقي المبسَمِ
وسعى من طرفه لما انتشى   بمحيّا لحظِهِ المختلسِ
يتلع الجيد كما يعطو الرشا   ويداني الخطو وسْطَ المجالسِ
يا له من أهيفٍ طاوي الحشا   عَندميّ الخدّ حلوِ اللَّعَسِ
كم رعينا منه ثغراً أشنبا   ورعى منا حقوقَ الذِّمَمِ
وقطعنا فيه عيشاً أطيبا   للصبى لكنه لم يَدُمِ

(١) الربوة – منتزه مشهور بجانب دمشق .

وقال غمره الله تعالى برحمته :

يا مؤثراً للهو طيب النعمهْ   ورافعاً فيه سجوف الحِشمهْ
كم في تصاريف القضا من حكمه   وليس بعد الأنبيا من عِصمهْ
قم ويك ما بين الغصون الهِيفِ   من فوق روضٍ مونق التفويفِ
وأخلع وقار الحزم والتكليفِ   في ظلّ(١) ريعان الصبا الوريفِ
وأختلس اللذات في وقت السَّحرْ   ما بين طيرٍ وقيانٍ ووترْ
ومترفٍ يعثر في ذيلِ الخَفَرْ   يغمز بالغنجِ ويرنو بالخفَرْ(٢)
قد قامَ والنعسة في أجفانه   يضوعُ نشر المسك من أردانه(٣) [١٣٩
يدورُ بالكأسِ على ندمانه   مختضبَ الكفِّ بدستبانه
وغادة حوْراء مثلُ الفنَنِ   ترفل في فضلِ برود اليمن(٤)
قامت وفي الجفن بقايا الوسَنِ   تجاوب العود بصوت الأرغن(٥)

(١) ظل : في الأصل (طل) بالطاء .
(٢) لعله يريد بالخفير الأولى (بالكسر) : الحيي ، والثانية : الحياء .
(٣) يضوع : يفوح .
(٤) الفنن : الغصن ، وبرود اليمن : ثياب يضرب المثل بجودتها وجمال وشيها .
(٥) الوسن : النوم . والأرغن : من آلات الطرب معروفة وهي (أعجمية) .

وراقصات من بناتِ الزنجِ　　تغدو على الرقص وضرب الصنجِ
ما بين هيفاء وذات غنجِ　　كغصنِ بانٍ في نقىً مُرتجِ (١)
وذي خلاعات ولهو ومُلَحْ　　قد نظمَ التقصار من حبّ البَلَحْ
يدغدغ الكأس إذا الكأس طفحْ　　ويرقص الحلم إذا الطيرُ صدحْ (٢)
فاغدُ وداعب في مدار الفتك　　واخلع مع اللهوِ وقارَ النسك
واسفك دم الراووق كل السفكِ　　وافحص برجليك لفرط الضحك (٣)
يا صاحِ إنّ القول لا يطيب　　ما لم يكن في لفظه تطريبُ
والمدح يأتي قبله النسيبُ　　وربّمـا يُقترحُ التشبيبُ (٤)
كم عابثٍ بالكأسِ غنّى وصدحْ　　ما اغتبق الدهرَ بها ولا اصطبحْ (٥)
وإنمـا كانَ إذا الخال انضحْ　　يمدحهـا تظرفاً فيمن مدحْ

---

(١) النقى : كثيب الرمل .

(٢) يدغدغ : في الأصل (يدعدع) بالعين .

(٣) الراووق : المصفاة ، ويريد بها هنا وعاء الخمر ، وافحص برجليك : كناية رائعة عن فرط الضحك . والذي يشتد به الضحك يرفس الأرض بقدميه .

(٤) صدر البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي :
إذا كان مدح فالنسيب المقدم　　أكلُّ فصيح قال شعراً متيمُ

(٥) اغتبق : شرب الغبوق : الشرب في المساء ، واصطبح : عكسها .

هذا وقد بانَ لأنسي منهجُ　　مزاهرٌ تندى وروضٌ بهجُ
فالوردُ وردُ جورَ والبنفسجُ　　بنفسجُ الكوفةِ حين يأرجُ (١)
والنرجسُ الغضُّ به جرجاني　　والنوفرُ المطلول نهرواني (٢)
فيا له في الحسنِ من بستانِ　　منثوره الخيريّ من بغدانِ (٣)
كأنّما أهدت اليـه السمُرة　　من أصغر النارنجِ أمثال الكُرَه [٤٠
كأنّمـا أطيارهُ المستحره　　عزفُ قيانٍ طربت في دسكره (٤)
هـذا وقد بانَ لغير مرّة　　بستانُ حسنٍ في رياض ثرّة
أزهاره تنفـحُ بالعبـيرِ　　ما إنّ لها في الحسنِ من نظيرِ (٥)
نرجسُ جرجانٍ به مستجفُ　　بوردِ جورٍ حبّذا ما أصفُ (٦)

---

(١) الورد الجوري : من أطيب الورد عرفاً ، أحمر اللون . وبنفسج الكوفة : يضرب بجودته المثل . والمستحرة من استحر الديك ، إذا صاح في السحور .

(٢) جرجاني : نسبة إلى جرجان ، ونهرواني : نسبة إلى النهروان .

(٣) بغدان : من أسماء بغداد عاصمة الرشيد .

(٤) الدسكرة : الحانة ، والجمع دساكر . أو بيت يكون فيه الشراب واللهو .

(٥) النظير : المثل .

(٦) مستجف . من السجف وهو الستر أو الستار .

وقال نوّر الله قبره وكتبها في صدر رقعة جمع بها هذه المقاطيع في الأزهار والرياحين والأشجار :

وبستاناً غرستُ به يَنـاعاً ... من الآدابِ موشيةَ الرقيمِ (١)
يحيطُ به سِياجٌ من نسيمٍ ... به يغنى النـديمُ عن النديمِ
كأجنحةِ الطواوس زاهياتٌ ... أو الخيلان في خدٍّ لطيمِ (٢)

وله :

علقتُه طفـلاً وعلّق لوعتي ... فَسطا عليّ ورام أن أتظلّما (٣)
فطفقتُ أستعفيه خوفَ توغلٍ ... في حكمهِ وأرومُ أن يتحكما

* * *

(١) موشية الرقيم : مطرزة بالحروف . ونرجح أن تكون « وبستان » بالكسر على تقدير « رب » كما يقول العرب

(٢) الخيلان : الخال .

(٣) علقته : أحببته .

حرف النون

قال مادحاً عين الموالي سليمان أفندي قاضي مصر بقوله : [١٤١]

أرنَّ في عَذَباتِ الأيكِ مِرْنانُ ... ولاحَ للبرقِ إسرارٌ وإعلانُ (١)
فاهتاجَ قلبي زفير في الضلوع الى ... ذكر الأحبّة والإسكان حَنّانُ
ونازعٌ من رسيسِ الحبِّ مدّكرٌ ... وراءهُ جيرةٌ شطّتْ وأوطانُ (٢)
مراتعٌ للصبا ميثاءُ مُمرعةٌ ... ومألفٌ كلّه حسنٌ وإحسانُ (٣)
وفتيةٌ هُمْ على إعمالِ ما بَلَغتْ ... إليه خيلُ المنى في السرِّ أعوانُ
أيامَ روضُ الحمى تندى أراكتُه ... والعيشُ مُسترقُ اللذّاتِ فينانُ
وصَرْحنا من شياتِ الزهرِ في حِبَرٍ ... للوشي يحسدها في الحسنِ غُمْدانُ (٤)

(١) عَذَبات الأيك : غصون الشجر الملتف . والمرنان : الطير الساجع .

(٢) رسيس الحب : أوله وبدايته .

(٣) ميثاء : يريد لينة .

(٤) يريد بهذا البيت : أن مرتبعنا قد وشي بأنواع الأزاهير المختلفة الألوان ، حتى أصبح في برود موشية يحسدها غمدان ، ويريد هنا : صنعاء حاضرة اليمن . وغُمدان : جاء في الإكليل للهمداني ج ٨ ط. الكرملي ، بغداد ١٩٣١ م ، ص ٢٦ ما نصه : « ويقال إن غمدان أول قصر بني باليمن ووجد فيه حجر في بعض زواياه مكتوب بالمسند (بناه غمدان) اه. والمسند : هو الخط الحميري .

وفي مطالعه بدرٌ على غُصُنٍ ... لقد تنازعَهُ الخطيُّ والبانُ (١)
يرنو بمنهوكةِ الألحاظِ فاترةٍ ... كأنّما جفنُها بالسحرِ غصّانُ (٢)
ما رنّقتْ فيه يوماً للكرى سِنَةٌ ... إلا حسبناه يرنو وهو يقظانُ (٣)
أبانَ في ملعبِ الأطواقِ عن جَيَدٍ ... لم يُحْصَ فيهنّ بالتهييفِ غرثانُ
بدا لنا في أكاليلِ البهارِ ضحى ... ودون إعجابه كسرى وخاقانُ (٤)
فما نقضتْ يدي عن وصفِ طلعتِه ... حتى أناخَ بنا للفضلِ عُنوانُ
شهمٌ له في فنونِ العلمِ جامعةٌ ... وراءها منه تحقيقٌ وإتقانُ
ولهجةٌ أفصحت عنها بلاغتُه ... فليس يُدركُها قسٌّ وسحبانُ (٥)

---

(١) الخطيّ : المنسوب إلى الخطّ : وهو مرفأ بالبحرين تباع به الرماح الخطيّة . والبان : شجر معروف .

(٢) الغصان : الغاص ، وهو من اعترض في حلقه الماء أو الطعام فمنعه التنفس .

(٣) السِنة : النعاس ، جاء في التنزيل الكريم [لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ] .

(٤) كسرى : لقب ملوك الفرس القدامى . وخاقان : علم واسم لكل ملك جمع : خواقين .

(٥) قس : هو : قس بن ساعدة الأيادي الخطيب الجاهلي المشهور وسحبان : وسحبان وائل : الخطيب الفصيح الذي تكلم أمام معاوية ساعات فقال له معاوية : أنت أخطب العرب ، فقال سحبان : والعجم والجن والأنس .

صدرُ المحافلِ قاضي مصرَ مَنْ شرُفتْ ... به دمشقُ وقد أضحى لها شانُ
وسوفَ تزهو به مصرٌ ويوسعها ... فخراً فتحسدها في الشرق بغدانُ
وسوف يحيا بها رَبْعُ الكمالِ به ... ويستقيم لها بالشرع ميزانُ [١٤٢]
وتغتدي بثناه روضةً أُنُفاً ... كأنّما حفّها بالشعبِ بَوّانُ (١)
مولاي هاكَ فتاةً بنتَ ليلتِها ... تهدّلتْ فوقها للسحرِ أغصانُ
جاءت بتاريخِ حُسْنٍ وهي مخجلةٌ ... في بيتِ شعرٍ له في النقدِ رجحانُ
حيّا الالهُ واحيى مصرَ من بلدٍ ... بالجودِ والعلمِ وافاها سليمانُ

وقال مادحاً شيخ الإسلام عبد الرحمن أفندي حسام زاده (٢) :

غيري يَلذُّ له الهوى بهوانِ ... وسوايَ يرهبُ سطوةَ الهجرانِ

---

(١) بوّان : هو ابن ايران بن الأسود بن سام بن نوح عليهم السلام ، وهو الذي ينسب إليه شعب بوّان من أرض فارس وقد تقدمت الإشارة إليه في ص ٢١٩ من هذا الكتاب .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي ، مفتي الدولة العثمانية ، ولد عام (١٠٠٣ هـ) ، وتوفي بمصر عام ١٠٨١ هـ) . وقد حظي المترجم بأكثر مدائح الشعراء وذلك حين ولي القضاء في الشام سنة ١٠٥١ هـ ، وقبلها كان قاضياً في حلب ، وكان من أصحابه وجلسائه الأديب يوسف البديعي الذي ألف باسمه كتابيه (ذكرى حبيب) و (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) . ومن جملة من مدحوه الأمير منجك باشا ، ومصطفى بن عثمان المعروف بالبابي ، راجع خلاصة الأثر ج ٢ ص ٣٥١ ، وص ٣٥٧ .

ما كنتُ أن استام ربح تواصلٍ … بمذلّةٍ هي صفقةُ الخسران
ومن الردى أنْ أرتدي بمذلةٍ … وخلائقي تعلو على كيوانِ (١)
أيساق لي كأس الصدود فاختشي … لمظنّةٍ في نيْـلِ بيضِ أماني
والله ما ألقـاه أن أكِل المنى … لخلائقي فتعافهـا من جاني
وأخاف هجراً والعفافُ ذخيرةٌ … أغنى بهـا عن فاتر الأجفان
وعلامَ أجزعُ والشهامةُ شيمتي … وابن الحسام أميرُ ذا الميدان
شهم تكنفهُ الوقارُ فلم يزلْ … في العزّ ممتنعاً من الإمكان
قصُرَ الفخارُ على علاه فلم يدع … فخراً لذي العليـاء للشجعان
وتتابعت منه اللُّها حتى لقد … شرقت بها لَـهَواتُ كلّ أماني (٢)
ذُو عِفّةٍ ألفتهُ حتى لم تزلْ … آياتُهـا تُتلى بكلّ لسانِ
حَبْرٌ توغل في الفضائلِ جاهداً … حتى ارتوى من بحرها الملآن (٣)
كشّافُ كلّ غميضةٍ لا تنجلي … بنباهةٍ تعزى الى سُحْبانِ (٤)

(١) الخلائق : جمع خليقة ، الطبيعة ، ما خلق الله ، وكيوان : كوكب معروف .

(٢) اللُّها : العطايا ، والثانية (لهوات) : جمع لهاة ، اعلى الحلق وفي المثل : اللُّها تفتح اللَّها ، وقد تكرّر ورود كلمة (أماني) في البيت الأول والسابع ، ولعل الثانية (أمان) بلا ياء .

(٣) الحبر : العالم الجهبذ .

(٤) سحبان : هو سحبان وائل : الخطيب الأموي الشهير وقد مرت ترجمته مرات عديدة .

ما راحَ يعبثُ باليراعِ بنانُهُ … إلاّ أتى بقلائدِ العِقْيانِ (١)
ما الروضُ مطلولَ الأزاهرِ يانعاً … سَجَعتْ عليه الوِرْقُ بالألحانِ [١٤٣]
أبهى وأزهى من سطورٍ حاكها … فغدتْ نسيجةَ وحدِها ببيانِ
مَولىً أثابَ ليَ الحماسةَ مدحُه … فسموتُ في النادي على أقراني (٢)
يا ماجداً أوسعتَ جِلّقَ رفعةً … فالآنَ يلفى عيدُها عيدانِ (٣)
هنّئتَه عيداً ومثلُك مَنْ بهِ … تتهنّـأ الأوقاتُ في الأزمانِ
وإليكها بِكْراً عَروبةَ حيّها … تاهتْ بمدحِكَ يا عظيمَ الشانِ
ترجو القبولَ تفضّلاً وأسلم مرو … حَ البالِ ما ماستْ غصونُ البانِ

وقال مخاطباً بعض أحبائه :

أحبابَنا عودوا علينا عَوْدةً … وأجروا على نَسَقٍ مع الخُلَصانِ

(١) قلائد العقيان : قلائد الفضة ، ويشير بقوله هذا إلى كتاب [قلائد العقيان في محاسن الأعيان] الذي ألفه الفتح بن خاقان الاشبيلي الوزير ، جمع فيه أخبار شعراء المغرب وأشعارهم ، مطبوع .

(٢) أقران : جمع قرين : وهو العشير الموازي في العمر .

(٣) كان المفروض في القافية «عيدان» أن تكون «عيدين» ومحلها من الاعراب مفعول به ثان لـ «يلفى» ولكنها رفعت على لغة من يلزم المثنى بالألف كقول الشاعر : «إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها» بدلاً من غايتيها ، أو يمكن القطع بين الفعل و «عيدها عيدان» واعتبارهما جملة مؤلفة من مبتدأ وخبر واقعة في محل نائب الفاعل والمفعول الثاني لـ «يلفى» والأصح من كل هذا في رأينا أنه خطأ ناتج عن سهو الناظم .

فلربما نزع الخليط الى الحمى ... وتداعت الورقاء للأفنان (١)
فعلام وعدكم استحال تمادياً ... والشوق لا وانٍ ولا متواني
إيه بعيشكم فما حال الوفا ... من بعد ليّكم على الحدثان (٢)
أما أنا فيدي نفضت عن المنى ... إن كن لا تفضى إلى استحسان (٣)
لكنني ألوي الصديق إلى الحجى ... ليَّ العنان بمقولي وبناني (٤)
بعض التآسك أيها الخل الذي ... مدّ الجناح وهمّ بالطيران
قاطعت من بعد التواصل برهة ... وصدفت عن شتى من العرفان (٥)
ووعيتها هملاً وما بالعهد من ... قدم وجدت ولست بالخوّان
خفض عليك وعد الى شيم الوفا ... فالودّ محمود بكل لسان
ماهكذا شيم الكرام وإنها ... أمم وحسبك شاهد الإذعان
فاقصر بعيشك واعتقلها حكمة ... فالمرء بالخلصاء والخلان (٦) [١٤٤]

(١) الخليط : العشير ، الحبيب الملازم ، والورقاء : الحمامة ، والأفنان : جمع فنن : الغصن .

(٢) « الليّ » هو المطل ومعنى البيت غير واضح .

(٣) وشطر هذا البيت الثاني غير مفهوم أيضاً ويلاحظ القارىء ان أكثر المعاني الضائعة في الأبيات من خطأ النسخ عند النساخ .

(٤) المقول : يريد به اللسان ، والبنان : الاصبع ، وفي الأصل : بنانه : وهي أطراف الأصابع .

(٥) البرهة : الحين من الزمن ، وشتى : مختلفة .

(٦) نظر شاعرنا في قوله هذا الى بيت طرفة بن العبد الذي جرى مجرى المثل وهو ليس من معلقته ، وقيل لعدي بن زيد : —

لا تجحدن على الصديق حقوقه ... [هو أول وهي المحل الثاني] (١)

أيها الخل المنتصب لدينا بتاج الكرامة ، المطوّق بتمائم الرعاية والإجلال طوق الحمامة ، ما بال رغبتنا عادت لديك منبوذة ، وطلبتنا أمست رهن الصدى بعد أن كانت بيد الاعتناء مشحوذة . أعيذك ونفسي من إغفال ، جرّ الى إخلال ، بمكارم الشيم والخلال ، وسحب ذيول الطمس والإعفا على طرق المودة والوفا ، هذا ولو علمت أنك تثير في وجه الاستماحة قتام(٢) الاعتذار ، وتجفف رمق الأمل على لسان الإنتظار ، لما حاولت أن أشيم برق مضابك ، أو أنتجع ودق سحابك ، على أني لست مما أبديه بجاث عليه ولا باحث فيه ، وإنما هو استرجاع تآلف أوقظ به وسنان المحبة ، وأولى به إلى تصفية مواردها العذبة والسلام .

وقال تغمده الله تعالى بعفوه :

هزّ من قدّه شبيه الرديني ... ونضا من لحاظه صارمين (٣)

— عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومنه أخذ صالح بن عبد القدوس قوله :

واختر قرينك واصطفيه تفاخراً ... إن القرين إلى المقارن ينسب

(١) عجز البيت من كلام المتنبي ، من قصيدته المشهورة :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

وقد أغفل الإشارة إلى ذلك الجامع والناسخ ، (عليهما الرحمة) .

(٢) القتام : الغبار ، قال أبو الطيب المتنبي :

ولو لم يعل إلا ذو محل ... تعالى الجيش وانحط القتام

(٣) الرديني : الرمح ، المنسوب إلى ردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح . ونضا : سل . والصارم : السيف . ويريد هنا : حاجبيه أو عينيه ، التي أكثر العرب من تشبيهها بالسيوف .

أغيدُ ليّنُ العريكةِ يغتا ... لُ بسحرِ اللحاظِ أسدَ العرينِ (١)

غَنِجُ الجفنِ أهيفُ القدِّ ألمى ... من بني التركِ ضامر الكشحَينِ

عارضاه من فوقِ ياقوتِ خدّيه ... كلاميّ ياقوتِ من غير مَينِ (٢)

وثناياه لؤلؤ زانَ لمّا ... ان تكنّى بأسمِه (٣) ابنُ الأمينِ

هو عبدُ الرحيم حامي ذمارِ الـ ... ـلهو من قد تسمّى على الفرقدينِ (٤)

لو دُعي إنْ رامَ تحصيل معنى ... من عميدٍ يبدو له اثنينِ (٥) [١٤٥]

منشئٌ مُسندَ الحديثِ إذا حـ ... ـدّثَ عن قصةٍ لسعد العَينِ

ذو ابتسام طلْقُ المحيّا إذا أقـ ... ـبلَ يفترّ ثغرُ كلِّ حزينِ

حلقته الأنامُ أجمعُ حتى ... لا يروه إلّا بصفقِ اليدينِ

رَحِبُ الصدرِ إنْ ألمّ به الضيـ ... ـفُ تراهُ يصفق الراحتَينِ

---

(١) في البيت عيب من عيوب القافية وهو (سناد التوجيه) ، حيث جاء بكلمة (عَرين) ، وهي مكسورة الراء والياء ، والقوافي الباقية مسكنة الياء ، ما عدا (ابن الأمين) أيضا .

(٢) الياقوت الأولى : حجر كريم ، معروف ، والثانية يريد بها ، لامي ياقوت المستعصمي صاحب الخط الشهير ، والمَين : الكذب ، الرياء .

(٣) أظهرت الهمز في كلمة « بأسمه » من أجل الوزن .

(٤) عبد الرحيم : ممدوحه ونديمه كما يتضح من البيت . وسمى : من السمو : العلو ، علا . والفرقدين : الشمس والقمر .

(٥) العميد : العاشق ، ومن معانيها الرئيس .

ورأيت بخطه ومنه نقلت ما صورته : وكتبتُ على شجرة بالربوة تجاه مقسم القنوات المسمى بالشادروان ، وهو مكان قبالته شطانات(١) عليه من شجرات الصفصافِ ما تروقُ نضارتها ، وتشوق غضارتهـا ، فوقفتُ ساعة أنظر إلى تيّاره ، وأنزه الطرْفَ في مضماره ، فدعـاني الخاطر ودعوته لما ترى وهو :

لم أنسَ موقفَ ساعة في موطنٍ ... يستوقفُ العجلانَ طيبُ عيانِهِ

بقرارة الوادي بشطِّ معينِهِ ... بملاءِ نُزهتِهِ بشادروانِهِ

هجمَ النعيمُ به عليّ فجاءةً ... فوقفتُ مُستنداً إلى أفنانِهِ

مُتخضّلاً برشاشه متعجّباً ... من باردِ الكافور في غليانِهِ

وكأنّما فيه ملاعبُ جِنّةٍ ... فتقاذفت بالثلج من جريانِهِ (٢)

وطغى به السمكُ الطموحُ لحربِهِ ... فغدا يرينا الجهد في عصيانِهِ

يُبدي مصندلةً لنا موشيّةً ... أزْرَتْ على التيار في لمعانِهِ

خرق السلاسلِ من حبيبك نسيمهِ ... بطموحه فارفضّ عِقدُ جُمانِهِ

نزّهتُ طَرْفي في محاسنِ ما ترى ... ووسَقتُ قلبي فوقَ ما إمكانِهِ

وقال دُعابة من باب تجريب الخاطر فمنها قوله : [١٤٦]

---

(١) « شطانات » لم نهتد لحقيقة هذه الكلمة ، فقد تكون اسم مكان خاص ، أو تكون « شطافات » بالفاء ، وهي كلمة عامية بمعنى « غسالات » من شطف وعندئذ تكون الجملة « قبالته شطافات » .

(٢) ملاعب جنة : ملاعب الجن . ولعله يشير بقوله هذا الى قول أبي الطيب المتنبي :

ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان

إليكَ شكوايَ مثلوج الفؤادِ بها   وإنَّما نزعاتُ القولِ ألوانُ
لا تعجل اللومَ فيها وادع زهرتها   فربَّما كفَّ بعضَ اللومِ إمعانُ
وللقريضِ فكاهاتٌ يرنُّ بها   طيرُ البيانِ إذا ما عزَّ مرنانُ
ياحبذا ملحُ الآدابِ من مُلَحٍ   فكلُّها رقةٌ حسنٌ وإحسانُ
والآنَ أشعرتُ أني كنتُ في سِنَةٍ   فرفعتها عن الأحداقِ أجفانُ[1]
وأبصرتْ مقلتي فيما ترى عَجَباً   وراءه لاقتضابِ الشعر ميدانُ
ما الشأنُ في مترفٍ أضحى يُفنِّدهُ   عني اللحاة فيغدو عنه حرمانُ[2]
يروقني منه معسولُ الشمائلِ مغـ   ـنوجُ اللحاظِ رخيم الدلِّ فينانُ

وقال فسح الله له في قبره :

قُلْ وحُثَّ المدامَ في إبانِه   واجرِ مَعْ من تُحبُّ في ميدانِه
وابتكرْ للصبوحِ وامددْ إلى اللـ   ـهوِ يداً والشبابُ في ريعانِه
وارشفِ الراحَ صِرْفةً واستلمها   من رشاً يستبيك صبغُ بنانِه
ذي قوامٍ رخصِ المعاطفِ سهْـ   ـلِ الملتوى عند هصرِه فينانِه
وشياتٍ [تلقبتْ] بعذارٍ   فوقَ خدٍّ يفترُّ عن خيلانِه[3]
طبعتْ في مراة[4] ديباجتيْه   فِتَناً للخيالِ من أجفانِه

(١) السنة : النعاس .
(٢) اللحاة : جمع لاحي : اللائم .
(٣) بين معقوفين لعلها : تلفعت .
(٤) «مراة» هنا مخففة من أجل الوزن .

وقال عفي عنه : ومما اتفق لي بالصالحية من نوبات ربعية من باب تجريب الخاطر وتنبيه الفكر الفاتر وهي :

بَكَرَ الروضُ بالنسيم الواني   وتجلى الربيـع في ألوانِ
وأملتْ حمائم الدوحِ ألحا   نًا أمالتْ معاطفَ الأغصانِ [١٤٧]
وبدا الوردُ في خدودٍ دوامٍ   للعذارى من القُطوفِ الدواني
وانجلى الصبْحُ عن مواليد مُزنٍ   أودعتها ضمائرَ الأفنانِ
ما ألذَّ الربيع في زمن الوردِ   وأحلى الشبابِ في العُنفوانِ

وقال عمّه الله بغفرانه :

قادني للرُبى مَرُوحَ العِنانِ   نفحُ دوحِ النسيمِ في الريحانِ
واهتزاز الأوراقِ في القُضُبِ الهيـ   ـفِ أرتني في ساحةِ البُستانِ
طُرَرُ الغيدِ قدْ رقصن بها [منـ   ـذُ] اجتلاء الطلا على العيدانِ[1]

وقال نوّر الله ضريحه .

بينما نحنُ في حديثِ الخلاعا   تِ وماذا يَطيبُ أنْ نتمنى
وإذا بالمنى تراءت لدينا   طُرقاً شُعِّبتْ فُرادى ومثنى
قلتُ إيهِ لبعضِ من راضه الحـ   ـبُّ واصغيتُ قال خُذْ يا مُعنى
ما ترى في القِيانِ قلتُ ثمانٍ   قد تناسبْنَ فرْطَ حُسنٍ ومعنى
أربعٌ للحجازِ سُمْرٌ دِقاقٌ   ومن الفُرسِ أربعٌ طِبْنَ حُسنَا

(١) بين معقوفين لعلها محرفة عن (عند) ، والطلا : الرقاب .

وقال كفاه الله شر موقفه :

ومُرنّةٍ في الواديين بسحرةٍ … بكرتْ عليّ بونّة المتحزنِ
تشكو وأسمع ما تقولُ وأنثني … أشكو وتسمعُ ما أقولُ وتنثني
حتى [تخيلت] ابنَ آدمَ نفسَها … ولِهاً هنالك والحمامة خلتني (١)

وقال مؤرخا قدوم مولود لبعض أصحابه :

ياحليفَ الكمالِ بالطائرِ الميمو … نِ مَولودكَ أستهلّ [مصانه] (٢) [١٤٨]
فتراهُ أبا وجداً وهنّا … كَ سروراً مُلقىً إليكَ عِنانُه
فلقد جاء فيه تاريخ ودّي … مَولدٌ بالسعود دام اقترانُه ١٠٧٥ هـ

وقال قدّس الله روحه :

أعددتُ للتبغِ وترشافه … نبعةَ حُسنٍ كُلِّلَتْ بالجُمانْ (٣)
ما قصباتُ السبقِ إلاّ لها … في حلبةٍ حلّتْ محلّ السِنانْ
قد زُخرفتْ من بعدِ ترصيعها … دلائلُ الزُخرفِ إلاّ الدخانْ

وقال سامحه الملك المتعال :

وأهيفَ مَفتوحِ اللواحظِ مُترفٍ … رهيفِ التثني ناهزَ العشرَ في السنّ

---

(١) بين معقوفين في الأصل بياض . وهنالك في الأصل جاءت هكذا [هناك] .

(٢) بين معقوفين جاءت هكذا في الأصل [.... انه] و « مصانة » خطأ صرفي والصحيح « مصونة » لأنها من الثلاثي الأجوف .

(٣) الأبيات الثلاثة في وصف النارجيلة .

[دعاني] إلى باكورة الحُسنِ صُغرُه … ولم أرَ شيئاً مثلَ باكورةِ الحُسنِ (١)

وقال عمّه الله بغفرانه مضمنا :

لما دنَتْ ساعةُ التوديعِ قلتُ له … والدمعُ اكتمه طوراً ويفضحني
[يا مَنْ يعزُّ علينا أنْ نفارقَه] … يا ليتَ معرفتي إياكَ لم تكنِ (٢)

وقال رحمه الله تعالى :

روضٌ بمدرجةِ النسيمِ الواني … وعنادلٌ بمنصّةِ الأغصانِ
تشدو على ترنامِ هينمةِ الصّبا … سَحَراً أهازيجاً من الألحانِ

وقال تجاوز الله عن سيئاته :

لئن جلّ المصابُ بخيرِ نجلٍ … لصدرِ بني العلا يومَ الرهانِ
فقد جلّ العزاء له ببيتٍ … به التأريخ يُفصحُ بالبيانِ
محمّده الأمين بدارِ حقٍّ … لدى السعداء في أعلا الجِنانِ [١٤٩]

وقال تغمده الله بالرحمة والرضوان .

يحنُّ الحبيبُ إلى رؤيتي … وإني إليه أشدُّ حنينا
وتهفو النفوسُ ويأبى القضا … فأشكوا الأنين ويشكو الأنينا

---

(١) بين معقوفين جاءت بياضا في الأصل .

(٢) صدر البيت من كلام أبي الطيب المتنبي .

وقال برّد الله مضجعه :

يا رخيمَ الدلالِ يا أتلعَ الجيـ ـدِ على قامةٍ من الخيزُرانِ
خُذْ لنا من لحاظكَ الوسَنَ إنْ أشفقتَ بالعاشقين بعضَ الأمانِ (١)
انتَ ترعى حُشاشةَ الصبِّ من غير اكتراثٍ لاهٍ بها مُتوانِ

وله عفى الله عنه :

ما أسمٌ من الأزهار تركيبُه من خمسةٍ جاء بلا مَيْنْ
تراهُ بالتحريف إنْ رُمتَهُ في نـيّراتِ الأفقِ نجمَيْنْ
أو طلبَ الإنسان فيه السُرى تجدْهُ حقـاً بينَ حوتينْ
ثانيه مَعْ ثالثِـه في الحشا يخفى من الجِسمِ عن العَيْنْ

* * *

(١) الوسن : محركة ، النوم ، وقد سكّنت هنا : لضرورة الشعر .

حرف الهاء

قال وهو ما كتبه جواباً عن قصيدة من الشيخ أبي بكر المصري المعروف بالمصفوري شاعر القاهرة رحمهما الله تعالى :

أتتْ أسماءُ ساحِبَةً رِداها على أثرِ المواطىءِ من سُراها
فديتكَ لو وطئتَ على جفونٍ لما كادت تُنبّهُ من كراها (١)
وقد سَدَلَتْ غدائِرها لِتُخْفي إذا ابتسمتْ صباحاً في دُجاها (٢)
وفي طَرَفِ الخِباءِ ليوثُ حربٍ تدورُ عليهمُ أبداً رَحاها [١٥٠]
خشيتُ بسدلِها في الحيِّ من أن يُهِبَّ أشطّهُمْ أدنى شذاها (٣)
بَدتْ فوجمتُ من دَهَشٍ كأني ؛ رتُ إلى وداعٍ مِنْ لِقاها (٤)

(١) البيت صورة رائعة في الخيال الخصب ، وهو من المبالغات البعيدة في وصف خفة الحبيب الذي جعله شاعرنا هنا ملاكاً ، وقد أكثر شعراء العربية من مثل هذه المبالغات ، قال صالح بن موسى :

لي سيّدٌ ما مثله سيّدٌ تصدت الحمى له فاشتكى
عانقته عند موافاتهـا فلم تجدْ ما بيننا مَسْلكا

وقال أبو الطيب المتنبي في وصف نفسه :

ولو قلمٌ ألقيتُ في شِقّ رأسه من السُقم ما غيّرتُ من خطّ كاتبِ

(٢) غدائرها : جمع غديرة ، المضفور من شعر النساء .
(٣) يُهِب : يوقظ ، وأشطهم : أبعدهم .
(٤) الواجم : الذي اشتد به الحزن فأمسكه عن الكلام .

فقد حَصِرتْ حياءً عن نظيمٍ   فمجّته نَشاواً مقلتاها(1)

فلا أنسى وقد أنست وطاب الـ   نديُّ بمـا يحدّثنيه ... فاها(2)

حَماماً في الغُصُونِ تنوحُ شوقاً   تبوح بسرِّ ما يطوي حشَاها(3)

فكانَ الغصنُ لي غصناً وكا   نَ الحَمام لنا بأن حُمّتْ نَواها(4)

فقمتُ لموقفِ التوديع أطوي الضـ   ـلوعَ من الشجون على لظاها

فلم أكُ أن أرى من بعدها في   نساء الحيّ أحسنَ من حُلاها

سوى هيفاء وَفّت من خُدورِ البـ   ـلاغة قد تسامى منتهاها(5)

عَرُوبةُ حسنِها تختالُ تيهاً   على الشِعرى بعيـداً مرتماها

تَقَرّطتِ الثريّا واستطالتْ   على الجوزاء فاقتحمتْ ذرَاها(6)

---

(1) الحصر: العي في الكلام، وعن نظيم: يريد به الحديث.

(2) الندي: هو مجلس القوم، وفاها مفعول به لـ «أنسى».

(3) حماماً: مفعول فعل انسى في البيت السابق.

(4) حُم الفراق، وحُمت نواها: قرب فراقها، وقربت نواها، وهي الهجر. «وقد جرى هذا البيت على ما كانت العرب تتفاءل به فتشتق من الاسم اسماً آخر على حسب مقتضى حالهم فطوراً يجعلون الهدية فعلا هداية وهدى، والحبارى حبُوراً والبان بياناً، وطوراً يجعلون بيناً والحمام حم اللقا، وطوراً حم الفراق وقد فصّله الميداني في جامع الأمثال تفصيلا تاماً ..» اه. هذا الكلام جاء في هامش الصفحة في الأصل.

(5) منتهاها: أي الذي تنتهي إليه القصيدة.

(6) تقرطت الثريا: جعلت الثريّا قرطاً، ويريد بها القصيدة.

فما الملكُ الضليل وما زهيرٌ   بحوليّـاته من مُستهاها(1)

وما السَبْعُ الطِوالُ أرقُّ معنىً   وأشهى في العذوبة من جناها(2)

وما الروضُ المفوّفُ باكرَتْه   عَزَالي السُحْبِ واهيةً كلاها(3)

فأخصَبتِ الرُبى وافـترّ فيـها   الأقاصي منه واخضلّت صَباها

بأحسنَ من نضارتها وأشهى   وأحلى في مذاقي من روَاها

---

(1) الملكُ الضلّيل: على وزن فعّيل، كنية امرىء القيس، ولقبه بهذا اللقب كما يقال الإمام علي بن أبي طالب (رض) وخففت لامها هنا للوزن.

وزهير: هو زهير بن أبي سُلمى المتوفى سنة (٦٣١) م أحد الشعراء الثلاثة المقدمين في العصر الجاهلي، وحولياته: قصائده نسبة إلى الحول أي السنة، وذلك لأنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة أشهر، ويعرضها على أصحابه الشعراء في أربعة أشهر فلا ينشرها حتى يأتي عليها حول كامل.

(2) السبع الطوال: يريد بها المعلقات السبع، وهي: معلقة امرىء القيس، ومعلقة طرفة بن العبد، ومعلقة زهير بن أبي سُلمى، ومعلقة لبيد بن ربيعة العامري، ومعلقة عمرو بن كلثوم التغلبي، ومعلقة عنترة ابن شداد العبسي، ومعلقة الحارث بن حلزة اليشكري.

(3) عزَالى: مثل صحاري، وصحارى: وعذاري وعذارَى، واحدها: عزلاء، بالمدّ. وهي كأفواه القِرَب في السحاب منها يقطر المطر، والكِلا جمع كُلية: وهي جليدة مستديرة تحت فم المزادة إلى حال كونها مفتحة المقاطر، مسترخية الأسفل مما تحمله من الماء. (من تعليقات الجامع).

ذكرت بها عهوداً قد دعتني ... لأشواقٍ بقلبي مصطلاها
فما أدماء تعطو حين تمشي ... بجيد عاطلٍ ترجي طَلاها (١)
تداعبه بروْقيهـا نهاراً ... وان أمستْ تُوسّدهُ طَلاها (٢) [١٥١]
تحنُّ إليه من شَغَفٍ وتحنو ... عليه ما تَلَتْـهُ أو تَلاها
سرى معها وقد نشطَتْ لفختٍ ... تكمّن في مطاويه أساها (٣)
وما علمتْ بأنّ الدهر صَالٍ ... بكفة حابل تُردي رشاها
فلم يك ريْث ظمأى العَير إلاّ ... وقد نيطَتْ بأرجله عُراها (٤)
فباتتْ وهو ينشُبُ في حِبالٍ ... تقطّعُ دونها أسفاً حشاها
بأبرعَ من أخيك بنات شوقٍ ... تضاجعُ مهجةً شُقّت عَصاها (٥)

(١) الأدماء : واحد الأدم : الظباء المشرب لونها بياضاً ، وتعطو : تتناول ، والجيد : العنق ، والعاطل : الخالي من الحلي ، وطلاها : وهو ولد الظبي .

(٢) روقيها : قرنيها ، واحدها : روق . والطلى أيضاً العنق .

(٣) الفخت : ضوء القمر ، وفي المثل : أنشط من ظبي مقمر .

(٤) ظمأى : جمع ظامىء ، والعَير : الحمار أي قلة صبره على العطش ، أقصر من ظمأ الحمار .

(٥) بنات الشوق : نوازعه .
شق عصا الشيء : مثل يضرب في تفرق الأمر .

فهاك بها عروساً ترتجي منـ ... ـك أنْ تعفو وتصفحَ عن طخاها (١)
ودمْ وأسلم هنيئاً ما تغنّتْ ... على الأغصانِ ورْقٌ في رُباها

وله رحمه الله تعالى امتدح بها السيد علي أفندي زاده قاضي المحلة وهو بالصالحية وقدمها بنت وقتها ومدادها لم يجف .

ما للرياضِ تَمَنْمَمَتْ ادواحها ... وترنّمتْ فوقَ الغصون فِصاحُها
وتدرّجتْ فوق الخمائلِ غُدرُها ... وتأرّجتْ بشذا العبيرِ رياحُها
وترنّحت فيها الغصونُ صبابةً ... وأفترَّ عن شَنَبِ القِطار إقاحُها
أزهى بها الوردُ الجنيُّ وأقبل الـ ... ـعيشُ الرخيّ وجُددتْ افراحُها
بقدومِ من نطقَتْ بمثل ثنائهِ ... المنشورِ مابين الورى أرواحُها
وحكتْ خلائقهُ بلطفِ نسيمها ... الواني الهبوبِ إذا أستبانَ صَباحُها
هو نجلُ قدريٍّ المبجل من له ... من دَوْحةِ الحسَبِ الأثيلِ صُراحُها (٢)
شهمٌ إذا ما المشكلاتُ تقاعَستْ ... ودَجتْ فهمّتهُ إذاً مفتاحُها
لوشاهَدتْ اقلامَه بيضُ الظبا ... لتقاصرَتْ عن فعلهنَّ صِفاحُها (٣) [١٥٢]
يُبدي الجميلَ ولا يحاولُ مِنّةً ... جرْياً على شيمٍ يفيضُ سَماحُها

(١) الطخـا : الظلمة . وجـاء في هامش الصفحة في الأصل ما نصه : [الطخا العبد .. وهو بالمعجمة] .

(٢) النجل : الابن .

(٣) بيض الظبا : يريد بها السيوف .

ويباشرُ الأوطارَ ان جَمحت على　　طَرَفِ الثمامِ فيستقيم جِماحُها(١)
ذو فكرةٍ وقادةٍ وطلاقةٍ　　في القول قد راقَ الورى إفصاحُها
وأسرةٍ شرُفت بكلِّ بشاشةٍ　　حتى تحقق في الأمورِ نجاحُها
فإليكها يامن تسربَل وارتدى　　بفضائلٍ لم يُحْصِها مُدّاحُها
بِكراً نسيجةَ وقتِها أربى على الـ　　ـروضِ المفوّفِ ريطُها ووشاحُها
واسلم لنجلك ما تغنّت في الضحى　　ورقٌ شجى قلبَ الخليِّ صياحُها
متفضلاً بقبولها فلقد أتَتْ　　خجلى ثَنتها من ثنائك راحُها

وقال سامحه الله تعالى : وشحطنا يوماً إلى غوطة دمشق وأنخنا بغيضتها المشهورة فارتجل الوالد السيد محمد حفظه الله تعالى بقوله :

قد بكرنا حيثُ الصَّبا في أنبراها　　غيضةَ الغُوطةِ النديِّ ثَراها
وعبرنا غديرَها بارتياحٍ　　ووردنا النميرَ من بَرَداها(٢)

وأمرني بالاجازة فقلت في القافية (٣) :

وأقلنا لدى مدبٍّ ظلالٍ　　أسبلتْها شجراؤها في ذُراها

(١) طرف الثمام : مثل يضرب لقرب الشيء ، ويسر تناوله ، فيقال : هو منه على حبل الذراع وطرف الثمام .
(٢) بردها : يريد به بردى .
(٣) تقدم شرح الاجازة الشعرية ، في موضع سابق .

حيثُ [رندانة] النسيم تمشّتْ　　مِشيةَ الخَوْدِ تنجلي في رُباها(١)

وقال الوالد السيد محمد :

وغصون الخِلاف تنشر نشراً　　عَبِقاً ضمّختْه من مَسْراها
عاكفات على الجداولِ حتى　　خِلْتَها تبتغي به نجواها [١٥٣

فقلت :

وبحيثُ الطرفاءِ مدّتْ ملاءً　　سُندسياً قد خفّرتهُ صَباها(٢)
وغدا المرجُ كالحريرةِ مَسّاً　　تبلغُ العين فيه أقصى مَداها

فقال الوالد السيد محمد :

يالها نُزْهةً بها هتَفَ الطيرُ　　يُناغي حمامُها في حِماها
قد حمدنا مسارحَ الطرفِ فيها　　ونعمنا بشذوِها وشذاها

وكتب جواباً عن رقعة وأبيات من الأمير منجك باشا رحمها الله تعالى :

بَكَرتْ عليَّ رسالةٌ　　دارينُ تروي النَّشرَ عنها(٣)

(١) بين معقوفين هكذا جاءت في الأصل ولعل صوابها (ريدانة) أي الريح اللّيّنة .
(٢) الطرفاء : شجر معروف .
(٣) دارين : موضع بالشام وقد تقدم ذكره .

تحكي الشَمالَ مع الشمولِ   أو الصَبا إن لم تكنها(١)

وافَت بكلّ غريبةٍ   فحمدتُ حُسْنَ الودّ منها

أهدَى لي الروضُ المفوّ   فُ طيبَ مسراها وأنهى

هذا وقد طالعتُ مَخبَرها ، واستشفيتُ جوهرَها ، فإذا بها روضةُ حزن ، وجنةُ عدْن تدبّج ربطها المنتشر ، وازدوجَ طيرُها المُستَحير ، وتأرج عبيرُها ، وتدرّج على صفحاتِ الخائل غديرها ، فمن زهرٍ متّسق ، ونشر منفتق ، ورباوة تزدان أفنانُها ، وقرارةٍ تنساب خلجانُها ، فعين الله على هاتيك الحِلالْ ، وبخٍ بخٍ ساق بخلخالْ ، كيف لا وقد حيّتْ من القريضِ بما يروق ويفوق ، وأغنتْ عن ألحان الغريض بما يرنّحُ الأعطاف ويشوق(٢) .

فشكراً يانسيمُ فقد أتيتنا   وحيّيتنا على يدكَ الرياضُ

فلا زالتْ أبكارُ أفكارك توحي نوافثَ السِحْر ، وتزري بعنابر الشِحْر ، وتنثر(٣) فرائدَ الدررْ ، وتربي على رِقّة السَحَر . [١٥٤]

ما وَنَت عِطفَ المشوقِ رسالةٌ   وافَتْ إليه بكلّ معنًى مُبتَكَرْ

(١) الشمال : ريح تهب الجنوب ، والشمول : الخمر .

(٢) الغريض : المغني المشهور في العصر الأموي ، وقد تقدم ذكره .

(٣) عنابر الشحر : جمع عنبر ، والشحر : موضع في البحرين ، يضرب المثل بجودة عنبره ، وقد تقدم شرحه في موضع سابق .

وقال معرّباً لأبيات تركية للمرحوم ابن كمال باشا .(١)

لو أنّ بيضةَ زاغٍ راحَ يحضُنُها   في جَنّة الخلدِ طاووسٌ ويرأمُها(٢)

وكان بالكوثرِ العذبِ الفراتِ لدَى   حَضيرة القدسِ مرباها ومطعمها

لم تأتِ إلاّ بزاغٍ وهي صاغرة   وذلك الأصلُ لاينفكُّ يلزَمُها

وقال غفر الله ذنوبه :

توسمتُه لمّا تكامل حُسْنُهُ   وقد رَقرَقَت فيه الشبيبةُ ماءَها

فخلتُ بأنّ الحولَ حان ربيعُهُ   وأنّ رياضَ الحزن أبدتْ رُواءَها(٣)

فنفّستُ عن طير الجوى بتأوهي   وأرسلتُ عيني بالدموع وراءَها

وقال وهو من تشابيهه الحسنة :

كأنّما شجرات الدَوْح في خِلَع   تندى فيبلغ أقصى الحسن مبلغها

أرواحُ درٍّ تبيتُ المزنُ في بشَرٍ   من الزُمُرّدِ بالأنواء تفرغها

(١) هو شيخ الإسلام شمس الدين بن كمال باشا ، تعلم في دار الحديث في أدرنة ، علّم في مدارس اسكب وأدرنة ، تولى القضاء في الأناضول ، توفي في استنبول (١٥٣٣ م) ، شاعر ، مؤرخ ، أديب ، له مؤلفات في اللغتين : التركية والعربية .

(٢) الزاغ : طـائر معروف ، وهو غراب صغير ، ريش بطنه وظهره أبيض .

(٣) الحول : العام إذا تكامل .

ماجت بمدرجةِ الأنفاسِ واطردت   كأنّما حولها أيدٍ تدغدغها

وله :

أيا ليلة باتَت تساهم مقلتي   إلى الصبح أقذاء السُّهادِ نجومُها (١)

وطئتُ بها ناراً من الهمِّ تمنعُ النـ   ـعامَ التقاطَ الجمرِ منها ضريمُها

وإني على ما فيّ من لين ملتوى   جليد على حملِ الهمومِ كتومُها [١٥٥]

* * *

(١) أقذاء : جمع قذى : الوسخ المتجمع في موق العين ، والسهاد : السهر .

حرف الواو

قال طيّبَ اللهُ ثراه :

ألا حبّذا شجراء جِلّق عُرّيتْ   من الحَلْي أو لم تَعْرَ فهي على السّوَا

فإنْ تكتس فالحالُ لا شك بيّنٌ   وإنْ عُريتْ أغرتْ فؤادكَ بالجوى

ألمْ ترها تحكي نحافةَ عاشقٍ   فتذكر بالمحبوبِ من كانَ ذا هوى

وقال سقى الله ثراه وجعل الجنه مأواه .

ما اسم ثلاثي ترى   مقلوبَه كالمستوي (١)

ولربّما استمتعت فيـ   ـه وهو حلوٌ مُستوِي (٢)

* * *

(١) المستوي : المعتدل . من الاستواء .

(٢) المستوي هنا : الناضج .

حرف اللام والألف

قال في المولد الشريف .

سيّد الرسلِ خيرُ من قد تحلاّ   بصفاتِ الكمال قولاً وفعلا
ليلةُ المولدِ الشريف من الدهرِ ضيـــاءٌ لِمن دعى ليسَ إلاّ
خرّ للهِ ساجداً ثم سنّى   طرفه للسماء حين استهلاّ
وتدانت منه النجومُ وما كا   نتْ لغيرِ النبيِّ أن تتدلّى
فتراءت قصورُ بُصرى من أرض الشـــامِ من نورِ ذاته مُذ تجلّى[1] [١٥٦]
وتداعى الإيوانُ إيوانُ كسرى   فاغتدى صاغراً هناك وذلاّ
ولكم آيةٍ بها خصّهُ اللـــهُ ـ وفضلٍ حباهُ ـ عزّ وجلاّ

ومما كتب به إلى بعض الأدباء .

ويحَ قلبي كم ذا يطيق احتمالا   أوسعتني بيضُ الأماني مُحالا
ساورتني نوازعُ الشوق حتى   تركتْ وَبلَ أدمعي مهطالا[2]

(١) تقدم هذا البيت في حرف الميم ، مع تحريف طفيف ببعض كلماته . انظر ص ٢٥٠ .

(٢) الوبل : المطر الشديد .

يا تُرى من أثابَ لي مِحَنَ الوجـــدِ فأرْبَتْ عليّ حالاً فحالا
أهوَ الحادثُ الملمُّ وقدْ أوســعني فُرقةً تُشيبُ القذالا[1]
أمْ هُوَ البَيْنُ أشتكيهِ وقد أوْ   رَثني من صُرُوفِه بلبالا..[2]
صارَ قلبي منهُ كقرطاسِ رامٍ   فوّقتْ نحوه القسيُّ النبالا
غادرَتْني الأيامُ من بعد صفو   العيش بالظنّ أقوعَ الآمالا
فعسى أنْ يُراشَ مني جناحُ الحـــظِّ يوماً ويُصلحُ الدهر حالا
ويعودُ الهنـــا بعَودكَ يامَنْ   سَلّهُ الدهرُ من يديَّ استلالا
فالأناة الأناة قد بلغَ السيلُ الزُ   بى وامتلأتُ منكَ مِطالا[3]
ليتَ شِعْري حتى مَ تسلكُ في طُرْ   قِ النّوى جاهداً وأبدي احتمالا
أتُراني خُلقتُ كلّيَ صبْراً   فأطيقَنْ للخليطِ الزِيالا[4]
يا خليلي إليكَ مني سلاماً   وثناءً أوسعتُ فيه المقالا

(١) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٢) البلبال شدة الهم .

(٣) بلغ السيل الزبى : مثل يضرب في تجاوز المدى والحدّ ، والزبى : جمع زُبية : وهي حفرة الأسد في أعلى الجبل . وفي الأصل جاءت هكذا (الربى) بالراء .

(٤) الخليط العشير ، والزيال : الفراق .

ما رياضٌ مطلولةُ الزهرِ قد حلَّـ   تْ عليها سُحْبُ الوليِّ العَزَالا(١)

فزهى زهرها وأخصبَ ريّاها   وماست بها الغصونُ اختيالا

فأنسيابُ الأصيلِ فيها كأيْمٍ   فاجأته أيدي الخطوبِ اغتيالا(٢) [١٥٧]

وكأنَّ الإقاحَ منهـا شِفاهٌ   أودعتها مُزْنُ الربيعِ الزُّلالا

وكأنَّ الشقيقَ خدٌّ لطيمٌ   كوَّنتْ فيه بهجةُ الحسنِ خالا

وكأنَّ الأطيـارَ حينَ تغنَّتْ   غادرتْ بينها الغناءَ سجالا

وكأنَّ الأراكَ منها طروبٌ   هزَّهُ باعثُ الغـرامِ فمالا

وكأنَّ الغديرَ مِقدامُ جيشٍ   كرَّ نحو البيداء يبغي النِزالا

وكأنَّ الأريجَ من نشرِ يبْرين   بأرجائِهـا يحطُّ الرحالا

في زمانِ الربيعِ يوماً بأزهى   منهما رونقاً وأبهى جمـالا

فلأبن جُهْـداً عليَّ لبعدي   وبودّي أنْ لا أرى الإقلالا

وثنائي يتلوهُ مني لسـانٌ   ناطقٌ بالثنـاءِ حالاً وقالا

وأبقَ واسلم مروَّحَ البالِ ما   أورثَ وشيُ الندى الرياضَ اخضلالا

وقال جعل الله الجنة مأواه :

وأبقَ واسلم لوجنةِ الدهرِ خالا   طالعاً في سما الزمانِ هلالا

---

(١) عزالى : واحدها عزلاء : وهي كأفواه القرب في السحاب منها بقطر المطر .

(٢) الايم : الضخم من الحيات ، والأيّم : بالتشديد : الثاكل .

فتنـالَ الكمالَ شيئاً فشيئاً   كترقّي الهلالِ حالاً فحالا

بالغاً مَبلغاً من الشرفِ الأسـ   ـنى يردّ العيونَ حسرى كِلالا

في علوٍّ لا ينقضي أمَدَ الدهـ   ـرِ وفخرٍ ما إنْ يخاف الزوالا

وادعُ في نظمِك القوافيَ يأتيـ   ـنَ رجالاً متى أردتَ ارتجالا

واتخذْ صهوةَ الثريّا مقـاماً   ناظماً أنجمَ الثريّا مَقالا

أيُّ شعرٍ لك اعتصرت قوافيـ   ـه من السحرِ هيّجَ البلبالا(١)

وسُلافٍ متى أردتُ التداوي   من خُماري شربتُها جريالا(٢) [١٥٨]

ومن الخمرِ ما يكونُ مُباحاً   ومن السحرِ ما يكون حلالا

ومن النظمِ ما يُصاغُ عُقوداً   ومن النثرِ ما يسيلُ زُلالا

نفثاتٌ لو شبَّهوا سِحْرَ هارو   تَ بها لم يكن عليهم محالا

هي فعلُ العيونِ في مُهجةِ الصـ   ـبِّ وخلِّ الطّلاو(بِلّة)(٣) العزالا

سَرِقاتٌ لكنهـا من سجايا   كَ بها صرت تفتح الأقفالا

حَسْبُ عينٍ رأتك قرةَ عينٍ   وفؤادٍ خطرتْ فيه اشتعالا

---

(١) البلبال : شدة الهم .

(٢) السلاف والجريال : من أسماء الخمر .

(٣) كذا في الأصل وبها يختل الوزن والمعنى .

لي شوقٌ إليك رقَّ إلى أنْ صارَ يُدعى صبابةً واعتلالا
كل يوم أقولُ تجمعُنا الأيــــامُ والدهرُ يعكِسُ الآمالا
صبحتك الصَبا شَمالاً وناهيــــك إذا كانت الصبا سُحَيْراً شمالا
بتحياتِ مُغرمٍ لو هدى الركــــبَ سناها أزالَ عنه الضّلالا

وقال مادحاً المولى عبد الرحمن أفندي حسام زاده المفتي الأعظم سابقاً :(١)

خيرَ مَا مقدمٍ أفاضَ النَوالا وأجدَّ السرورَ حالاً فحالا
حلَّ في مربعٍ خصيبٍ ولاقى زَمَناً نازعَ البدورَ الجمالا
بركاتٌ تتابعتْ في ذرى السعْـــدِ فكانتْ في وجنة الدهر خالا
غشيَ الأفقَ من سناها ابتسامٌ مُبْهِجٌ للورى فكان الهلالا
جاء مستتبعاً لآثارِ مُزْنٍ قد أعدّتْ لكلِّ حسنٍ مثالا
يومَ عيدٍ وحكم فصلٍ جديد يُوسع الروضَ جِدَّةً واقتبالا
ظلَّ فيه النسيمُ يزدادُ لُطفاً كلما ازدادَ صِحّةً واعتلالا
فكأنَّ الرياضَ وشيٌ بديعٌ ينعمُ الطَرفُ في مداهُ المجالا [١٥٩]
كلُّ فصلٍ مِن الزمانِ عجيبٌ غيرَ أنَّ الربيعَ أزكى خِلالا(٢)

(١) تقدمت ترجمته في الصفحات السابقة .
(٢) الخلال الصفات الكريمة .

وكذاكَ الحسامُ ماضٍ ولكنْ قلمُ ابنِ الحُسامِ أمضى فعالا(١)
سيّدٌ حازَ للمفاخرِ شأواً راحَ يسمو على السماكِ مَنالا(٢)
قد حوى الفضلَ مُستبداً بفهمٍ لو دعاهُ يسيلُ لُطفاً لسالا
وذرا أوجهِ البلاغةِ حتى أوشكتْ أن تكونَ سِحْراً حلالا
مِنَحٌ جمـــةٌ وأضواءُ فضلٍ سيَّرتها بنو العُلى أمثالا
قد تولّى أمَّ القرى ينتحيها بركابٍ سعوده تتوالى(٣)
وحباهُ الإلهُ خُلقاً كريماً ووقاراً وعِفّــةً وكمالا
هي منه تمائمٌ للمعالي وعقودٌ بجيدها تتلالا
فاهنَ مولايَ بالفيوضاتِ مِمّا خصَّك الله مبـــدءاً ومآلا
وبعيدٍ بالبشر يتلوه عيـــدٌ في مِنىً تجتلي به الآمالا
وأعتقلها في السانحات قوافٍ ليس تألوك في الثناء مقالا
وأبقَ واسلم ما أطربَ العيسَ حادٍ فأرتمتْ بالذميل تفلي الرمالا(٤)

(١) الحسام الأولى : السيف ، والثانية اسم والد الممدوح ، ولا يخفى جمال التورية في البيت .
(٢) السماك : كوكب نيِّر .
(٣) أم القرى : يريد مكة المكرمة [وسميت بذلك ، لأنها أول قرية بنيت على وجه الأرض ، ويقال أيضاً سميت بذلك لأنها : أقدس وأطهر بقعة على وجه البسيطة] .
(٤) الذميل : السير الليّن ، يستعمل للجمال .

ورأيتُ بخطه ما صورته : قال سامحه الله تعالى ودرّجنا في بعض الأيام إلى حديقةِ وردٍ على حين انصرامه ، وانقضاء أيامه ، فرأينا منها ما يستوقف النظّار ويقف عرضة لبنات الأفكار ، وقامت شجراتها تميدُ ، بكلّ معنىً فريد ، فتجلّى علينا نضارة الخدود ، على غضارة القدود ، وتبعث إلينا حولة الشميم ، مع رندّانة النسيم ، فلمّا استقرّ بنا الحال ، بين هاتيك الظلال ، غادرت صحبي وقد جنحوا للقعود ، وقمتُ أطوفُ بين هاتيك الورود ، فلم تزل تستبيني بمحاسن أعطافِهـــا . [١٦٠]
وتغريني على تفقدِ كوامنِ أوْصافِها ، حتى وقفتُ منها على شجرةٍ صغيرة ، بل طفلةٍ غريرة ، قد شرقَتْ بالجدةِ والطراوَة ، وأخذتْ بزمامِ الرونق والطلاوَة ، وعليها وردتان معتنقتان ، إحداهما برزَتْ بين أترابها وقد حطّتْ عن نقابها ، وبلغت مبلغَ شبابها ، والأخرى قريبة عهـــد ، وحليفة مهد ، لم تعد برعومتها ، ولا بَدَتْ جنبذتها ، فعددت هاتيك الشجرة من الأطفال ، واحتفلت بشأنها غاية الاحتفال ، وقلتُ مرتجلا مع الاكتفا ، بعد ما دعوت إليها من حضرنا من الظرفا .

مُذ أتيتُ الوُرُودَ أبصَرْتُ فيها   طفلةً لم تَزَلْ تعانِقُ طِفْلا
طافَ مِنْ حولِها الجُناةُ فنادَتْ   من يَرومُ اغتصابَها الطِفْلَ [طُفْ لا]

فابتهجَ القومُ بهذا الارتجالْ ، وتداعبْنا بما حضَرَ في هذا المجالْ ، وقد حركتْ منهم ساكنَ النشاطْ ، ونبّهتْ جفْنَ الطربِ بعد الهجودِ والارتباطْ ، فعطفت على القولِ ثانيا ، ولم أكُ عن هذه المُلَح متوانيا ، فقلتُ :

ولم أنسَ لمّا أنْ حللنا بدَوْحة   بها شجراتُ الوَرْدِ دانية القَطْفِ

فشِمْنَا بها طِفلاً يعانِقُ أمَّهُ   على قيس شبرٍ قد تكوّن من لُطْف[1]
يَضمُّ فماً منه لتقبيلِ خدّها   فيجذُبه عنها النسيمُ على ضعف
وقد كادَ لولا الضعفُ من فرْطِ غيْرَة   يحاولُ قصْفاً وهي تنميهِ للقصْف

فلم يكُ إلاّ ريثما جنَحتِ الشمسُ للاصفرار ، وكادت تنجلي سحابةُ ذلك النهار ، حتى عدتُ لتفقدها ، وقد كنتُ ألزمتُ نفسي شيمةَ تعهدها [١٦١]
فإذا بالهواء قد نشرَ هاتيك الجمّة ، والطفلُ[2] المذكور قد ثكلَ أمّه ، فتعوذتُ من جناية الهواء وظلمه ، ولم أدرِ أنّ الطفلَ قد طفقَ يبسمُ في كمّه ، فلمّا رأيته بهذا الجذَلِ والافترار ، ختمت بهـــذا القول تماثيل ذلك النهار :

لم أنسَ في شجراتِ الورْدِ مُطفلَةً   ضمّتْ إليها ارتياحاً بنت ليلتها
جرّ النسيمُ على أوْراقِها أزُراً   ألوَتْ بها فتولتْ بعـــد نضرتها
فما رأيتُ يتيماً إثْرَ والدةٍ   يُبدي ابتساماً سواها إثْرَ فرقتها

وقال عفى الله تعالى عنه :

يانسيمَ الصَبا رويدَكَ مَهْلاً   قُصّ عني الحديثَ بلاً فبَلاً[3]
قلْ لِمَن يزعمُ الثرى في أيادٍ   يه الثريّا أوسعتْ زعْمَك جهلا
وتلطّفْ به فقد خلّفَ الرأيَ   وراءَ الحجى بجهـــلي فضلا

---

(١) قيس شبر : لعله يريد : قيد شبر .
(٢) يريد بالطفل : الشجرة الصغيرة ، كما قال هو نفسه ، وثكل أمه : فقدها موتاً .
(٣) بلاً فبلاً أي نسمة نسمة ، من البلَل .

[وقامت] أراه طوعَ ابليس   هوى النفسِ قبلة حيثُ صلّى(١)

فغدا يحسبُ الغوايةَ بالجهـ   ـل رَشاداً ويحسبُ الجهلَ فضلا

فدعِ النُصحَ باذلَ النُصحِ إنْ لم   تُلفِ للنُصحِ والهدايةِ أهلا

لستُ أنسى وقد تملك شطرنجاً   على الوهم تافهـاً مضمحلا

فغدا قابضاً على قَصَبِ سَبْقٍ   ويظنُّ الشطرنج قِدحاً معلّى

فكأنَّ الفرزين حقاً وزيراه   وكلٌّ ولاّه عَقداً وحَلاّ(٢)

وكأنَّ البيادقَ البيضَ والسُمْرَ   جُنوداً تحتاطه حيث حَلاّ

وكأنَّ الرِخاخ طوعاً أظلّوه   من الزاهرَين حيثُ استقلا [١٦٢]

وكأنَّ الأفيالَ أفيال ملك الهنـ   ـدِ سيقتْ إليه جَنْباً وذلاّ

وكأنَّ الأفراسَ خيل ابن دا   ود أتتْ نحوه تقبّلُ نَعلا(٣)

وكأنَّ النطعَ البساطُ علاهُ   من سُليمان سيّد حازَ فضلا(٤)

---

(١) هكذا جاءت بين معقوفين في الأصل . وبها يختل وزن البيت ومعناه .

(٢) الفرزان ، والبيادق والرخاخ والأفيال والأفراس ، كلها من حجارة الشطرنج اللعبة المعروفة .

(٣) ابن داود : يريد به النبي سليمان الحكيم ملك بني اسرائيل (١٠٠٨ ق ٠ م / ٩٧٨ ق ٠ م) ٠ ومشيّد هيكل اورشليم .

(٤) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالإعدام . الجمع : أنطاع ونطوع .

وكأنّ الشاهَين ملكان في أسـ   ـرِ يديه سباهما الملكُ طِفلا(١)

وقال معمياً في اسم محمد :

ربَّ ظبي مُقَرْطَقٍ مُذ تبدّى   خلتَ بدراً من فوقه قد تلالا

لاح في الثغر جوهر من ثنايا   ه فأبدى في الخدّ خالاً بِلالا

وقال قدس الله روحه :

إنْ شِئتَ تنظرني وتنظر حالتي   قابل إذا هبَّ النسيمُ قبولا

فتراه مثلي خفّـةً ولَطافَةً   ولأجلِ قلبك لا أقول عليلا

وهو الرسولُ إليك مِنّي [ليتني   كنتُ اتخذتُ مَعَ الرسولِ سبيلا](٢)

* * *

---

(١) الشاهان حجران من حجارة الشطرنج .

(٢) آية قرآنية كريمة .

حرف الياء

قال نوّر الله ضريحه متغزلاً :

أيّ قلبٍ يبقى على الحبّ أيّ — طَرْفُ مَنْ قَدْ هويتُهُ بابليّ [١٦٣]

ليس لي من هواه راقٍ وداءُ — العشقِ بين الأنام داءٌ قوي

قادني نحوه الغرامُ وفي جَفنَيْــــهِ شيءٌ — يدعو المحبَّ خفيُّ

هوَ من دونه الغزالةُ جيداً — وبأعطافه من الغُصْنِ زيُّ

بدرُ تِمٍّ مُخَصّرُ الخَصْرِ أحوى — حَدَثُ السنِّ مستجدٌّ جني

مترفٌ ما يكاد يخطر إلاّ — بانَ في عطفه كلالٌ وعيّ..

يشبه النور في نصاعة وجهٍ — عَنْدميّ الخدودِ غرٌّ [حييّ]

روضة للجمال صيغت من الدرِّ — وغصــن يعروه هزٌّ وليّ

ليَ من مقلتيه رمزٌ خلوبٌ — وابتسام بادٍ ووحي نجيُّ

وقال برّد الله مضجعه ملغزا :

أيا من غدا في اللغز سبّاق غاية — فغادرني أهدي اليه الأحاجيا(١)

(١) الأحاجي : جمع أحجية ، اللغز .

فما اسمٌ ثلاثي شرود موانس — تركَّبَ من عشرٍ ويلفى ثمانيا

تعلقتُهُ حتى وردت نميره — وأصبحتُ منه بالفرائد حاليا

فلو كنتُ في عهد ابن حمدان ماثلاً — لغادر زندي منه بالحدِّ واريا(١)

ورحتُ لما قال ابنُ ميمون منشداً — [أحثُّ به نحوَ الديارِ المهاديا](٢)

دعاني فأدناني وقرّبَ مجلسي — ورحّبَ بي وانتاشني واصطفانيا(٣)

أجب عن يتيمٍ مات في الناس أهلُهُ — ودُم في ذُرى الآدابِ فرْداً يمانيا

وقال سامحه مولاه :

مرَّ بنــا ظبيٌ حريريّ — عذْبُ اللَّمى في عِطفه ليّ

يا ما أُحيلاه إذا ما شدا — تقول قد جاء السريجيُّ(٤) [١٦٤]

ما أغنج الألحاظ في طَرْفِهِ — وخــدُّه باللحظِ مجنيُّ

(١) ابن حمدان : يريد به الأمير العربي الخالد سيف الدولة الحمداني (٣٠٣هـ/٣٥٦هـ) .

(٢) ابن ميمون : هو الأعشى بن قيس بن جندل بن شراحيل . أحد أركان الشعر الجاهلي ، كان يسمى « صناجة العرب » توفي سنة ٧هـ / ٦٢٩ م . والعجز من كلامه .

(٣) انتاشني : انتاش الشيء تناوله وأخرجه .

(٤) السريجي : نسبة إلى ابن سريج المغنّي .

فطرفه للفرسِ إمّا بَدا ونطقُهُ نطقٌ حجازيُّ

ومن تخيلاته البديعة قوله :

نبهته سَحَراً والكأسُ فوق يدي والعودُ مُصْطَخِبُ الأوتار يُجْليهِ
فرفع الجيدَ عن كفي وقد فَتَرتْ أطرافُهُ وأنا أُدْنيهِ من فيه
كما ترفع غصن البانِ منتصباً حالاً فحالاً إذا ما رحت تثنيهِ

وقال كفاه الله شر موقفه :

لمّا بَدا بَرَدَى تَجودُ فروعه بين الرياضِ دَعَى إلى التشبيهِ
فكأنه فيها سبائك فضّـةٍ وكأنّها قِطَعُ الزَبَرْجَدِ فيه (١)

(١) السبائك : جمع سبيكة : القطعة من الفضة المذابة والمفرغة في شكل ما . والزبرجد . حجر كريم ، شبيه بالزمرّد ، أشهره الأخضر منه .

وله مواليا (١) :

لو رحتُ أبكي بكتْ لأجلي القلوبُ القسي (٢)
أوْ بتُّ أشكي للانتْ لي الصخور العسي
أبيتُ والوجدُ في قلبي حبالُهْ رسي
أندُبْ مُصابي وأحبابي عهودي نسي [١٦٥]

* * *

(١) المواليا : من الفنون الشعرية التي وضعت للغناء ، ويسمى اليوم بـ (الموّال) ويسمونه في العراق أيضاً (الزهيري) ، ويقال ان أول من تكلم به بعض أتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم يا موالي بالجمع ويضيفونه إلى ياء المتكلم فيصير هكذا : يا مواليّا ، وقد سماه بعضهم (مُوالي) لموالاة بعض قوافيه بعضاً ، راجع (الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ، المرحوم معروف الرصافي ، ص ١٢١ ، ط ١ ١٩٥٦ م ، مطبعة المعارف ـ بغداد) .
(٢) القلوب القسي : يريد القلوب القاسية .

تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن
النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة و
الرضوان جمع السيد الشريف الحسيب
النسيب محمد سعدي بن عبد الرحمن
رحمه الله تعالى وافق الفراغ
من نسخه ضحوة نهار الثلاثاء
لثمان بقين من شهر رمضان
سنة تسع وثلاثين
ومائة وألف
على يد الفقير أحمد محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين
أجمعين والحمد لله رب العالمين

تم والحمد لله

الفهارس

١ ـ فهرس القوافي

٢ ـ فهرس الخطأ والصواب

١ - فهرس القوافي

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

(١) هذه محاورة بقافية « الراء » وردت في جزء الديوان الخاص بحرف « الميم » بسبب حكاية وردت هناك .

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد

حرف العين المهملة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

(١) هذه محاورة جعلناها قصيدة واحدة في الفهرس لاتفاق الوزن فيها والقافية وإن اختلف القائلون .

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف اللام والألف

(١) هنا حوار شعري بين العامر ووالده جعلناها في الفهرس قصيدة واحدة .

حرف الياء

٢ ـ فهرس الخطأ والصواب

مقدمة الديوان

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٢	١٣	صافي	صاف
١٢	١٣	وبـلامة	وسلامة
٢٤	٨	على	عليها
٢٤	١٤	« فراغ »	بالبكاء عليه
٢٥	٤	العريض	الغريض

الديوان

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥	٥	وهو ابني	وهو اسماعيل
٨	٧	جمعَ	جمعُ
١٣	٥	الدّل	الدّل
٢٣	٩	مرّ	مرٌّ
٣٠	١٠	جلت	جُلتُ
٣٠	١٠	أنقا	أنقا
٣٤	٢	تمنى	تمنّ
٣٥	٢١	الأزفر	الأذفر
٦٣	٩	ضمنا	ضمّنا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٦٩	٥	يلغى	يُلفى
٧٠	١	يندي	يندى
٧٠	١	بمنتحل	بمنتخل
٧٠	١	جباحه	جناحه
٧٢	٦	إنّه	أنّه
٧٤	٧	منصه	منصة
٧٤	٧	غصه	غصة
٩٧	٣	ابن	بن
١٠٢	٦	قمَصُ	قمُصُ
١٠٤	٥	أسدا	أسدى
١٠٦	٤	الدّل	الدّل
١٠٧	٣	تَفوّقها	تُفوّقها
١١١	١٠	عاهدتموا	عاهدتم
١١٢	٩	خوذستان	خوزستان
١٢٩	٣	أرشفتني	أرشفني
١٣٠	٦	قرين	قَرين
١٣٠	٨	جَون	جُون
١٣١	٨	نغدوا	نغدو
١٣٢	٢	انبرا	انبرى
١٤٠	١	سفينِ	سفينُ
١٤٣	٦	بامم	بامم

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٤٥	١	انبرا	انبرى
١٤٨	٥	بتحديد	بتجديد
١٥٠	١٢	دوله	ذوله
١٥٤	٨	شَدْت	شُدْت
١٥٤	٨	تُهار	تَحار
١٧٠	٨	يف	يلفَّ
١٩٦	٥	كبب	كتب
١٩٧	١٢	شموع(٣)	شموع (٤)
١٩٧	١٤	نزوعي (٤)	نزوعي (٣)
١٩٨	٧	يقعل	يقفل
٢٠٠	١٢	في خوزستان	(تحذف)
٢٠١	٩	تحكي	يحكي
٢٠٢	٨	فيحيي	فيحيي
٢٠٥	٥	مواف	موافي
٢٠٦	١٢	حرى	حيرى
٢٠٧	٧	بسَامينن	بسَامينن
٢٠٨	٨	وضَوْب	وصَوْب
٢٠٨	٩	درى	ذرى
٢٠٨	١١	ليعرف	ليغرف
٢١٠	٧	العش	العيش
٢١٠	١١	تغدوا	تغدو

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢١٣	١٩	إلية	ألية
٢١٥	١٠	بحظي	بلحظي
٢١٨	١٤	المرار	المراد
٢٢٠	٢	تَخيّر	تُخيّر
٢٢٢	٣	دكني	دكني
٢٢٣	٥	تهلت	تهللت
٢٢٣	٨	طوعَ	طوعُ
٢٢٥	٢	النُّور	النَّور
٢٢٥	٤	سَجراتها	شَجراتها
٢٢٦	٣	لغر	لغير
٢٢٧	١٤	إلفى	إلفي
٢٢٨	٣	لتتلوا	لتتلو
٢٣٢	٥	ليدينك	ليدنيك
٢٣٦	١٢	سعيا	سعياً
٢٤٥	١٨	النسر	الصقر
٢٤٨	٨	أفقَ	أفقُ
٢٥١	١٠	فُفَتي	فِفتي
٢٥٦	١٣	خَضَر	خَضِر
٢٥٩	٢	لو أنها	لو آنها
٢٦٦	٩	ليَنِ	ليَنَ
٢٦٩	٦	أطيارَه	أطيارُه

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٧٤	١٢	سُحبان	سَحبان
٢٧٥	١ و ١١	عُقيان	عِقيان
٢٧٥	٣	نسيجةُ	نسيجةَ
٢٧٥	١١	الفضة	الذهب
٢٨٠	١	بِها	بَها
٢٨١	٤	أملّت	أمَلّت
٢٨٥	٥	وطنتَ	وطنتِ
٢٨٥	٦	لتُخفي	لِتخفى
٢٨٥	٩	ذرت	نظرت
٢٩٣	١١	الزمرّد	الزمرُّد
٢٩٧	٦	يصلحُ	يصلحَ
٢٩٨	٤	إقاح	أقاح

فهرس مراجع التحقيق

(أ)

١ ـ الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه

معروف بن عبد الغني الرصافي (ت ـ ١٩٤٥ م)

مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٦ م .

٢ ـ الأدب العربي في الأندلس

محمد عبد المنعم خفاجه ، حسن جاد حسن .

القاهرة

٣ ـ الأعلام [١ ـ ١٠]

خير الدين الزركلي ، القاهرة ، ١٩٥٤ م ـ ١٩٥٩ م

٤ ـ الأغاني

أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصفهاني (ت ـ ٣٥٦ هـ) .

طبعة دار الكتب المصرية .

٥ ـ الإكليل ، الجزء الثامن

أبو محمد الحسن بن أحمد المعروف بابن الحائك الهمداني (ت ـ ٣٣٤ هـ)

طبعة الأب أنستاس ماري الكرملي (ت ١٩٤٩ م) بغداد ـ ١٩٣١ م ،

وطبعة نبيه أمين فارس ـ جامعة برنستن ١٩٤٠ م .

(ب)

٦ ـ البداية والنهاية

عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ـ ٧٧٤ هـ)

مطبعة السعادة ـ القاهرة . ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

(ت)

٧ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية

محمد بك فريد (ت ـ ١٩١٩ م)

مطبعة التقدم ، القاهرة ـ ١٩١٢ م .

(خ)

٨ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر [١ ـ ٤]

محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المعروف بالمحبي الدمشقي

(ت ـ ١١١١ هـ)

المطبعة الوهبية ـ القاهرة ـ ١٢٨٤ هـ .

(د)

٩ ـ ديوان ابن المعتز

أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت ـ ٢٩٦ هـ)

تحقيق المرحوم الشيخ محي الدين الخياط ـ دمشق ـ ١٣٧١ هـ

١٠ ـ ديوان أبي تمام

حبيب بن أوس الطائي (ت ـ ٢٢٨ هـ)

نشره الشيخ محي الدين الخياط ـ بيروت ـ ١٣٢٣ هـ .

١١ ـ ديوان أبي نواس

الحسن بن هانيء (ت ـ ١٩٨ هـ)

تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ م .

١٢ ـ ديوان امرىء القيس

تحقيق المرحوم حسن السندوبي ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ م .

١٣ ـ ديوان البحتري

أبو عبادة الوليد بن عبد بن يحيى الطائي (ت ـ ٢٨٤ هـ)

مطبعة الجوائب ـ الاستانة ـ ١٣٠٠ هـ .

١٤ ـ ديوان التهامي

أبو الحسن علي بن محمد التهامي (ت ـ ٤١٦ هـ)

مطبعه الأهرام ـ الاسكندرية ـ ١٨٩٣ م .

١٥ ـ ديوان خليل مردم بك (ت ـ ١٩٥٩ م)

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ١٩٦٠ م .

١٦ ـ ديوان العرجي

عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (ت ـ ١٢٠ هـ)

تحقيق ـ خضر الطائي ، ورشيد العبيدي . بغداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

١٧ ـ ديوان العباس بن الأحنف (ت ـ ١٩٢ هـ)

مطبعة الجوائب ـ الاستانة ـ ١٢٩٨ هـ .

١٨ ـ ديوان المتنبي

أبو الطيب احمد بن محمد بن الحسين (ت ـ ٣٥٤ هـ)

تحقيق ، المرحوم عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ١٩٣٠ م .

١٩ ـ ديوان معروف الرصافي (ت ـ ١٩٤٥ م)

الطبعة الخامسة ـ القاهرة ١٩٥٦ م .

٢٠ - ديوان كشاجم

أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم (ت - ٣٥٠هـ
أو ٣٦٠هـ) .

المطبعة الانسية - بيروت - ١٣١٣هـ .

(س)

٢١ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر

أبو الفضل محمد خليل المعروف بالمرادي الدمشقي . (ت - ١٢٠٦هـ)
طبع الجزء الأول والثاني والثالث ، في الآستانة - ١٢٩١هـ -
وطبع الجزء الرابع في بولاق - ١٣٠١هـ .

(ص)

٢٢ - الصحاح ويعرف بـ (تاج اللغة وصحاح العربية)

أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري (ت - ٣٩٣هـ) .
طبعة بولاق - ١٢٩٢هـ .

(ع)

٢٣ - عصر المأمون

للدكتور احمد فريد رفاعي
الطبعة الرابعة - القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .

(ق)

٢٤ - القاموس المحيط والقابوس الوسيط

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت - ٨١٧هـ)
طبعة - بولاق - ١٢٧٢هـ .

(م)

٢٥ - مجلة المجمع العلمي العربي

المجلد ٣١ ، الجزء ٢

٢٦ - محيط المحيط

بطرس البستاني (ت - ١٨٨٧م) . بيروت - ١٨٧٠م .

٢٧ - مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي . اختيار محمود خاطر بك -
الطبعة الخامسة . ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م .

٢٨ - المزهر

أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي
(ت - ٩١١هـ) طبعة بولاق - ١٢٨٢هـ .

٢٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير

أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت - ٧٧٠هـ)
مطبعة محمد مصطفى - القاهرة - ١٣٠٢هـ .

٣٠ - معجم البلدان

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت - ٦٢٦هـ)
طبعة - القاهرة - ١٩٠٦م .

٣١ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة
يوسف اليان بن موسى سركيس (ت ـ ١٩٣٢ م) .
مطبعة سركيس ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

٣٢ ـ مقدمة ابن خلدون ، وهي الجزء الأول من كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر ... » .
أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التونسي الحضرمي المعروف بابن خلدون (ت ـ ٨٠٨ هـ)
طبعة ـ بولاق ـ ١٢٧٤ هـ .

٣٣ ـ المنجد في اللغة والأدب والعلوم
الأب لويس معلوف (ت ـ ١٩٤٦ م)
الطبعة الخامسة عشرة ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م .

(ن)

٣٤ ـ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة
محمد أمين المحبي (ت ـ ١١١١ هـ) صاحب خلاصة الأثر .
[مخطوط] في مكتبة المتحف العراقي ، رقمه (٢١١٥) .

٣٥ ـ النيروز في الإسلام ـ عبد الرضا المرعشي الشهرستاني ـ
مطبعة الزهراء ـ بغداد ـ ١٣٧١ هـ .

(ك)

٣٦ ـ الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف
(وهو فهرس لمخطوطات مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) .
للمرحوم الدكتور محمد أسعد طلس (ت ـ ١٩٥٩ م) . مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٥٣ م .

(ل)

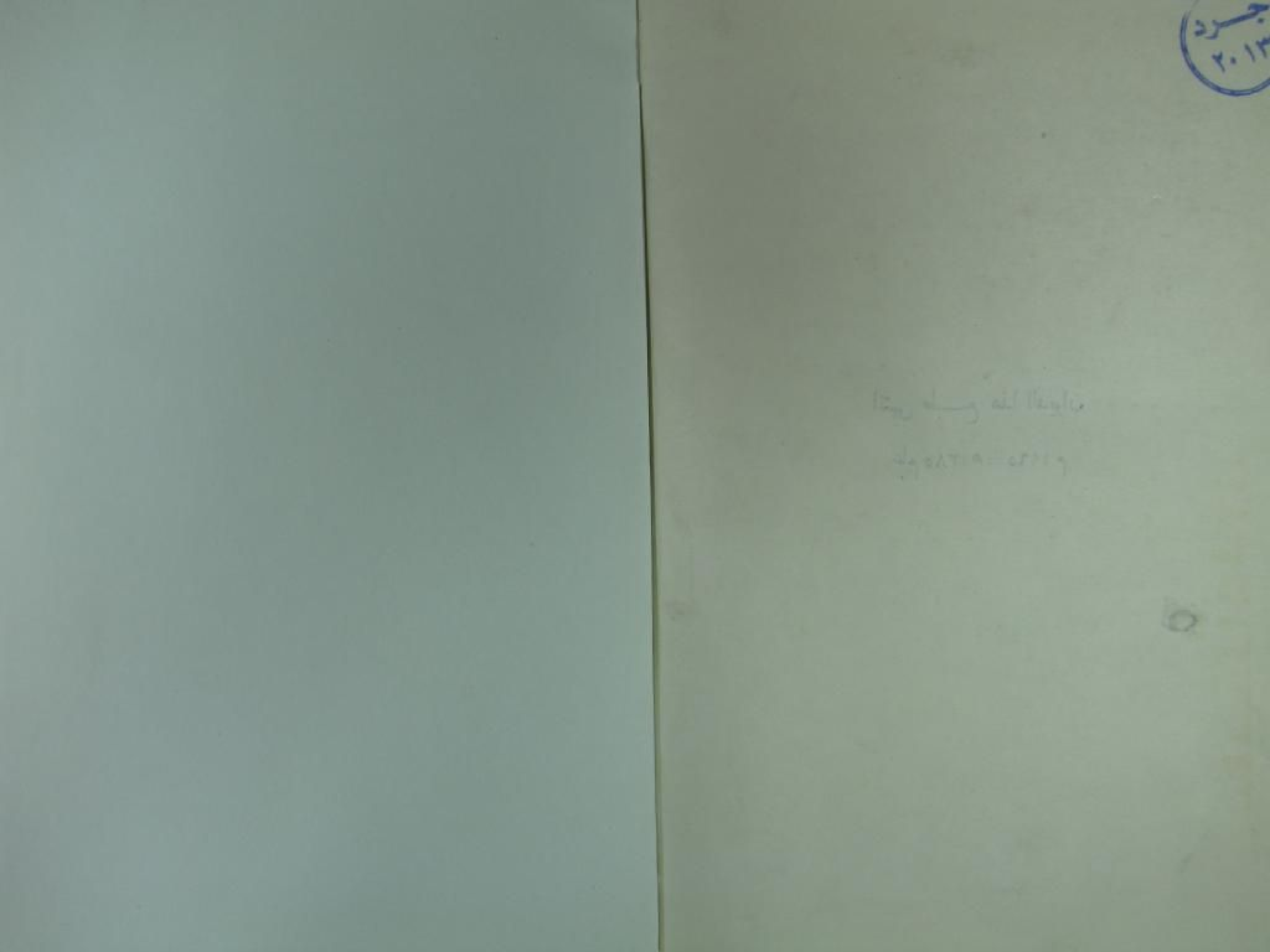
٣٧ ـ لسان العرب
محمد بن مكرم الخزرجي المعروف بابن منظور (ت ـ ٧١١ هـ)
الطبعة الأولى ـ بولاق ـ ١٣٠٠ هـ .

(ي)

٣٨ ـ يتيمة الدهر
أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت ـ ٤٢٩ هـ)
الطبعة الأولى ـ مطبعة الصاوي ـ القاهرة ـ ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

انتهى طبع هذا الديوان

عام ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥ م


جرد